

النقيب غاستون دوفور

تاريخ
العمليات العسكرية في موريتانيا
ق 17 - 1920

تعريب وتعليق
المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيّه

الناشر
مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع
انواكشوط - موريتانيا



..... ما إن وطئت جيوش المستعمر أرض موريتانيا بنية
الاستقرار حتى تداعت القبائل من كل صوب وحذب
ومن كل جهة وفئة، فشارك أهل الحوض في جهاد أهل
تَگَاةَ وقاتل أهل الشمال إلى جانب أهل الجنوب
ولجأ أهل آدرار إلى أهل الشرق، في تلاحم وتكاتف
يدلّان على إحساس عميق بوحدة الانتماء والمصلحة
والمصير. وقد شكّل أهل البلاد شبكة علاقات قوية
ومتشعبة لنقل الأخبار والتواصل بين المقاومين وإمدادهم
بالمؤن والأنصار.....

**تاريخ العمليات
العسكرية في موريتانيا
ق 17-1920**

النقيب غاستون دوفور

**تاريخ
العمليات العسكرية في موريتانيا
ق 17- 1920**

**تعريب وتعليق
المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بييه**

رقم الإيداع القانوني بالمكتبة الوطنية : 1121
الرقم الدولي : 0-008-36681-2-978 : ISBN
مكل الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى : 2012



الناشر

مكتبة القرنين 15/21
شارع كندي، عمارة للامي - النواكشوط - موريتانيا
ص ب : 6425 - هاتف : 36308939 00222
البريد الإلكتروني : ahme65delmeki@yahoo.fr

"...وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتبأدهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم. فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوم إلا غراراً في المجالس وعلى الرجال فوق الأقباب، ويتوجسون للنبات والهيئات، ويتفردون في القفر والبيداء، مدلين ببأسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ...":

عبد الرحمن ابن خلدون

المقدمة

حين كنت في الثانوية أدرس تاريخ حركات التحرير في إفريقيا والعالم الثالث، كنت وزملائي نتساءل ونحن بين الشك والحزن: ألم يقاوم الموريتانيون الاستعمار؟ ألم تكن لبلدنا مقاومة ولا ثورة على الاستعمار تستحقان الذكر والتدريس وتبعثان الاعتزاز بالذات وبالوطن؟

وقد ظلّ هذا الهمّ المعرفي يسكنني أينما حللت ويستحثني إلى البحث والتقيب في خبايا تاريخنا. وهكذا اطلعت على كثير مما كتب عن هذه الفترة وتحصّلت من هنا وهناك على كمية كبيرة من الوثائق التي أنارت لي هذا الجانب المغمور المتعلق بالمقاومة فاكشفت أن الموريتانيين قاوموا كل الغزاة بعناد نادر واستقتال عجيب يزكيه طول صمودهم، على قلة ناصرهم واختلال موازين القوى بينهم وعدوهم.

ومن أهم الوثائق التي عثرت عليها وثيقة فرنسية مرقونة تحت عنوان "تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا"، تتناول بدقة ووضوح مقاومة الموريتانيين وأهم مراحل علاقتهم بالأوروبيين عامة ثم الفرنسيين خاصة، منذ القرن السادس عشر حتى سنة 1920.

ولأهمية هذه الوثيقة عزمت على إخراجها إلى النور، صونا لها عن الضياع وتعميما لفائدتها على القراء. وقد شجعتني على ترجمتها قلة المراجع العربية الجادة والوثيقة عن التاريخ الموريتاني الحديث واقتصار ما كتب فيه على كتب فرنسية

قديمة لم يعرّب منها الا القليل بل وأصبحت نادرة إلا لدى الخاصة من الباحثين، لأنها قليلا ما أعيد طبعها.

طريقة الترجمة: حاولت ما استطعت الالتصاق بالنص لنقله كما هو إلى العربية. ولم أُغَيّر في ترتيب فقراته وإن كنت اضطررت إلى بعض التقديم والتأخير في بعض الجمل مما يفرضه الأسلوب العربي السليم. وتصرفت في بدايات ونهايات أقسام الوثيقة وعنونت معاركها، تسهيلا للقراءة والفهم وحرصا على القارئ من الضياع في سيل المعلومات المتصل. ولنفس الغرض، وضعت بين معقوفتين كلمات توضح مراد المؤلف أو ترفع لبسا يُلحِش منه.

وقد أثبت أسماء الأعلام العربية والمواضع كما ينطقها أهلها، تأصيلا لها وحفظا لها من تعريب يفقدها نكهتها المحلية وحتى لا أطمس تراثا ابتغيت بهذا العمل إبرازه وحفظه. ولم أستثن من ذلك، أحيانا، إلا أسماء قليلة أصبح القاريء العربي يعرفها بنطقها الفصح كشنقيط. وكتبت الجيم المصرية التي تكثر في أسماء المواضع بكاف فارسية (گ) حينما يتعذر إرجاعها إلى أصل عربي. أما الكلمات التي استطعت إرجاعها إلى أصل عربي فقد كتبت جيمها المصرية قافا معقودة عليها ثلاثة نقاط (ق). واخترت زاءً فوقها ثلاث نقاط (ژ) لكتابة الزاء الصنهاجية المغلظة كما في أثرواد.

كما اخترت تثبيت الاسم الموريتاني العربي لمدينة Saint-Louis وهو أَلَدَرْ. وهو، كما يرى البعض، من فعل نَدَر أي ارتفع وبرز. وكذلك المدينة بالنسبة لما جاورها من الماء.

أما أسماء الأعلام الأوروبيين، فقد أثبتها بالأحرف اللاتينية، تفاديا لكتابة بالأحرف العربية تحرفها غالبا وتعتقد مهمة الباحث إن أراد الاستزادة من المعلومات

حواها. ولكن، حتى لا أثقل الكتاب بها، اخترت أن أثبت كل اسم منها بالأحرف اللاتينية عند وروده لأول مرة ثم أكتبه بعد ذلك بالأحرف العربية.

تقديم الوثيقة:

- المؤلف: ظلت هذه الوثيقة مجهولة المؤلف لسنوات طويلة. وقد بذلت جهودا متنوعة للتعرف على مؤلفها وما إذا كانت قد نشرت أم لا. قابلتها بأكثر المراجع الموجودة بمطاولي عن تلك الفترة فلم أجد لها مطابقا. ثم اتصلت بأهم مظان وجودها برأبي، كمكتبة جورج بوميلدو والمكتبة الوطنية في باريس ومكتبة التوثيق العالمي الحديث (BDIC)¹ وغيرها، واصفا الوثيقة وسائلا عن مؤلفها وعن ما إذا كانت قد سبق نشرها. وكان الجواب بالنفي بعد تأكيد من راسلتهم من مقتنياتهم ومن مراكز الأبحاث والتوثيق الأخرى. وبعد ذلك، أرسلت لقكرة كاملة من الصفحة الأولى من الوثيقة، سائلا من أي كتاب هي. وكان الجواب هو نفسه². ثم اكتشفت في آخر مراحل إعداد هذا الكتاب أن الوثيقة هي النسخة الأصلية لكتاب نشر سنة 2004 في باريس ضمن منشورات دار "Terre des hommes" بعنوان: "موريتانيا: أرض المحاربين" **Mauritanie : terre des guerriers**, حيث لم نلاحظ أي اختلاف بين النص المطبوع ونص الوثيقة الأصل التي عثرنا عليها. ومؤلف هذا الكتاب هو النقيب غاستون دفور " **Capitaine Gaston Dufour**". وهو ضابط فرنسي شارك في مختلف مراحل احتلال موريتانيا منذ

¹ Bibliothèque de Documentation Internationale Contemporaine
وانتهز هنا هذه الفرصة لأشكر القائمين على خدمات القراء في تلك المؤسسات العلمية على سرعة ردودهم وجديتها فقد كانت تصلني أحيانا في نفس اليوم الذي أبحث فيه أسئلتي.

سنة 1903. وقد نبه الناشر إلى أن المؤلف طبع نسخا قليلة جدا من كتابه هذا سنة 1924 في منشورات قيادة الأركان بدار (السنغال). كما نبّه إلى أن الرائد جليه **Commandant Gillier** استفاد كثيرا من هذه الوثيقة في كتابه المشهور "الدخول إلى موريتانيا" **La pénétration en Mauritanie**.

-الشكل والأسلوب واللغة: تتكون الوثيقة من مائة وتسع عشرة صفحة مرقونة على ورق من حجم A4 من نوعين مختلفين. النوع الأول، من الورق الخفيف عدده 61 صفحة تنتهي عند قوله: "استطاعوا الهرب متسترين بالنباتات التي تغطي المنطقة". أما النوع الثاني فورق عاد يبدأ من عنوان "الحوادث العسكرية" أي ما ورد في الصفحة 60 من الورق الأول ويستمر حتى نهاية النص، وهو مرقم من 55 حتى 119¹. لذلك، نظن الوثيقة مؤلفة من نسختين منفصلتين من نفس الكتاب، وأن الموثّق أكمل النسخة الأولى الناقصة الآخر بنسخة ثانية ناقصة الأول فأكمل النص بجمع النسختين.

ويتراوح أسلوب الوثيقة بين السرد والجميل الطويلة وبين جمل قصيرة أشبه بالملاحظات. ولغتها متوسطة تستعمل أحيانا مفردات من الفرنسية المولدة المستعملة آنذاك في أفريقيا الفرنسية مثل **Laptots** أو **Tatas**.

وفي الوثيقة ثلاث كلمات، على الأقل، تحتاج بعض التوضيح.

الأولى: المنشقون (**Dissidents**) كوصف للمقاومين. يوحي هذا الوصف وكأن الاحتلال عمل شرعي وأخلاقي من قاومه قاوم الاستقامة ومن خرج عنه خرج على الإجماع والشرعية. ولو أن المؤلف قصر ذلك الوصف على من وقعوا

¹ انظر الملحقين 1 و2: الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الوثيقة.

اتفاقيات حماية أو تنازل عن السلطات مع قوة أجنبية في مرحلة ما، لالتمسنا له بعض العذر؛ لكنه عممه حتى على من لم يعترف أبدا بأية سلطة مركزية لا أجنبية ولا محلية.

الثانية: المتعاونون (Auxilliaires) والأنصار (Partisans): كان هؤلاء من السنغاليين حتى ما بعد 1903 ثم بعد ذلك أطلقت الصفتان، غالبا، على بعض البيطان المواليين للقوات الفرنسية. وقد شكل الفرنسيون من هؤلاء المواليين وحدات مستقلة بينما نظموا أغلب السنغاليين وسودان ما وراء النهر ومالي وساحل العاج في وحدات عرفت بالرماة السنغاليين. ونادرا ما شكلوا منهم وحدات جمالة ميزتها الوثيقة في موضعها بوصف: السود.

تتميز الوثيقة عموما بالرصانة في الأسلوب، إذا استثنينا أوصافا كاللصوصية والنهب وشتائم لرجال المقاومة هنا وهناك، غالبا ما تكون عند ذكر المؤلف لمعركة تكبد فيها الفرنسيون خسائر جسيمة. وفي المقابل، نرى الكاتب يعترف بشجاعة الموريتانيين وقدرتهم العظيمة على الصمود ويثني على مهاراتهم التكتيكية ويبدى إعجابه الشديد بها.

ومن الخواص الحميدة لهذا النص أنه لا يتحدث عن رسالة حضارية تمدينية للاستعمار بل عن حاجة فرنسا لوصل مستعمراتها وبجتها عن المواد الأولية. وتحمد للمؤلف صراحته هذه وعدم تستره وراء حجج لا تقنع حتى من يحاول إقناع الآخرين بها.

ومعلومات الوثيقة دقيقة في تطابقها، إلا نادرا، مع كتابات الفرنسيين عن أحداث تلك المرحلة. ولا غرابة في ذلك فقد كان لضباط الحملة الفرنسية من عظم الهمم وحب التوثيق ما جعلهم يسجلون الأحداث بدقة عالية في مذكراتهم

الشخصية ومراسلاتهم الرسمية. ولعلّ في ما قاموا به رغم قساوة ظروف عملهم وافرادهم عن أهلهم وأوطانهم على ظهور الإبل في الصحاري، ما نفتدي به فنهتم ببعث وثائق تاريخنا من مراقدها بل ونسجّل ولو منذ الآن حاضرنّا الذي هو تاريخ أجيالنا المقبلة.

المضمون: يمكننا بعد قراءة هذه الوثيقة واستخدام المصادر الأخرى المتاحة حول بعض ما تذكره من أحداث وتحليلات، أن نخرج بالاستنتاجات التالية: ..
أولاً: حول فترة ما قبل الاستعمار: تعطينا الوثيقة فكرة مختصرة وواضحة عن التنافس الأوروبي على الشواطئ الموريتانية منذ أواسط القرن الخامس عشر وعن الدور الكبير الذي اضطلعت به تجارة الصمغ في ذلك التنافس وما أدت إليه من ربط للبلاد الموريتانية بالتجارة الأوروبية وما انتهت إليه من تعاظم للدور الفرنسي، لا على الساحل الأطلسي وضمقي نهر السنغال فقط، بل وفي داخل البلاد الموريتانية ذاتها. وقد تسارع هذا التأثير منذ أواسط القرن التاسع عشر بعد حروب الفرنسيين مع الإمارات الموريتانية المخاذية لهم والتي انتهت بتخلي هذه الإمارات عن ما كان تحت سيطرتها من بلاد ما وراء النهر. وقد فتح ذلك التغير الطريق أمام بعثات الاستكشاف وغير قواعد التبادل التجاري وخول الفرنسيين دوراً أكبر في تحديد موازين القوى الداخلية في الإمارات وأصبحت هداياهم والإتاوات التي يدفعونها أحد رموز شرعية السلطة وخصوصاً في إمارتي أترارزه ولبراكنه. وتجلى هذا التأثير في سلسلة الاتفاقيات التي عقدتها هاتان الإمارتان وإمارة نكّانت مع الفرنسيين بين سنتيّ 1890 و1894. وكان التأثير أقل في إمارة آذرار لبعدها عن الصمغ إنتاجاً وبيعاً.

ثانياً: دخول الاستعمار: تظهر الوثيقة مناورات اللحظات الأخيرة التي قام بها الفرنسيون قبيل مواصلة تقدمهم داخل هذا الجزء من "اتراب البيضان". وقد اجتمعت عوامل عدة جعلت الفرنسيين يحسمون أمرهم بدخول البلاد: أ. الاهتمام المبكر بثروات البلاد المعدنية توالي البعثات "العلمية" منذ تصالح الأمير محمد حبيب وفيدريب.

ب. اعتبار الفرنسيين أن الحل النهائي لتأمين وجودهم في السنغال وتقدمهم في باقي غرب إفريقيا هو الاستيلاء على المنطقة كلها، بما فيها موريتانيا التي تشكل جزءاً رئيسياً منها بل هي قلبها الثقافي والحضاري.

ج. لم يكن من المعقول أن تستولي فرنسا على كل المنطقة من تونس حتى ليرفيل وتبقى موريتانيا خارج يدها.

د. ليس في المنطق الامبريالي أن تبقى مناطق فارغة من نفوذ القوى الكبرى. لذا سارعت فرنسا للمء هذا الفراغ قبل أن تملأه قوة أروبية أخرى؛ خصوصاً سبق أن حاولت إسبانيا التزول في شمال اتراب البيضان منذ أواخر القرن 19.

هـ. كان تصارع القوى الأروبية على المغرب الأقصى في أوجه بعد أن تحول إلى "رجل المغرب العربي المريض" وسنرى لاحقاً كيف استمر النزاع عليه حتى كاد يشعل الحرب العالمية الأولى قبل أوانها، في ما عرف بأزمستي المغرب سنتي 1905 و1911. ولعل بعض الوعي بهذا الواقع واليأس من عون المغرب أقرب الدول الإسلامية شبه المستقلة إلى البلاد من ما عزز يقين بعض أعيان البلاد بمحتمية دخول الفرنسيين إلى البلد ففضلوا التعامل معهم والاستفادة منهم بدل مواجهتهم عسكرياً.

وتتمثل البداية الحقيقية لاستعمار موريتانيا في عبور القوات الفرنسية إلى الضفة الموريتانية وإقامتها مركزا في كَنِيَّيْدِي 29.7.1890 وإلغاء دولة الأئمة في الفوتا¹. وهذا خلاف ما هو شائع من أنه بدأ بقدم كوبولاني في الأسبوع الأخير من سنة 1902. على أن الإسبان سبق وأن أقاموا سنة 1884 منشآت عسكرية وتجارية في الدَّاخِلَة سرعان ما حطَّمها المقاومون في نفس السنة.

في سبيل التمهيد للمشروع الاستعماري، قام كوبولاني Coppolani سنة 1898 بزيارة استطلاعية للقسم الشرقي من البلاد الموريتانية الحالية ووقع اتفاقيات مع أعيان المنطقة أهمها اتفاقية وارغيطة مع محمد المختار ولد محمد محمود رئيس مشظوف. ثم تم توقيع اتفاقية بين فرنسا واسبانيا سنة 1899 أصبح بها جزء من أرض البيطان فرنسيا دون أن يعلم أهله. وأخيرا رَسَم هذان البلدان حدود نصيب اسبانيا من أثراب البيطان في اتفاقية 27.05.1900.

وقد شكل التدخل الفرنسي الكبير في الخلافات على السلطة داخل إمارة أَثْرَارَزَه بين احمد سالم ولد اعل وابني محمد فال سيدي وأخوه احمد ولد الديد، اللمسة الأخيرة على خطة التقدم داخل البلاد؛ حيث تفاقمَت الصَّرَاعَات داخل البيت الأميري في أَثْرَارَزَه وأرسلت الإدارة في مارس سنة 1902 قوة إلى سَهْوَة المَاء لمساندة الأمير احمد سالم وَلَدِ أَغْلِي. وبذلك، مهدت لاتفاقية دَكَّالَه التي تخلى فيها الأمير عن حقوقه لصالح الفرنسيين يوم 15 دجبر 1902 ودخل بعدها كوبولاني في 22 دجبر إلى البر الموريتاني لتوسيع وتثبيت الوجود فرنسي في البلاد، عبر أَثْرَارَزَه. وبدأت التقارير الأولى من الحملة مبشرة للفرنسيين.

¹ Oumar(Dioum): La pénétration coloniale française dans le Fuuta Tooro : La résistance d'Abdul Bookar Kan : 1862-1891. Mémoire de fin d'études. Série Histoire et Géographie. Année 1982-1983. P 77-79.

ولعل هذا الدخول عبر تلك المنطقة وليس من كِيَهْيَدِي المحتلة منذ 1890، راجع إلى ما استطاع كويولاني أن ينسجه من علاقات في أَتْرَارْزَه ولقرب هذه المنطقة من أَتْدَرْ واخيط معا. ولعله كذلك راجع إلى حال العلاقات بين الإدارة الفرنسية في السنغال وإمارتي لبراكنة وإدوعيش المخاضيتين لمنطقتي كيدي ماغا وگورگُل على الحدود السنغالية. لقد كانت باردة مع الأولى وسينة مع الثانية. ولذلك لم يستطع الفرنسيون توسيع رأس الجسر الذي أقاموه في كيهيدي والتقدم منه، سلما، داخل البلاد الموريتانية.

وقد اعتمد المستعمر في سياسته على تنازع الإمارات في ما بينها كما استفاد من عدم الاستقرار السياسي داخل كل واحدة منها على حده.

وقد كثر الكلام حول دور بعض الفئات الاجتماعية في تمهيد الطريق للمستعمر وقيل إنها، بحكم امتعاضها من الواقع السياسي ، فضلت التعاون مع المستعمر وهيأت له أسباب النجاح. وعلى كل حال فنحن لا نظن موالاة هذه الفئة أو عداوة تلك كانت ستغير مجرى التاريخ. لقد كان الأمر أكبر من ذلك.

ثالثا: المقاومة: إن المقاومة المسلحة التي خاضها الموريتانيون في القرن العشرين ما هي إلا استمرار لمعاركهم السابقة ضد الفرنسيين والإسبان وغيرهم ممن حاولوا السيطرة على مواردهم أو على بلادهم. لكن هجمة هؤلاء في ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين كانت لها طبيعة خاصة وتسارعت خطاها للنفاذ إلى قلب أَتْرَابُ البيضان والسيطرة عليها.

وإذا كانت الوثيقة تنتهي بذكر أحداث سنة 1920، فإننا نعرف أن آخر المعارك المشهورة التي خاضتها المقاومة المسلحة كانت معركة أم التونسي في اغسطس سنة 1934. وبين التاريخين، وقعت معارك عديدة وسالت دماء كثيرة.

ومن أشهر أيام تلك السنوات يوم أمّ آغَوَايَه بتاريخ 28 نوفمبر 1923 ويوم
آگَوَيْتْ ويوم لَقْدَيْم ويوم أَطْرَيْفِيَه الذي دام ثلاثة أيام من 2 إلى 5
ابريل 1925 ويوم آزَوَيْگَه ويوم آغَسَرْمَتْ ويوم أَقْلَيْل ويوم توجنين
ويوم تگيگل. وفيه أسر سيني ولد ادرويش ويوم وديان الخروب. ومن
أشهر قادة الجهاد في هذه المرحلة وجاهه ولد اعل الشيخ (1924) ومحمد عبد
الله ولد عبد الوهاب (1925) ومحمد المامون لد اعل الشيخ (1927) واعل
ولد ميّاره (1933). ويمكننا تقسيم فترة المقاومة إلى:

المرحلة الأولى: بدأت المقاومة سريعا وبالضبط بعد سبعة أشهر من وصول
كوبولاني فالمعركة الأولى كانت يوم السابع يونيو 1903 عند سهوة الماء. وهذا
ما لم يكن الفرنسيون يتوقعونه خصوصا وأن العملية حدثت في المنطقة شبه
الآمنة التي تمتعوا بصلات قوية مع كثير من رموزها الدينية والسياسية. أو هكذا
تصوروا. وإن كان المهاجمون من غير المنطقة.

وقد حدث هذا الهجوم والأمير بكار ولد اسويد احمد ينادي بالجهاد ويدعو له
كل حليف. بل ويهدد من يتعاون مع المحتل بالغزو في أَثَرَارَزَه ذاقها¹. كما أن
رسل ووعود الشيخ ماء العَيْنين كانت قد بدأت تتوالى من معقله في أَصْمَارَه
بشمال أرض البيضان.

وهكذا، لم يكن أمام الوافدين الجدد إلا مراجعة حساباتهم وتغيير أسلوبهم
والاستعداد لفرض سلمهم بالحرب. لذا شهدت هذه الفترة استمرار عمليات
المقاومة في لَبْرَاكْنَه وَتَغَاكْتْ وَثَرَارَزَه وغيرها من المناطق المحتلة القريبة.
ويمكننا القول إنها، بتناقضاتها، قد انتهت بغياب أبرز وجهين للمقاومة

1 تقرير فرنسي بحوزتنا.

والاستعمار. استشهد شيخ الأمراء المجاهدين بكار ولد اسويد احمد وهو في التسعين من عمره وبندقية بيده عند رأس الفيل يوم الأول من ابريل سنة 1905. وبعد أقل من ستة أسابيع من هذا الحدث الجلل، قتل المجاهدون بقيادة الشريف القظفي سيدي ولد مولاي الزين رأس الحملة الفرنسية كويولاني في تجكجه مغرب 12 مايو 1905. وقد اضطربت أحوال الوجود الفرنسي بعيد هذا الهجوم وكادت الحكومة المركزية تسحب الحملة بعد أن بدا لبعض الأوساط أن كويولاني ووط فرنسا في أمر لم تكن تريده ولا كانت مستعدة لنتائجه التي بدت غير ما خيل لها في البداية.

المرحلة الثانية: تمتد هذه المرحلة من مقتل كويولاني حتى انسحاب مبعوث سلطان المغرب منتصف سنة 1907. اتسمت بداية هذه المرحلة بتوقف نسبي على جبهة تگگانت في انتظار السفارة التي ذهبت إلى الشيخ ماء العيّن. ثم استمر ذلك الوضع أثناء أشهر التحشد حول الشريف مولاي إدريس بين مايو واکتوبر 1906 وبسبب نشوب بعض الخلافات بين زعماء المقاومة وبينهم وبين هذا المبعوث. ورغم أن أشهر حصار تجكجه نهاية 1906 شهدت معارك تكبد فيها المحتلون خسائر كبيرة كادت عصف بتقدم الحملة الفرنسية شمالا إلا أن ذلك لا يغير الصورة العامة لهذه الفترة التي كانت فيها المقاومة تلمس طريقها باحثة عن صيغة لتنظيم الصفوف واستنهاض مختلف جهات البلاد وعن العون الخارجي.

وقد انتهى هذا الاضطراب حين أفلحت الضغوط الفرنسية على سلطان المغرب في دفعه إلى استدعاء إدريس في أغسطس 1907 فتحررت المقاومة من

الاستراتيجية التي حاول فرضها، لتكون بعده سنة 1908 أعنف سنوات النضال ويتكبد فيها الفرنسيون أفدح الخسائر.

ثم جاءت تطورات أخرى أضرت بزخم العمليات كان أهمها بلا شك احتلال آذرَارَ في يناير 1909 الذي ألحق ضربة قوية بالمقاومة ودفع عددا هاما من الزعماء والوجوه في المنطقة وما جاورها إلى قبول الحماية الفرنسية؛ كمحمد ولد اخليل أحد زعماء ارقبيات. وبعض وجهاء أولاد أدْثِيمَ في الشمال حيث حضر إلى المركز الفرنسي في نواذيبو يوم 22 سبتمبر ناطقا باسم ثلاث عشائر من قبيلته¹. وفي المنطقة الجنوبية الغربية، شهدت نهاية السنة، تصالح المنافس على إمارة أترَارَزَه أحمد وَلَد الدَّيْدُ مع الفرنسيين في 18 دجبر 1909 فكان لذلك أثر كبير أمنيا ومعنويا على حركة المقاومة العسكرية في المناطق المحتلة.

ورغم هذه العوامل السلبية، لم تتوقف المقاومة المسلحة ولا فت ذلك في عضد قوادها في المناطق الوسطى والشمالية فابتعد كثير من المخيمات إلى الشمال ونفذت في تلك الفترة غارات جريئة مثل أَعْسَرَمَتْ في 28 إبريل والمجريه في 03 يونيو واكْصَيِرُ الطَّرْشَانُ في 27 يوليو.

أما المناطق الشرقية فلم يمنعها بعد الشقة من الاهتمام بما يجري في باقي البلاد. فهذه منطقة الحوض مثلا لم يمنعها بعدها من مركز ثقل الوجود الفرنسي أن تتطلع للمشاركة في التصدي للخطر الداهم. وقد شهدت حراكا، من مظاهره إمداد المقاومة بالرجال والمساعدات المادية. تذكر حوليات ولايته أنه في سنة 1324هـ / 1906 قدم إلى ولايته اعل محمود وَلَد محمد محمود أحد وجوه أهل

¹ تقرير للنقيب Rouyer المقيم في انواذيبو موجه إلى الوالي العام والحاكم العسكري في موريتانيا بتاريخ 18. 12. 1909. التقرير بحوزتنا. (المترجم).

لَمْخِيمَيْدْ بَيْت الرِيَاة فِي مَشْطُوف الْحَوْض، يَرِيد الْعُون عَلَى حَرْب النَّصَارَى
فَأَعْطُوهُ 50 بَيْصَةً.¹

وَقَدْ تَوَجَّهَ أَعْلَى وَمَعَهُ عَشْرَاتِ الْمُقَاتِلِينَ إِلَى الشَّمَالِ حَيْثُ تَحْشُدُ الْمَقَاوِمَةُ لِلْقِتَالِ.
وَقَدْ كَانَ ضَمَّنَ هَذَا الْمَدَدَ رِجَالٌ مَعْرُوفُونَ فِي الْحَوْضِ كَأَحْمَدِ سَالِمٍ وَلَدِ الْكَيْمِيِّ
وَبَعْضُ تَلَامِذَةِ الْقُظْفِ مِنْ مَرِيدِي الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ وَلَدِ بَيْهٍ، مِنْهُمْ أَحْمَدُ وَلَدُ
أَبِيكَ وَأَخُوهُ بَرُصُ وَلَدُ أَبِيكَ رُؤَسَاءُ لِمُسَاعِيدِهِ وَشَارَكُوا فِي مَعْرَكَةِ التَّيْمَلَانِ ثُمَّ
فِي الْوَفْدِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى الشَّيْخِ مَاءِ الْعَيْنِينَ². وَقَدْ ضَمَّ الْوَفْدُ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَى
الشَّيْخِ مَاءِ الْعَيْنِينَ سَنَةَ 1906 لَطَلَبَ الْعُونِ مِنَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْعَزِيزِ سُلْطَانِ
الْمَغْرِبِ أَمْرَاءَ وَزَعَمَاءَ آخَرِينَ مِنْ قِبَائِلِ الشَّرْقِ مِنْهُمْ الْأَمِيرُ الْمُخْتَارُ وَلَدُ مُحَمَّدٍ
أَمِيرِ إِشْرَاتِيَّتٍ وَبَنَاهِي وَلَدُ سَيِّدِ الْمُخْتَارِ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ زَعِيمِ أَهْلِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ
وَالْأَمِيرُ عُمَانُ وَلَدُ بَكَارٍ وَلَدُ اسْوَيْدٍ أَحْمَدُ³ الْخ

وَقَدْ احْتَضَتْ مَنَاطِقُ الْحَوْضِ الْمَقَاوِمَةَ فِي فُتْرَاتٍ لَاحِقَةٍ حِينَ نَزَلَ إِلَيْهَا أَمِيرُ آذْرَارِ
سَيِّدِ أَحْمَدُ فِي يُونِيُو 1910 ثُمَّ تَبِعَهُ إِلَيْهَا أَنْصَارُهُ وَاتَّخَذُوا مِنْ شَمَاهَا الشَّرْقِيِّ
قَاعِدَةً لِلْإِغَارَةِ عَلَى الْقَوَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ فِي تَغَايُتْ حَتَّى أَسْرَ الْأَمِيرُ أَتْنَاءَ
الْمَعْرَكَةِ وَاحْتُلَّتْ تَيْشِيَّتْ وَوَلَايَةُ فِي يَنَايِرِ 1912. وَتَذَكَّرُ بَعْضُ الْوَسَائِقِ
الْإِسْتِخْبَارِيَّةِ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ أَنَّهُ فِي سَنَةِ 1913 حَصَلَ حِرَاكٌ عَظِيمٌ فِي الْحَوْضِ
وَجَرَتْ نِقَاشَاتٌ حَادَّةٌ بَيْنَ قَادَةِ الْقِبَائِلِ وَسَاسَةِ الرَّأْيِ حَوْلَ ضَرُورَةِ الْجِهَادِ.
وَتَذَكَّرُ أَنَّ أَعْلَى مُحَمَّدٍ وَلَدَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ وَأَخُوهُ الْمُخْتَارُ كَانَا مِنَ الْمُؤَيَّدِينَ لِلتَّحَالُفِ

¹ Chroniques de Oualata et de Nema, édité par Paul Marty, in Revue des études islamiques, année 1927, cahier III, Paris, Geuthner ; 1927, p 401.

² تقرير فرنسي عن قبيلة مشطوف في الحوض. بحولتنا. (المترجم).

³ انظر الأسماء في الملحق 3.

مع أحمد الهيبه ولد الشيخ ماء العينين لطرد المستعمر من الخوض.¹ وتذكر وثيقة أخرى أن اعل ولد محمد محمود لم يقبل سلطة المستعمر إلا على مضض وظل طوال السنوات الأولى من إدراته لعامة قبائل مشطوف يحاول الابتعاد من المراكز الإدارية.²

المرحلة الثالثة: امتدت هذه الفترة من أسر أمير آذرَار واحتلال الخوض مطلع 1912 وحتى نهاية 1913. وتميّزت بعمليات نوعية نفذها المقاومون، من أهل الصحراء الغربية خاصة، كعملية كَبِيرَات في 10 يناير 1913 التي كان غزو أصْمَارَة في فبراير ردا عليها ومعركة واڤ التَّفْلِيَّات³ يومي 09 و 10 من مارس أثناء عودة القوات التي دكت تلك الزاوية وأحرقت مكتباتها.

وساهمت انتصارات المقاومة في هاتين المعركتين في تشجيع من انضم من اَرْقِيَّات إلى الفرنسيين على الانسحاب شمالا واللاحاق بالمقاومة. بل إن احميد ولد محمد ولد الخليل أجبر والده على الهجرة شمالا ويعتقد البعض أن الأمر من تدبير الشيخ نفسه. كما شهدت هذه الفترة معركة بوْتْلَيْس في 18 سبتمبر المشابهة لمعركة كَبِيرَات.

وإذا كانت تلك المعارك تعتبر من أعنف ما خاضه الفرنسيون في المنطقة، بل إن معركة واڤ التَّفْلِيَّات هي بحق أعنف ما خاضوه في إفريقيا الغربية كما تورد الوثيقة، فإن الانشقاقات بدأت تتسلل في نفس الفترة إلى داخل قبائل المقاومة في

¹ وثيقة بحوزتنا:

Fiches de renseignements sur les chefs Meschdoun Ely, Ahmedou et Mocktar fils de Mohamed Mahmoud ould Mheimid, par le commandant du cercle de Nema pour les années 1943 et 1944.

² وثيقة بحوزتنا:

Fiche de renseignements sur Ely ould Mohamed Mahmoud, daté du 1913, par le commandant de cercle à Oualata.

³ قلاها المجاهد احمد ولد حمادي. (المترجم).

الشمال. كما تكاثرت عدد الداخلين تحت الحماية الفرنسية في المناطق الأخرى .
بل إن بعض من كانوا يقاتلون الفرنسيين حولوا بنادقهم الى صدور رفاقهم في
الجهاد وتصدوا لغارات المقاومة في أكثر من موضع.

وكان لتحوّل موقف شخصية هامة وذات سمعة كبيرة كأمر آذرار المعزول سيد
أحمد إلى جانب الفرنسيين صدى مثبطا لدى المقاومين. وقد شارك الأمير سيد
أحمد، بتفان شهد له به الفرنسيون¹، في الحملة على أصماره. وساعد ذلك في
حسم الفرنسيين لأمرهم وتعيينه أميرا مؤقتا لآذرار. ولكننا سنرى الأمير سيد
أحمد يختلف مع الفرنسيين لاحقا في مناسبتين، أولاها في مايو سنة 1917،
أبعد على إثرها إلى أندر وجمدت الإمارة حتى سنة 1920 ثم أعيد إلى
منصبه بشروط مجحفة واستمر حتى 1932 حين توجه إلى الشمال مخالفا على
السلطة الفرنسية للمرة الثانية فأدركته قواتها واستشهد في وديان الخروب يوم
19 مارس 1932.

وكان إلى جانب الأمير سيد أحمد في رتل أصماره، الأمير أحمد ولد الدّيد الذي
سبق أن شارك في رتل تيشيت الذي أسر الأمير سيد أحمد. كما حضر ولد
الديد احتلال ولاته. وللأمير أغل ولد محمد محمود ولد اعجميد في ذلك:

إل دَارَ إِيْحَجَّـلْ * وإِيْزِيْدُ التَّوْحِيْدْ

إِلَّا يَجِبْ تَلْ * ولَاتِه، لِمَسِيْدْ

عِنْدُ كَوْنِلْ * وَعِنْدُ وَلِ ادِّيْدْ

ثم إن عاملا جديدا طرأ على المنطقة وأهلها ساهم في تشتيت الجهود وتحويلها
ولو جزئيا إلى وجهة أخرى وذلك هو إعلان الشيخ أحمد الهّيبه ولد الشيخ ماء

¹ انظر كلامهم عن ذلك في موضعه من هذه الوثيقة.

الْعَيْنَيْنِ نفسه سلطانا على المغرب¹ يوم 06 مايو 1912 وما رافق ذلك الاعلان من محاولاته وبعض إخوته توجيه جهود الصحراويين ومن التحق بهم من مجاهدي المناطق الموريتانية الأخرى إلى الجبهة الجديدة. وتذكر برقية فرنسية من أطَارْ إلى ائدر² اعتراض محمد لَقْظَفْ مثلا على ذهاب غزي أَعْلٍ وَلَد مَيَّارَه الذي هاجم الفرنسيين في بُوْتْلَيْس وإصراره على توجيه الجهود كلها لدعم أخيه في الشمال. وقد أدت هزيمة الشيخ أحمد الهيبه إلى إعادة توجيه بنادق المقاومة كلها إلى الفرنسيين في موريتانيا وتركيز المقاومين جهودهم على بلادهم.

ولقد كان من انعكاسات تسوية المسألة المغربية لصالح فرنسا ثم قيام الحرب العالمية الأولى أن اشتد الحصار على المقاومة وانقطع الزر اليسير الذي كانت تحصل عليه من الأسلحة من الألمان والإسبان. وبلغت قلة السلاح والذخيرة برجال المقاومة كل مبلغ. وساءت الحال بانتشار مرض الحمى الصفراء سنة 1917. وانخفض عدد العمليات نظرا للأسباب السالفة لكنها لم تتوقف، فقد شهدت تلك الفترة عمليات "غَزِي اَرْقِيَّاتٍ وَأَوْلَادُ بَسِيعٍ" سنة 1914 في الحوض و"غَزِي لَحْفِيْرَه" سنة 1915 في الزُّمُور و"غَزِي لَحْمَر" في الحوظ نفس السنة والذي ظل مضرب المثل لدى سكان الحوظ لشدة بأسه و"غَزِي بَر" اَلْبَيْظُ شمال أَرْوَانْ في مالي سنة 1916 و"غَزِي اَلْحَوْظُ" المعروف أيضا ب"غَزِي اَلْخَيْل" في الحوظ سنة 1917 وتبعه في سنة 1918 "غَزِي كَدَامَه"

¹ كان الفرنسيون قد أعلنوا حمايتهم على المغرب يوم 30 مارس 1912.

² Télégramme officiel à St-Louis N°:22/Atar. . En date du 24. 11. 1913. Signé: Déleste. بحوزتنا .

في نفس المنطقة ثم "غزّي الجنكة" وغيرها من الغارات التي تركزت على الجهة الجنوبية الشرقية من البلاد¹.

ولعل عدم ذكر الوثيقة لهذه الغارات راجع إلى أن رجال المقاومة استهدفوا الموالين للفرنسيين ومحكوميههم وتغادوا الاصطدام بالوحدات الفرنسية. ولم تتعرض الوثيقة كذلك لحركة المقاومة التي شهدتها منطقة الحوض سنة 1916 على يد مجموعة أهل عبدوكه ومجاهدين من شق قبائل المنطقة مثل الداه ولد عثمان وسيلاني ولد اعل مولود ودشقي ولد سيدي ولد هتون². ومن أشهر أيامها يعرف ورزوق واكراغ الجيش وخلخت أصاندره وأطليخ وأقويس لكلايب³. واشتهرت هذه المقاومة في الحوض باسم أهل الكدية لأن المقاومين كانوا يلجأون إلى الكدى والجبال للتمنع بقممها ومسالكها الوعرة. وقد انتهت هذه الحركة إثر القبض على قادة المقاومين واستشهاد الكثير منهم. ولعل عدم ذكر الوثيقة لها يرجع إلى أن الحوض كان في تلك المرحلة يتبع لمستعمرة السودان الفرنسي.

وكان تحقيق الربط بين الوحدات الفرنسية في موريتانيا والجزائر عند بتر كمزرب يوم 24 دجبر 1920 الدليل الأقوى على إحكام الفرنسيين سيطرتهم على البلاد. أو هكذا ظنوا. وستبت السنوات اللاحقة أن المقاومة العسكرية لم تتوقف وأن استراحة مقاتليها لن تدوم طويلا.

¹ لحمان (محمد): إسماعيل ولد الباردي. سلسلة أعلام من الجنوب. منشورات مؤسسة مربية ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي. مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1999م. ص: 33. (المترجم).

² الدكتور محمد المحجوب ولد محمد المختار ولد بيته: موريتانيا، جنود وجسور، المقاومة السنونكية للاستعمار في كيدي ماغه، ص 186. كتاب تحت النشر قلم لتليل جلازة شنقيط.

³ نقلا عن مقابلة مسجلة بالصوت أجراها الدكتور محمد المحجوب ولد بيته مع النائب البرلماني السابق السيد أبوه ولد حامين سنة 1976.

ملاحظات

يمكننا في نهاية هذا التقديم عرض بعض الملاحظات العامة:

الملاحظة الأولى: ضراوة المقاومة التي واجه بها الموريتانيون المستعمر الفرنسي. وهي ضراوة استمرت أكثر من ثلاثين سنة. ولم يكن الفرنسيون الذين احتلوا معظم إفريقيا الغربية في فترة قصيرة نسبياً يتظفرونها ولا يقدرونها. ولعل من أصدق ما يدل على الروح الاستشهادية التي قاتل بها المجاهدون أن الوثيقة لم تذكر تمكن المستعمر من أسر أحد منهم إلا في ثلاث معارك فقط على امتداد سبعة عشر عاماً.

الملاحظة الثانية: وطنية المقاومة: ما إن وطئت جيوش المستعمر أرض موريتانيا بنية الاستقرار حتى تداعى الناس من كل صوب وحذب ومن كل جهة وفئة، فشارك أهل الحوض في جهاد أهل تڭگانت ونزح أهل تكانت إلى آدرار وقاتل أهل الشمال إلى جانب أهل الجنوب ولجأ أهل آدرار إلى أهل الشرق، في تلاحم وتكاتف يدل على إحساس عميق بوحدة الانتماء والمصلحة والمصير. وقد شكّل أهل البلاد شبكة علاقات متشعبة وقوية لنقل الأخبار وتأمين التواصل بين المقاومين وإمدادهم بالمؤن والأنصار. وهكذا نجد الشيخ أحمد بن عبد الله الذي يقطن مدينة ألاگ مكلفاً بنقل المراسلات بين أحد قادة المقاومة في الشمال الشيخ محمد المامون ولد اعل الشيخ إلى أهل المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية، محل أمير مشظوف اعل ولد محمد محمود¹ وبعض أعيان أسرة أهل اعمر دكرة قرب النواره. وقد نشرنا في الملحق رسالة للشيخ محمد المامون يحرض الأمير اعل ولد محمد محمود للجهاد.

1 الرسالة بحوزتنا

لقد كان المجاهدون يفضلون الشهادة على الأسر حين يتعين الاختيار، وثوقا بما عند الله وأنفة من ذل القيد ورق الأسر رغم خسائريهم الكبيرة.

وإذا أحصينا ما ورد في الوثيقة رغم ما سبق أن أشرنا إليه من إغفالها بعض الغارات والمناوشات لوجدنا أن المقاومة بين سنتي 1903 و1920 قد تكبدت 963 شهيدا و116 جريحا، مقابل 603 قتيل و240 جريح أقر بهم الفرنسيون¹. وتلك خسائر فادحة إذا قيسَت بنسبة السكان عموما ونسبة الأحياء التي تحملت العبء الأكبر من هذه المقاومة.

الملاحظة الثالثة: تنوع الأسلحة: ومن أهم خصائص المقاومة الموريتانية أنها كانت تستخدم شتى الوسائل المتاحة من سلاح وثقافة وأدب وأساليب اجتماعية ونفسية لمكافحة العدو. ومن أطرف ما عثرنا عليه من هذا النمط أن الشيخ محمد المأمون أرسل طلسمًا على شكل جدول إلى الشيخ محمد ولد اعمر ذكره في قرية مرجه بضواحي النواره² وخاطبه قائلا بخصوص هذا الطلسم بما نصه : "... لتسير بنفسك به وتأخذ حوتة من البحر وتطوي هذه الورقة وتعلقها عليها بسلوك الحرير الأحمر بعد أن تسمّي سبع مرات وترسلها في البحر... لتري فتحا قريبا وفشلا في دولة الكفر غريبا".³

¹ ينظر الملحق 6

² انظر الملحق 4

³ انظر الملحق 4. ومما أدركنا الناس يتداولونه من كرامات الشيخ محمد محمود ولد بيّه أنه أيام قدوم جيش المستعمر على الحوض فزع الناس وهموا بالجللاء فأرسل اعلي ولد محمد محمود إلى الشيخ يطلبه الدعاء ليصرف النصاري عن أرضه ففعل الرسول ولم يأت الشيخ إلا بعد بعد انقضاء جزء من النهار، فاقسم الشيخ لا يبرحون مكانهم وكانوا قد بلغوا شجرة من الطلح إلى الغرب من تنبدغه ، فنزلوا بها وما يزال الناس يسمونها "طلحاية برتزان".

وقد كتب الشيخ محمد المامون في بعض رسائله إلى أهل حكامه ول اعل باي (سيلباي حاليا)، أنه نُصِرَ من الله بثلاث: «... الأولى لا تَكَلِّمْ مدافعهم [الفرنسيين] في نفر نحن فيه، الثانية تكثير القليل نائبا عن بيت المال، الثالثة علِّمنا الله جميع ما عندهم من الهنداس وكفى بهذا حظا».¹

ومن الأساليب التي استخدمها المقاومون في كيدي ماغه تسميم المقيم الفرنسي والعاملين في المركز الإداري الاستعماري في سيلباي مرتين، حتى دفعوهم إلى إخلاء المركز.²

وقد عانى المجاهدون من حملة دعائية قوية حاولت تشويه صورهم في المجتمع وصدّ الناس عنهم بإلصاق قمم الإفساد والتخريب وادعاء الباطل بهم. وفي رسالة للشيخ محمد المامون إلى الشيخ التراد نجده يتبرأ من قمة ادعاء المهلوية³. الملاحظة الرابعة: لقد كان استشهاد الأمير بكار في وقت مبكر من عمر المقاومة ضربة كبيرة أفقدتها وجهها متميزا وزعامة كانت في أشد الحاجة إليها. ومما يتداوله الناس في هذا الصدد أن أحد الأعيان ألح على الفرنسيين نصحا أن يعاجلوا الأمير الشيخ بعد معارك تَكَائَتْ الأولى قبل أن يتسامع الناس بصموده ويسارعوا إلى الانضمام إليه والالتفاف حوله وبين لهم أهم إن اتّهوا من أمره ضعفت هم من كان يأمل في الصمود والمقاومة. ولقد عثرنا على

1 الرسالة بحوزتنا.

2 وثيقة بحوزتنا:

Rapport politique annuel du territoire de la Mauritanie, année 1907 par le commandant militaire de la Mauritanie, le Colonel Montané-Capdebosc.

3 الرسالة بحوزتنا.

القريب تتمان بنفس الدرجة من الجِد والاجتهاد. ولعل هذا التقلب من الموقف إلى نقيضه أو ما أسميناه «قلق الولاء»، أحد الجوانب السلبية لسلوك بدوي ألف الترحال في كل شيء حتى في المواقف المصيرية أحيانا.

الملاحظة السادسة: الغلو في موالة الفرنسيين: إن بعض من تعاون مع الفرنسيين منذ البداية وإن لم يقاتل معهم بالسلاح إلا نادرا، قام بدعوتهم وجند لهم واستحثهم على احتلال باقي البلاد¹. ومن هؤلاء من زوّدهم بالأخبار حتى عن أقرب المقرّين إليه وعرض عليهم من الخدمات ما أخرجهم أحيانا. ويتحدّث تقرير فرنسي بحوزتنا عن رجل مشهور طلب من صاحب التقرير كتابه مخبرا رسميا للإدارة لكن المسؤول الفرنسي تغافل عنه مفسرا ذلك للجهة التي بعث إليها تقريره بأن هذا السيد لا يعي درجة الضرر التي سيلحقه كتابه بمكانته الاجتماعية والسياسية. وقد سبق أن ذكرنا التحريض على الأمير بكار واستعجال غزو آدرار.

وقد تزايد الاتجاه إلى قبول الفرنسيين قوة بعد أن استقروا في البلد وانتجت المراسلات المرفوعة اليهم بالأخبار واقتضاء الحوائج والمدائح تراثا تاريخيا وأدبيا من نوع آخر جديد وطريف؛ فمن الشعراء من امتدح الضبّاط المستعمرين ومنهم من مجّد القوة الاستعمارية وحضّ الناس على دعمها بما أوتوا من قوة. يقول أحدهم بمناسبة قيام الحرب العالمية الثانية داعيا الموريتانيين إلى إعانة ومؤازرة "أهل الدولة الفرنسية" في حربها على الألمان²:

حتم على الناس بذل المال في الحين لدولة قد أعانتهم على الدين
يا أيها الناس جودوا بالمتين لهم وبالألوف وجودوا بالملايين

1 انظر الملحق 3

2 انظر الملحق 7

فاللّال في حقهم نزر فقد بذلوا أمواهم كل حين للياضين
ولتبعوا ثمن الطيار عن عجل لكي يطير إلى الأعداء في الحين
ويقذف الله رعبا في قلوبهم حتى يلينوا لهم من غير تلين
إن الفرانس لا ينجو محارهم ولو تغيب بين الماء والطين
ظن الحارب أن الحرب ينقض ما من عزمهم شاع في كل الأراضين
فخيب الله ما ظنوا وما عملوا وأدبروا بعد تخريب وتحصين
إن الصراغم لا تقوى لصولتهم في مأزق الحرب صولات السراحين

بل توصّل بعضهم إلى أساليب غاية في الرقي الفكري والأدبي، لتبرير وتأصيل هذا الموقف، أثناء الحرب العالمية الثانية فهاجم النازية وجعل من الواجب الديني إعانة "الدول المتحالفة على حرب أعدائها العادين المنكرين لحقوق الإنسانية المعترفين لأنفسهم بالفضل على سائر الشعوب الآدمية المخلوقين في زعمهم من طينة غير طينة بقية البشر... والمقتول في هذه الحرب يعتبر شهيدا، إذا نوى المدافعة عن نفسه والذب عن حريمه ونوعه الإنساني ودينه الإسلامي".¹

ومن يطلع على حجم ونوع المراسلات التي تبادلها الفرنسيون مع كثير من المشايخ والشيخ والأمرء يجد عجبا. ولعلمهم اجتهدوا بما ظنوا فيه مصلحة البلد وأهله فغفر الله لنا ولهم.

ونحن نعتقد أن عدم إغفال هذا الجانب السلبي لتلك المرحلة يعطي صورة أقرب إلى الحقيقة عن ما حدث فعلا. لذلك أشرت إلى ذلك الجانب السلبي في مواضع من هذه المقدمة وفي بعض الهوامش وألحقت بالنص ما يدل عليه من وثائق مموها أسماء كتابيها، صونا لأعراضهم وتزها عن الخوض فيها.

¹ انظر الملحق 8

ولا نطن ذلك ينقص من قيمة المقاومة التي خاضها الموريتانيون بل هو يزيد لها لأنها تمت في ظروف صعبة داخلية وخارجية. ولأن الرجال الذين قاتلوا الاستعمار تلك العقود المتتالية، صمدوا أمام الدعاية المعادية وتعالوا على النكسات التي لحقت بروح المقاومين وعددهم من جراء تعاون هذه الشخصية المؤثرة أو تلك. وربما كانوا أفقه ممن أفتوا في نازلة دخول الاحتلال بالقبول والتعاون أو أوجبوا الهجرة عن الديار وإن كان كل قد اشتهد وأراد خيرا. وهم قطعاً أشرف عملاً وأطيب ذكراً ممن قاتلوا إلى جانب المحتل.

ونستخلص من تحليل الظروف التاريخية التي أرت كثيراً من الأعيان والعامة معاً مصلحة البلاد في ذلك التعاون، أن الأوطان تسقط من الداخل أولاً وأن الشروع الداخلي هي أول ما يتسرب منه الاستعمار إلى البلدان.

ولعل في اهتمام الرحالة الفرنسي Mage بالسودان في تگائت أثناء رحلته إليها ملتقى سنتي 1859 و1860 دليلاً ساطعاً على البحث المبكر عن فجوات ومنافذ لتفتيت البلاد من داخلها تمهيداً للدخول إليها.

وقد واصل كويولاني في نفس التهجج سياسته التي استطاعت تشتيت مجتمع البيضان لصالح المشروع الفرنسي أربعين سنة بعد ذلك فاستحق ثناء خاصاً من كاتب الوثيقة.

الملاحظة السابعة: استترف البلاد لصالح المستعمر: وليس أدل على ذلك من ما يذكره المؤلف نفسه من تجنيد 2148 موريتاني من منطقة النهر خلال سنوات الحرب العالمية الأولى. وهو عدد يمثل حوالي 5% من مجموع السكان كما يقول.

وتبرز الوثائق كذلك أن المستعمر لم يتورع عن تلقي الدعم المادي بجهوده الحربي. وكان ذلك الدعم مطلوباً ومأموراً به ولم يك قط بطيب خاطر رغم ما يسوقه المتبرعون من حجج تبرز تعلقهم بفرنسا وطيب نفوسهم بأنفسهم وأموالهم للدفاع عنها.¹

كانت تلك ملاحظات متنوعة بدت لنا ونحن ندرس فترة من أهم فترات التاريخ الموريتاني وأكثرها سطوة هي فترة دخول الاستعمار ومقاومة الموريتانيين له. وإننا إذ نقدم هذا العمل لتعريف بكثير من الثغرات التي تتخلله. ولعل أهمها عدم التعريف بأعلامه البشرية والجغرافية.

أما عدم تعريف الأعلام الجغرافية فمرده إلى ضيق الوقت وصعوبة البحث الدقيق لتحديد المواضع التي جرت فيها أحداث فترة ما قبل دخول كوبولاني لأن تلك الأحداث والوقائع جرت غالباً في الضفة الجنوبية من النهر. أما تحديد مواقع الأحداث بعد ذلك فلا نراه مستحيلاً، على أنه يحتاج من الجهد والبحث، ما لا يتيح لنا الآن ظروف العمل.

وتعترضه تعريف الأعلام البشرية الواردة في الوثيقة عقبة أخرى: نحن نعتقد أن الذين استشهدوا أحق بالتعريف والذكر من أعلام كثر تفص بهم الكتابات التي تناولت تلك الفترة. ويليهم المجاهدون الذين امتدت بهم الأعمار إلى ما بعد ذلك وضبطت إلى حد ما تواريخ وفياقم. إلا أن سرد أسماء أبطال وشهداء معارك المقاومة تراث ما يزال شفهياً في معظمه وكثير من مظان تحصيله يقع اليوم في مناطق خارج حدود الجمهورية الإسلامية الموريتانية ويتعذر الوصول إليها لأسباب عدة.

¹ انظر الملحق 9

وننتهز هذه الفرصة لنلتمس من الجميع أن يتجهوا لأهمية تسجيل ذلك التراث البطولي الذي يتسرب من أيدينا وذاكرتنا مع كل شيخ أو عجوز يغادران هذه الدنيا.

المترجم

مقدمة

توطئة

إن حدود موريتانيا صعبة التدقيق، فالْبِيْطَانُ يَختلطون بالمجموعات السكانية المغاربية بين السَّافَّةِ الْخَمْرَةِ وَوَادِ نُونٍ فِي الشَّمالِ، بينما لا يتجاوزون، في الشمال الشرقي، إِكْبِيدِيَّ وَالْجَوْفَ. أما في الشرق فيصلون حتى تَبْكُتُو. بل إن بعض أحيائهم تعيش وراءها في عمق بلاد الطوارق. وأخيرا، من انجأكو إلى كيهيدي في الجنوب، يمثل فُر السَّنْغَالِ وَالْخَطِ الْوَهْمِي الْمَارِ قَرَبِ الْخَافَةِ الشَّمَالِيَةِ لِسَيْلِبِيَّيْ وَأَيُّورُو وَكُؤْمَبُو الْخَدِ الْفَاصِلِ¹ بَيْنَ السُّودَانِ² وَالْبِيْطَانِ.

لم تكن موريتانيا دائما بهذا الاتساع وقد ظل السودان، إلى القرن الحادي عشر، ينتشرون فيها حتى أكثر من خمسمائة كيلومتر شمال فُر السَّنْغَالِ، وذلك قبل أن يدفعوا تدريجيا إلى الجنوب. ولا تزال أطلال قراهم ماثلة في تَغَاكْتْ وَأَدْرَارْ.

1 الواقع أن هذا الحد الفاصل هو حد وهمي بدرجة كبيرة فلم تعرف المنطقة التصنيف اللوني قبل الاستعمار وكتاباتهِ وسياساتهِ إذ لم يكن الناس في منطقة غرب إفريقيا الصحراوية يولون اللون أهمية في ترتيب المنازل الاجتماعية فكم من شريف فيهم سودوه وهو أسود اللون وكم من ذي منزلة اجتماعية دون تلك كان واضح اللون أو "أبيض" بمصطلحات الكتّاب ومن هم على شاكلته. للتوسع في هذا المبحث تنظر الدراسة القيمة التي كتبتها الباحثة الاجتماعية ماريليا فيلانتي:

La Négritude : une forme de racisme héritée de la colonisation française? Réflexions sur l'idéologie négro-africaine en Mauritanie, par Mariella Villasante Cervello. In Marc Ferro : Le livre noir du colonialisme XVI-XXI siècle : de l'extermination à la repentance, Hachette Littératures, ed Robert Laffont, 2003.

2 اخترنا تعريب Noirs بالسودان بدلا عن السود لما تحمله هذه من شحنة سلبية ولأن التطبيق الذي يريده المؤلف بين دلالتها العرقية ودلالاتها اللونية غير صحيح. (المترجم).

بدأ البيضان، في بداية القرن التاسع عشر، غزو الضفة اليسرى لنهر السنغال. وقد كان أمراء والو يعترفون بتبعيتهم لآثَرَارَزَه الذين امتدت سلطتهم وأعمالهم التخريبية رويدا رويدا إلى جُولُوف وكَايُوز.

تدعي أغلب القبائل البيطانية أصولا عربية، بل إن مجموعة كبيرة منها تتخذ أسد بن أنصار¹ أحد صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جدا لها.

أما الحقيقة فهي أن أغلب البيضان بربر² لأن عرب الغزوة الهلالية الذين دخلوا الصحراء الغربية، رغم نجاحهم في فرض لغتهم وسيادتهم على البلاد، كانوا قليلي العدد. وهم اليوم بطون متفرقة في آذَرَارْ وَاثَرَارْزَة وَلِبْرَاكْنَه وَالْحَوَظْ.

لم تصل البلاد إلى توازن سياسي واجتماعي إلا في نهاية القرن السابع عشر وتكونت منذ ذلك الوقت من أربع ممالك صغيرة كانت، وبوصف أدق، تحالفات قبلية (آذَرَارْ-آثَرَارْزَه-كَاكْنَت-لِبْرَاكْنَه) ومن مناطق بلا تنظيم سياسي محدد هي اِرْقِيَه وَالْحَوَظْ وَأَزْوَادْ.

كان المجتمع، في هذه البلاد الفوضوية التي شكلت فيها القوة الأساس الوحيد للحق، إقطاعيا قائما على مبدأ الحماية التي يجب على الضعفاء أن يشتروها من الأقوياء.

¹ لم نجد نكرا لهذا الصحابي ولا نعرف قبيلة تنتسب إليه. (المترجم).

² هذه " الحقيقة " غير مجمع عليها لسببين على الأقل:

الأول: الخلاف حول عروبة صنهاجة وهم أغلب سكان البلاد قبل الهجرات الهلالية الأولى في القرن 13. لقد أجمع أغلب الإخباريين والمؤرخين العرب على حميرية صنهاجة ولم ينقها إلا ابن خلدون وابن حزم. وبالتالي فمن ينسبهم الكاتب بربرا هم حمير عند أغلبية مؤرخينا.

الثاني: الخلاف الأكبر حول معنى العروبة أهي بالجنس والعرق أم بالإتعاء والثقافة. فإن كانت الأولى فمنا كان سيقول من هم على مذهب صاحبنا عن بربر المغرب العربي وفراعنة وأقباط مصر وكلدان وآشور ونبط العراق؟ فإن نفى عروبة هذه البلدان رضينا منه أن يجعلنا معها وإن أقر عروبتها قلنا له كيف يضيق عنا ما اتسع لها؟ (المترجم).

تربعت المجموعات العربية الأصيلة على قمة الهرم فسيطرت على البلاد وأنجبت في آذَرَارْ وأَقَرَارْزَه وتَبَرَاكْنَه الأمراء أو السلاطين (أَوْلَادُ عَمَنْ وأَوْلَادُ أَكْشَارْ وأَوْلَادُ اللَّبِّ في آذَرَارْ، أَوْلَادُ أَحْمَدُ بْنُ دَمَانْ وأَوْلَادُ دَمَانْ في أَقَرَارْزَه، أَوْلَادُ عَبْدِ اللَّهِ في تَبَرَاكْنَه، أَوْلَادُ اِمْبَارَكْ وأَوْلَادُ النَّاصِرِ في تَكَاكْتْ).

تلت هذه المجموعات، مجموعات أخرى غالبا ما تم الخلط بينها وبين الأولى مثل أولاد شغلان¹ الذين يظل أصلهم العربي أقل تأكيدا² رغم أنهم لا يدفعون أية غرامة. تشكل هاتان المجموعتان بني حَسَّانَ الذين نازعتهم القبائل المرابطية [الطَّلْبَة أو الزوايا]³ على الرياسة طويلا، لكنها بعد هزيمتها النهائية أواخر القرن السابع عشر أجبرت على وضع سلاحها ومعاناة حمايتهم الباهظة التي فرضوها عليها.

أما آزَنَّاكْغَه، أحفاد قبائل البيض القديمة التي سكنت موريتانيا، فقد أنزلهم بنو حسان مزلة الأفتان وأخضعوهم لغرامة ثقيلة. وكان شراؤهم متاحا وبذلك حصلهم الزوايا من المحاربين وملكوهم وسموهم غالبا التلاميذ.

أما الدرجات السفلى من السلم الاجتماعي فقد تشكلت من لَحْرَاطِينْ وهم عبيد تحرروا لأسباب متعددة وظلوا يحافظون هم وذريتهم على نوع من الولاء لسادتهم السابقين. كما تضم هذه الفئة العبيد المشتركين من السودان أو المسروقين منهم.

شهد هذا التنظيم بعض التغيرات في بعض المناطق كتحرر إدْوَعِيشْ-آزَنَّاكْغَه في مطلع القرن التاسع عشر من وصاية العرب أولاد الناصر وأولاد اِمْبَارَكْ

1 هكذا في الأصل والأرجح أنه قصد أولاد غيلان فصحف. (المترجم).

2 لا نعلم خلافا في نسب أولاد غيلان. (المترجم).

3 التوضيح من المترجم.

وطردهم إياهم إلى الحوظ وانتصار مَشْطُوف، غارمي إِدْوَعِيشْ، على سادقهم
حوالى 1830 وانتزعهم لاستقلالهم ليصبحوا اليوم أكثر القبائل قوة في الحوظ.
ولا يعترف عرب أولاد أَذْثِيمْ ولا أولاد بَسِيعْ ولا القبائل الكثيرة من تَكْنَه
وَأَرْقِيَّاتْ في الشمال والشمال الشرقي من آذَرَارْ وعلى التخوم المغربية، بأية
سلطة¹.

وفي الختام، لا بد من الإشارة إلى أن بعض المجموعات هي في نفس الوقت زاوية
ومحاربة مثل كَنْتَه وَتَجْكَائْتْ الذين نكاد نجدهم في كل مكان من الصحراء.
وكذلك حال أهل سيدي محمود الذين ينحدرون من إِدْوَلْحَاجْ، وقد أصبحوا
يضاهون إِدْوَعِيشْ ويهيمنون على أَرْقِيَّيَه.

كانت موارد بني حسان الرئيسية تنحصر في الضرائب شبه الشرعية²، التي
يقبضونها من الزوايا وآزْناكْه من جهة وفي ما تدره الغزوات من جهة ثانية وهو
الأهم.

ظلت حالة الحرب دائمة بين القبائل ولم يكن أي من سكان البلاد يستطيع أن يخلد
إلى النوم ليلا في مخيمه وبين مواشيه، مطمئنا إلى أنه لن يسلب تماما أو يقتل قبل
الصباح.

كان الزوايا، وهم القسم الأكثر ثراء وإثارة للإهتمام³، يمارسون الزراعة والتجارة.
وبينما ظل شعورهم الديني عميقا وتذوقهم للدراسة شديدا، لم يكن لدى حسان من
الإسلام غالبا إلا الاسم وكادوا يعتبرون معرفة القراءة والكتابة عيبا ومذمة⁴.

¹ ومع ذلك فإن تَكْنَه يعتبرون أَرْقِيَّاتْ آزْناكْه تابعين لهم.(المؤلف).
² هكذا ! (المترجم).

³ لماذا؟ وأي نوع من الإهتمام يثيرون لديه أكثر من غيرهم؟(المترجم).

⁴ قد يكون هذا الحكم جالرا عن الواقع فرغم ابتعاد أغلب بني حسان آنذاك عن طلب العلم
إلا أنهم يتباينون في ذلك. وإذا كان طلب العلم واتخاذ مهنة أمرا ذهب به الزوايا وبه
تميزوا فإن بعض قبائل بني حسان أنجبت علماء أجلاء وكادت تعيد داخلها إنتاج التمايز

وسيطل هذا العرض القصير عن مجتمع البيضان ناقصا، مالم نذكر المشايخ الكبار كالشيخ سيدياً¹ [بآبه¹] والشيخ سَعْدُ بُوَّة والشيخ مَاء العَتِين، ذلك أن البيضان، وهم بربر حقا من هذه الزاوية²، يكون احترامهما شبه وثني لذوي البركة هؤلاء ولأن باستطاعتنا القول إن أحد العوامل الرئيسية لنجاح "نشر السلم في موريتانيا" كان التأثير المعنوي الكبير الذي تمتع به السيد كربولاني على الشيخ سيدياً بآبه.

أصبح بنو حسان أعداءنا منذ اليوم الذي أردنا فيه استعمار السنغال فقد رأوا في هذه السياسة الجديدة تقليصا لفتوحاتهم ومنعا لغزواتهم المربحة وسيطرة قريبة على بلادهم وهدما لسلطتهم ومنايع ثرواتهم.

ولذلك، فإن شرفهم ومصلحتهم كانا العاملين الوحيدين اللذين دفعاهم إلى مواجهتنا ولم يكن الجهاد، غالبا، سوى ذريعة لأعمال النهب.

أما الزوايا، وكانوا يرغبون في الإفلات من نير المحاربين الثقيل، قد فهموا أيضا أن الأقدار ستدفعنا إلى احتلال بلادهم فأرادوا أن يجري هذا الاحتلال لصالحهم. ولذلك استقبلونا بالترحاب، بل إن بعضهم قد طلب تدخلنا!

ورغم هذا التعارض فإن تدخلنا لم يكن كافيا ليقطع هائيا الروابط الاجتماعية بين مستويات هذا المجتمع الأرستقراطي، لقوة تلك الروابط في موريتانيا كما في باقي أجزاء الصحراء، من جهة أولى، ومن جهة ثانية لأن الزوايا، ولم يكونوا قد تأكدوا

الوظيفي بين السيف والكتاب الذي يميز مجتمع البيضان عموما. ولعل أولاد الناصر أحسن مثال على ما ذهبنا إليه فحسانهم حسان وزواياهم زوايا. وإضافة إلى ما سبق فإن بني حسان وإن تبليئوا في الإهتمام بالتعليم درجات فقد أجمعوا على إكرام أهله والتبرك بهم والإعتقاد فيهم. (المترجم).

1 التوضيح من المترجم.

2 إن كان إجلال المشايخ مما يبربر به الكاتب الموريتانيين فإن شعوبا كثيرة أخرى في العالم الإسلامي وغيره ستقلب بربرا!! ثم ماهي المشكلة أن يكون أصل كل سكان البلاد بربرا؟ وما العيب في ذلك؟ (المترجم).

من بقاء احتلالنا، ظلوا يحشون انتقام سادتهم السابقين ويساعدونهم ضدنا بالمعلومات والتموين. وأخيرا فقد استعصت تلك الروابط على التفكك لأن الطرف¹ دفع عددا من هؤلاء الزوايا إلى الجهاد. وكان أفلاميد² الذين سبوا لنا أكبر الخسائر بين سنتي 1903 و1909، مجندين في أكثر الأحيان، منهم.

لقد برز البيضان خصوصا جديدين لنا وأبدوا في كثير من المناسبات شجاعة حقيقية. وعوض ذكاءهم المتقد وبعض ما تمتعوا به من حس سليم في أمور الحرب وكذا حركتهم ومهارتهم في استخدام الميدان، النواقص الناتجة عن افتقارهم إلى التنظيم والقيادة وعن غياب كل انضباط بينهم.

يستند تكتيك البيضان العفوي³ إلى المفاجأة والتطويق. ولئن كانوا عاجزين أمام المراكز وكذلك أمام كل مفرزة محروسة جيدا، إلا إذا تمتعوا بتفوق عددي كبير، فإنهم يحسنون استغلال كل هفوات وأخطاء الخصم ويكادون لا يهاجمون أبدا إلا إذا حصلوا على المعلومات الاستخبارية الضرورية وتحروا اللحظة المناسبة.

لم يكن البيضان شديدي الخطورة في بداية الغزو وهم لا يملكون إلا بنادق الحاجر والبنادق ذات المكبس إلا أنهم حين حصلوا على أسلحة سريعة الرمي، كشفوا عن قدرتهم على مقاومة رماتنا.

يكن تفوقنا في الانضباط والتدريب والتأطير ولا سيما في ما تتيحه هذه الخصال لمفارزنا من قدرة على المناورة.

¹ هكذا! (المترجم).

² التوضيح من المؤلف.

³ naturel. أي الذي لم يدرس عظميا وإنما هدت إليه الفطرة السليمة. (المترجم).

القسم الأول

العمليات المنفذة من طرف "وحدات السنغال المختارة"

نهاية القرن 17 وبداية القرن 18.

ظلت علاقاتنا بالبيطان، حتى الثورة¹، تجارية فقط، تستهدف، حصرياً، تجارة الصمغ التي تمارس على نهر السنغال في شبه معارض سنوية تدعى محطات². وكانت تلك التجارة تتم وفق شروط مجحفة ومذلة، فلكي يسمح زعماء البيطان ببيع الصمغ لهم، لم يكن التجار³ الفرنسيون مرغمين فقط على أن يدفعوا لهم غرامات حقيقية كنا نسميها "العوائد" بل وكانوا كذلك مجبرين على الاستجابة لكل نزواتهم. ورغم ذلك، فقد كانت هذه التجارة، وهي أحد الموارد الرئيسة لتلك الشركات المحظوظة، عالية الأرباح لتجعل تلك الشركات تصر على احتكارها وتعمل بجهد وبكل الوسائل المتاحة لمنع المهربين من منافستها فيها على الشواطئ الموريتانية. وهذا ما يفسر الصعوبات التي واجهتها تلك الشركات مع الهولنديين في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر.

¹ أي الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة 1779. (المترجم).
² نعرف اليوم من هذه المحطات: 1. محطة لبراكنة التي يسميها الفرنسيون *le terrier rouge* وهي من أقدم المحطات التجارية بمنطقة النهر. إذ ذكرها رحالة فرنسي زارها في نهاية العقد الرابع من القرن 17. يعتقد أن أطلالها توجد على بعد بضع عشرات من الكيلومترات شرق كاي و دوز. 2. محطة اترارزه ويسميها الفرنسيون أحياناً *L'escalade du desert* تقع على الضفة الموريتانية من النهر على بعد حوالي 10 كلم شمال غربي مدينة روصو. يظهر ذكرها في للكتابات الفرنسية منذ النصف الثاني من القرن 17. 3. محطة دارمانكور *escalade de darmancour* مرسى تجاري على بعد حوالي 100 كلم شمال مركز اندر. (بتصرف عن: د مصدو ولد محمّن: وثائق من التاريخ الموريتاني. ص: 89). (المترجم).
³ أي التجار الفرنسيون (المترجم).

منذ منتصف القرن الخامس عشر، جاء البرتغاليون ليتاجروا مع البيطان على شاطئ الأطلسي وتقدموا حتى دخلوا آذْرَارَ حيث أقاموا مراكز قرب أَطَارَ وودَّانَ.

وفي سنة 1555، أمر الملك الفونسو الخامس ببناء قلعة في جزيرة آرغين استولى عليها الهولنديون بعد ذلك سنة 1638 وحصنوها بانتظام، بالاستحكامات الدفاعية والخنادق العميقة والطرق المغطاة والمعاقل المنفصلة. ومع ذلك فقد أُجبروا على تسليم هذه القلعة للإنجليز سنة 1645، لكنهم استعادوها منهم في السنة الموالية. تاجر الهولنديون مع زعماء البيطان واستخدموا كل الوسائل لجذب القسم الأكبر من تجارة الصمغ لأنفسهم.

وعندما رأت شركة السنغال البيطان يهجرون محطات النهر وضعت سنة 1678 تحت إمرة **Ducasse** -الذي أصبح بعد زمن قائدا للجيش البحري- سفينة تقل ستة وخمسين مدفعا وطاقما من أربعمئة وخمسين رجلا وكلفتها بالاستيلاء على آرغين.

نزل دو كاس دون مشكلة قرب الميناء في الثاني والعشرين من أغسطس. وكان مدير شركة السنغال قد أمده بتسعين رجلا.

بحلول السادس والعشرين، كان الطريق المغطى قد التزع. وفي الثامن والعشرين فُتحت الثغرة. استسلم الوالي الهولندي يوم التاسع والعشرين فاكتفت الشركة بتفكيك التحصينات والاستيلاء على المدافع.

استغل الهولنديون، في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر، من حروبنا البالسة والأزمات التي كانت الشركات المتعاقبة [على المنطقة]¹ تتخبط فيها، فاستعادوا آرغين باسم ألكتر [أمير² Brandenburg وظلوا فيها حتى 1721.

1 التوضيح من المترجم.

2 التوضيح من المترجم.

وفي هذه الفترة، سلحت شركة الهند في مينائي Le Havre و Lorient ثلاث سفن إنزال وفرقاطة وثلاثة زوارق حراسة نقل القوات الضرورية لاستعادة القلعة. يوم السادس والعشرين فبراير، رمت هذه العمارة التي قادها Periet de Salvere قريبا من الجزيرة وجهاز ست قطع مدفعية استطاعت فتح ثغرة في الحصينات.¹

لكن، في الثامن من مارس، لحظة الأمر بالصلوة، اكتشف المهاجمون أن القلعة تم إخلاؤها. لم تكن الحامية تتجكون إلا من أربعة أوروبيين وقوة من البيطان وقد استطاعت الانسحاب إلى اليابسة. ترك بيريه دي سالفير مفرزة صغيرة في القلعة يقودها السيد Duval.

أثناء استيلاء السيد بيريه على آرغين، كانت سفينة هولندية تنقل من أوروبا بعض التعزيزات وواليا جليدا هو السيد Jean²Deers. توجه الوالي الهولندي إلى Portendik³ حيث حصل بدأ بأن حصل من أغل شَنْظُورَه ملك أَلْأَرْزَه على الإذن بإقامة مركز فيه.

وبعد ذلك تأمر هذا الوالي ليساعده أغل شَنْظُورَه على استعادة آرغين. وبما يوسف له أن أعطاه وفظائع دوفال، قد سهلت هذه السياسة.

في الخامس والعشرين أكتوبر 1721، طوق بعض الهولنديين مع أغل شَنْظُورَه وألف وخمسمائة من البيطان القلعة. صمد الوالي de Both، الذي كان دوفال قد سلمه القيادة، حتى نفدت الذخائر ثم استسلم. وقد كانت الحامية قد تقلصت كثيرا

¹ انظر الملحقين 9 و 10.

² لعل المقصود Jean Reers (المترجم).

³ يرجح البعض أن يكون اسمها في الأصل ميناء تندغه Portandgha أو ميناء هدي Porthaddy تدعى اليوم أجزيده وتقع على شاطئ البحر على بعد 30 كلم شمال نواكشوط (المترجم).

بفعل السكورييت وتناقص عدد أفرادها من ثمانية وأربعين إلى ثلاثة عشر رجلاً فقط.

ما إن علمت شركة الهند بهذه الأحداث حتى سلحت في لوريان عمارة من أربع فرقاطات وغلبيون وسلمت قيادتها إلى نقيب البحرية الملكية **Froger De La Rigaudiere**.

تم الإنزال في آرگين يوم السابع عشر من فبراير 1723 لكن الهولنديين كانوا قد ردموا أحواض الجزيرة ولم يتيسر للمهاجمين تنظيفها.

رفع فروجيه دي لاريغوردير الحصار وتوجه إلى أجريده حيث جدد مع أغل شظورة اتفاقية 1707 وترك حامية صغيرة في المركز الذي كان الهولنديون قد أخلوه من قبل ثم أبحر إلى فرنسا؛ إلا أن هذه الحامية ركبت البحر إلى فرنسا في نفس اللحظة تقريباً بعد أن لغمت القلعة. لم تعط الحملة إذن أية نتيجة.

في بداية سنة 1724 جهزت الشركة عمارة حملت ثلاث سرايا بحرية وأعطت قيادتها للسيد برييه الذي سبق أن استولى على آرگين ثلاث سنوات قبل ذلك. نزل برييه يوم الخامس عشر فبراير 1724 وبسرعة كبيرة جعلت الهولنديين لا يجنون الوقت لردم الأحواض. يوم السابع عشر سلحت البطارية فاستسلم الهولنديون عند القذيفة الثالثة.

لم يدم الاحتفاظ بهذا الحصن إلا سنوات قليلة بعد ذلك إذ لم يكن الفرض من امتلاكه إلا منع التهريب. وفي سنة 1727 تم تخريبه وهجر.

القسم الثاني

إعادة احتلال السنغال

الصراعات التي خاضها فيديرب بين سنتي 1854 و 1858

طرد البيطان من الضفة اليسرى لنهر السنغال.

1. منذ إعادة احتلال السنغال، أصبح على الحكومة أن تقلق من ادعاء البيطان السيادة على الوالو. ولأننا كنا قد عقدنا اتفاقية مع أبرال¹ والو للحصول على إقطاعات وأراضي، بدأ أنوارز² الأعمال العلوانية وجاؤوا لغزو وحرقت كثير من القرى في الوالو. لكن حامية أندر³ بقيادة النقيب البحري de Makan طردتهم.

وفي سنة 1821 تخلوا لنا عن حقوقهم المزعومة في المنطقة. بدأ الإنجليز في هذه الفترة مباحثات مع الأمير³ لجذب تجارة الصمغ إلى بورنالدليك بل قيل إنهم فكروا في إقامة طريق تجاري تمتد منه أو من آرگين حتى تَبْكُو.

¹ لقب ملك الوالو. (المترجم).

² واسمها الفرنسي سين لوي، أول مركز أقامه الفرنسيون على الساحل السنغالي حوالي 1638. انتزحه الإنجليز منهم مرتين إبان تنزع الطرفين على المنطقة. استعاده الفرنسيون من الإنجليز سنة 1817. جعله فيديرب عاصمة مستعمرة السنغال وظل كذلك حتى اختيرت داكار بدلا منه سنة 1903. ظل الفرنسيون يحكمون موريتانيا منه حتى سنة 1958. (المترجم).

³ أي أمير أنوارز² والمقصود هنا الأمير أخضر سلقم والد مُحَمَّد لخبيب. (المترجم).

ومن أجل وضع حد لهذه المؤامرات، أجاز الوالي في مارس 1823 إنشاء مركز في بورنالدريك لكن هذا المشروع لم يتم.

في سنة 1827، خلف محمد لَحْيِبْ وألدهُ أَعْمَرُ وَلَدُ الْمُنْتَخَرِ¹ فأصبح لسنوات طويلة عدونا الأكثر ضراروة. وفي نفس السنة استأنف أترارزَه عيَتهم في الوالو وعادوا إلى مهاجمة السفن الفرنسية في نهر السنغال.

في سنة 1829 جُرِدَتْ حملات عدة ضد أترارزَه تكون معظمها من الحمالين وعُقِدَتْ اتفاقية جديدة معهم. وكان من النادر أن تمر سنة لا يوقع فيها والي المستعمرة اتفاقيات مع زعماء البيطان لكن هذه الاتفاقيات وإذ لم تدعم بالإظهار شبه الدائم لقوتنا، لم تكن لها أية قيمة.

استؤنفت العمليات الحربية سنة 1833 لأن محمد لَحْيِبْ² تزوج ابنة براك الوالو ووريثه.

وبعد سنتين من الصراع، تخلى أمير أترارزَه عن حقوقه في الخلافة؛³ لكنه في سنة 1848، استغل الاضطرابات التي حدثت في المستعمرة جراء تحرير العبيد وأعلن ابنه وريثا لعرش الوالو بل وزاد على ذلك بأن حرص سودان الدَر على الثورة. وكان محمد لَحْيِبْ يقول في الملا إنه سيذهب يوما ما ليصلي في كنيسة الدَر وإنه سيرمي الأوروبيين في البحر.

أصبحت الحالة لا تطاق ولم تكن متقدمين عن ما كنا عليه في منتصف القرن الثامن عشر. ومع أن الوالي Douet Willaumez كان قد وضع منذ

¹ أمير أترارزَه 1800/1215-1829/1245. (المترجم).

² أمير أترارزَه 1830/1245-1860/1277. (المترجم).

³ أي وريثة عرش الوالو. (المترجم).

1844 خطة لمعالجة الوضع إلا أنها لم تعرف طريقها للتنفيذ إلا سنوات بعد ذلك زمن ولاية فيديرب.

بدت حكومة نابوليون الثالث أكثر جرأة من حكومة لويس فيليب وقررت سنة 1854 حسم قضية السنغال. تلخصت التعليمات المعطاة في هذا التاريخ كما يلي:

"يجب أن غلبي إرادتنا على زعماء البيطان في ما يتعلق بتجارة الصمغ. يجب إلغاء المخططات سنة 1854 واستخدام القوة إذا لم تتمكن من الحصول على ما نريده، بالإقناع. يجب إلغاء كل إتاوة تدفعها إلى دول النهر إلا ما نعطيه متى شئنا، للزعماء الذين نرضى عنهم، دليلاً على أرحمتنا. يجب أن نكون سادة النهر. يجب تحرير ألوالو تماماً بانتزاعه من أقرارزه. وبصفة أعم، علينا أن نحتمي من البيطان، السكان المزارعين على الضفة اليسرى. وأخيراً يجب الشروع في هذه الخطة باقتناع وتصميم."

طلب سكان المستعمرة الفرنسيون، الراغبون في أن تتبع هذه السياسة بمواظبة وثبات، من وزير المستعمرات أن يكون الولاية أكثر استقراراً - تتابع على السنغال تسعة عشر وال بين سنتي 1840 و 1853 - وأن توكل هذه المهام إلى لقيب الهندسة فيديرب، المقيم بالمستعمرة منذ سنوات عدة حيث يحظى بالتقدير.

رُقِّي فيديرب إلى رتبة رائد وعينه وزير المستعمرات واليا في مايو 1854. جعل تيفطرس محمد لَحْيِب وملكة ألوالو كل تفاوض عديم الجدوى فاستعد فيديرب لمهاجمتهما في نفس الوقت، كلا على حده، رغم تواضع القوات التي كانت لديه والمتكونة من:

- أربع سرايا مشاة بحرية.
 - سرية رماة مكونة سنة 1848 من عبيد محررين.
 - سرية خيالة
 - سرية مدفعية بحرية.
 - سرية من العمال المهنيين في البحرية.
 - مفرزة من [كتيبة¹] الهندسة الثالثة.
 - وكان في المحطة البحرية:
 - أربعة زوارق حراسة (avisos).
 - زورقا مدفعية.
 - سفينتان لحمل الخيول.
- كما قدم سودان الدر كل ما احتجنا له من المتطوعين. وكانوا شجعانا ولكن غير منضبطين.
- وفي سنة 1857، أنشأ المقرر الصادر في الواحد والعشرين يوليو، كتيبة الرماة السنغاليين واكمل عديدها في أغسطس سنة 1858.

2 : احتلال والو:

خلال شتاء 1854_1855 استقرت قبائل أثَرَارَزَه، كما هو الحال كل سنة، على الضفة اليسرى لنهر السنغال. بدا أن اكتساح هذه القبائل سيكون سهلا إذا جعلنا حامية أَلَدَرْ والأسطول يعملان في نفس الوقت. لكن البيضان، وقد أُنْذِرُوا، قطعوا النهر وتوغلوا داخل أَلْوَالُو². أمكن اجتياح قبيلة عَزُونَه وهي

¹ التوضيح من المترجم.

² إنما عني الضفة الموريتانية من النهر (المترجم).

الوحيدة التي بقيت بين دِيكْتَنَ وَأَيَّاقَارَ فقتل منها النقيب Bilhau ستة رجال أو سبعة وأسر سبعين وغنم سبعمئة رأس من البقر.

3: أحداث سنة 1855:

كتب الوالي إلى زعماء ألُوَالُو يعلمهم أنه سيكمل قريبا طرد البيضان من هذه المنطقة ولم يهمل أي شيء لجعل الملكة أَلْدَتْ يَالَا [جمبت¹] وشعبها يفهمون مصالحهم الحقيقية وينضمون إلينا في الصراع الذي بدأ.

ظل كل هذا بلا جدوى وبدأ ألُوَالُو العمليات العدوانية ضدنا حين فاجأت مفرزة من فرسانه ومشاته فصيلا من خيالتنا كان متوجها من دَغَاة إلى رِيشارثُولَ تحت قيادة النقيب Bilhau.

ولولا الزورق البخاري Le Grand Bassam الذي تمكن من نجده هلك هذا الفصيل ولتمكن العدو بعدده الكبير من إبادته.

في الواحد والعشرين من فبراير، غادر فيليب ألْدَرْ برتل من أربعمئة رجل تقريبا من كل الصنوف ويمثلهم من المتطوعين. كما ضم هذا الرتل قذافين اثنين وفصيل خيالة.

ونتيجة لنقص وسائل النقل، اضطر الرتل إلى ترك الأمتعة والحقائب والأغطية في لَامْبَسَارَ يوم الثاني والعشرين وأُعْطِيَ كُلُّ رَجُلٍ اثني عشرة قطعة بسكويت زادا لخمسة أيام.

في الخامس والعشرين، وجد الرتل نفسه أمام البيضان وأهل ألُوَالُو متجمعين في أحواز أَدْيُوْبُولْدُو. بعد طلقتين من القذاف، دحرت صولة بالحراش قام بها

¹ التوضيح من المترجم.

الكارابيني [الرجال المسلحون بينادق الكارابين]¹ يقودهم النقيب Benoit القسم الرئيسي من قوات العدو، بينما كانت الساقة بإمرة النقيب Bruyas تصد مفرزة من الخيالة والمشاة البيضان حاولت الالتفاف على ميسرتنا وتطويقنا. وأكمل النقيب Latouloudre بخيالاته هزيمة العدو. لم يكلفنا هذا الاشتباك الظاهر إلا ثلاثة قتلى وثلاثة جرحى. تقدم الرتل إلى أندور ثم رجع إلى أندور عبر جزء من أراضي الوالو. خلال عشرة أيام، كنا قد قتلنا مائة رجل وأسروا مائة وخمسين آخرين وغنمنا ألفي رأس من البقر وثلاثين فرسا وخمسين حمارا وعددا كبيرا من الأغنام. كما أحرقنا خمسا وعشرين قرية. في مارس ويونيو، جاب رتلان آخران الوالو في كل الاتجاهات ولم يكن زعمائهم ومحاربوه ليحجزوا على مغالبتنا. على إثر هذه العمليات، تجمع سكان الضفة اليسرى فأعيدت لهم قراهم وأحيطت بنقاط دفاعية وحيت بحراس مقيمين وبطرادات الأسطول فجاءهم القرويون بالعداوة لاثترارزّه وأدوا لنا أفضل الخدمات. كان ما يريده فيديرب، في البداية، إحياء مملكة الوالو مقابل شرط واحد هو تحالفها معنا ضد البيضان. لكن إصرار زعماء هذه المنطقة على ولائهم للملك اثترارزّه دفع إلى إعلانها أرضا فرنسية قسمت إلى خمس دوائر (دجبر 1855). وقد شارك التمردون في صراع اثترارزّه ضدنا حتى إبرام اتفاقية السلام في سنة 1858.

¹ التوضيح من المترجم.

العرب ضد أترارزه وحلفائهم من فبرأكنه:

بعد اكتساح قبيلة عزوئه واحتلال الوالو، لم يعد بإمكان محمد نخيب تجنب محاربتنا. كتب إليه فيديرب أن السلم لن تستب إلا بالشروط التالية: إلغاء العوائد، إلغاء المخططات، التحلي عن الوالو، إيقاف أعمال النهب على الضفة اليمنى¹، فأتى جواب محمد نخيب على النحو التالي: "تلقيت شروطك وهذه شروطي: زيادة عوائد أترارزه ولبرأكنه والوالو، التدمير الفوري لكل الحصون التي أقامها الفرنسيون في البلاد²، منع كل سفينة حربية من دخول النهر، سن إتوات جديدة على أخذ الماء والحطب في كَتَ أَلَدَر وُبُوبَ أَلَدِيُو وأخيرا وقبل كل مفاوضات: إرجاع فيديرب صاغرا إلى فرنسا".

كانت العمليات ضد البيضان، باستثناء بعض الأرتال المتوسطة التي سنذكرها لاحقا، غارات جريئة وعمليات اكتساح متواترة نفذتها مفارز من القوات النظامية وقام بها، خصوصا، متطوعون من أَلَدَر ومن سكان الضفة اليسرى الذين كانوا يزدادون جرأة كلما تضاءلت هبة البيضان وقل الرعب منهم. أخذت سفن الأسطول من زوارق حراسة وزوارق مدفعية وزوارق شراعية وغيرها، قسطا هاما جدا بل وبطوليا من هذه الحملات، ناقلة وحامية الأرتال الصغيرة. وفي أحيان كثيرة، شاركت تلك السفن بسرايا إنزالها وحمايتها، في العمليات، إلى جانب تلك الأرتال. وهكذا كان الاتحاد السام بين البحرية والقوات البرية أحد أفضل عوامل النجاح في الصراع الذي خاضه فيديرب.

¹ أي الضفة الموريتانية. إلا أن يكون الأمر قد التبس عليه فلراد اليسرى أي السنغالية الآن فكتب اليمنى وذلك ما نرجحه لأن الصراع حينئذ كان حول السيادة عليها. (المترجم).
² أي بلاد السنغال الآن. (المترجم).

في ابريل 1855، قرر فيديرب القيام بعملية مشاغلة على أرض أَتْرَارْزَه ذاتها،
آملا هذه المناورة أن يجبر البيطان الباقيين في الوألو على مغادرته وأن يستخبر عن
القوات التي جمعها محمد لَحْيِبٌ وهي قوات مهمة كما قيل.
في الثاني عشر من الشهر، غادر فيديرب أَلْدَرْ بوتل من ألف وخمسمائة رجل بمن
فيهم المطوعون، محمولين على السفن التجارية: le Marabout, Le
Serpent, Le Grand Bassam Rubis, L'ancreon, وسفينتي
حظائر.

في اليوم التالي، جاء النبا إلى رِيشَارْتُول أن محمد لَحْيِبٌ جمع كل قواته لغزو
الوألُو، لكن فيديرب ظل على إصراره، مطمئنا إلى مراكز حراسة المنطقة وإلى
برج كَيْبَارُ المقام حديثا للدفاع عن المناطق القريبة من أَلْدَرْ.
نزل الرتل في الليلة الفاصلة بين الرابع عشر والخامس عشر من الشهر قرب
أضأة مَوْرَكَّـنْ. وعلى بعد خمسة عشر كيلومترا داخل أَتْرَارْزَه عثر على بعض
الأحياء فأكسحها.

في الثامن عشر ابريل 1855، عاد فيديرب إلى رِيشَارْتُول آملا أن يجد محمد
لَحْيِبٌ، لكن ملك أَتْرَارْزَه، طبقا للمعلومات المستفادة، كان قد توجه إلى
لَامْبَسَارْ وَأَلْدَرْ. ولما كانت كل الترتيبات قد اتخذت سابقا للدفاع عن المدينة،
فقد قرر الوالي اجتياح أحياء مهمة علم بوجودها شمال بُوَكْ.
نزلت القوات على اليابسة ليلة الواحد والعشرين وبلغت الأحياء المقصودة عند
طلوع النهار. غنمنا ثلاثة آلاف رأس من البقر وأخذنا عشرة أسرى.
وفي يوم 24، قفل الرتل عائدا إلى أَلْدَرْ.

أثناء هذه الأحداث، كان برج نيار مسرحا لعمل بطولي متميز هكذا رواه فيديرب: ". . جاء إذن محمد نخيب مع كامل جيشه ليهاجم البرج الذي يدافع عنه رقيب مشاة البحرية Brunier وأحد عشر رجلا من وحدته ومدفعيان. كان في الطابق العلوي لهذا البرج السداسي الأضلاع، قذاف جبلي يرمي من نوافذ تمثل فتحات الرماية بينما كان الطابق الأرضي مثقوبا بثماني فتحات أخرى.

انقض البيضان على البرج باستماتة غير معقولة منذ الساعة صباحا وحتى منتصف نهار الحادي والعشرين. وكان الفرسان يأتون لسد فتحات الطابق الأرضي بينما يحاول آخرون تخريب الجدران بخناجرهم. أحرق المحاصرون كوخا قريبا من البرج كان يستخدم مطبخا وكذلك امرأة كانت تحاول إنقاذ أمتعتها ولم تخرج بالسرعة الكافية¹. امتلأ البرج بالدخان والشرارات وكان المدافعون يمشون أن تنفجر ذخائرهم في أية لحظة. وفي لحظات حرجة كهذه ورغم الصيحات الغاضبة من قرابة الألف من الأعداء الذين لم تكن الأبواب إلا لتزيدهم حنقا، لم يفقد هؤلاء الجنود الشجعان، ولو للحظة واحدة، هدوء الأعصاب الذي كان جد ضروري لهم. ولقد كانوا قرروا أن يفجروا أنفسهم مع بقية ذخائرهم إذا استطاع البيضان تسلق البرج. وأخيرا نالت شجاعة هؤلاء الجنود مكافأتهما، فبعد خمس ساعات من الصراع هرب البيضان الذين أضرت بهم قذيفة أخيرة سقطت قرب الملك، تاركين جنب المركز ما يناهز الثلاثين جثة وحاملين كثيرا من الجرحى. أصيب الرقيب ابروني واثنان من رجاله بجروح طفيفة".

¹ الظاهر من سياق الأحداث أنها احترقت ولم يحرقها أحد كما قد يفهم من النص. (المترجم).

انسحب محمد لَحْيِبٌ مسرعاً إلى روصو. وبعد فترة، تذرّع بأن سلطان آذَرَارْ يهدد بلاده فأخلى الوَالُو من كل جيشه وقطع النهر مبتعداً مع مخيماته شمالاً.

4: أحداث سنة 1856:

تصالح ملك أترارزَه وسلطان آذَرَارْ في مطلع سنة 1856، كما عُقد عند الشيخ سِيدِيَا، الزعيم الديني الكبير في منطقة اترارزه، اجتماع حضره جميع زعماء أترارزَه ونوقشت فيه وسائل مواصلة النضال ضدنا.

وكان محمد لَحْيِبٌ، وقد فهم أن الوَالُو ضاع منه نهائياً، يتوعد رغم ذلك بمحقنا إن دخلنا بلاده. وأما في الجهة الأخرى فكان السودان ينتظرون هذه التجربة الأخيرة ليؤمنوا بتفوقنا النهائي على البيضان.

ولما كنا نجهد حجم القوات التي يمكن لهؤلاء الأعداء أن يجمعوها ولنفادي فشل ربما يكون أثره خطيراً جداً في كامل المستعمرة، جمع الوالي ألف رجل من القوات¹ والبحرية وألفاً وخمسمائة متطوع وأربعة قذافات. وبما يؤسف له أن وسائل النقل كانت شبه معدومة، فلم نكن نملك سوى ستة جمال وحوالي أربعين فرساً وبغلاً، لنقل ما يحتاجه ألفان وخمسمائة رجل وأربعمائة من الخيول. وكان الهدف بلوغ بحيرة كَايَارْ [أَرَكِيْز²] حيث قدرنا أن أترارزَه قد تجمعوا قريبا.

نزل الرتل من الأسطول في أَيْبَاوَلَه³ يوم السادس عشر فبراير 1856 ووصل البحيرة بعد ثلاثة أيام من مسير شاق عانى خلاله شدة العطش فوجد أترارزَه قد هربوا. تقدم المتعاونون حتى شمال البحيرة ولهبوا بعض الأسر ورجعوا بخمسمائة

¹ أي القوات البرية. (المترجم).

² التوضيح من المترجم.

³ تدعى الآن أمينسه وهي قرية على النهر شرق مركز التليكان في ولاية أترارزَه (المترجم).

شاة. قفل الرتل محاذيا الضفة اليمنى حتى أضاة مَارْلَقَوَيْن¹ التي وصلها يوم 27 . نفذ المخطوعون بعض الغارات أثناء العودة وكذلك فعلت بعض المفارز الخفيفة.

وكمحصلة نهائية، قتلنا حوالي عشرة رجال وأسروا ستمائة وغنمنا وألقا وستمالة شاة وستمالة رأس من البقر وعشرين جملا. وهذه نتيجة قليلة الأهمية إذا قيست بالتأثير المعنوي الذي حصلنا عليه.

أما محمد لحبيب، الذي كان يهدد بمحققنا، فقد هرب مع أسرته بعيدا جدا إلى داخل البلاد ، تاركا بلده وقبائله وأموالها تحت رحمتنا.

خلال الأشهر الموالية لهذه العملية، حاول فيدرب الاستفادة من الخلافات التي ظهرت في بُرَاكْنَه؛ حيث كان ملكها محمد سِيدِي الخاضع تماما لـ محمد لَحْبِيبْ يخلق لنا المصاعب على امتداد النهر وخصوصا في أَبَوْدُورْ. أما منافسه سِيدِ اعْلٍ فقد كان على العكس منه مستعدا للدخول معنا في مفاوضات.

ولتسهيل هذا التفاهم، أقيم معسكر عند كُولْدِي على بعد فرسخ² شمال أَبَوْدُورْ ترابط فيه كتيبة مشاة وفصيلة مدفعية. وقد شكل هذا المعسكر لاحقا مطلقا لسلسلة عمليات نفذت في أَتْرَارْزَه و بُرَاكْنَه. بل إن رتلا من خمسمائة جندي وثمانين متعاونًا توغل شمال مالفو³ لاكتساح مخيمات تابعة لـ محمد سِيدِي.

كلفنا سنة 1856 البيضان أكثر من ثمانية عشر ألف رأس من البقر وعشرين ألف شاة وثمانمائة من الإبل وثلاثة آلاف أسير. وقد شاع خلال الأشهر الأخيرة

¹ الظاهر أنها مالفويني الواقعة جنوب شرقي روصو عاصمة ولاية الترارزة بحوالي 25 كلم. (المترجم).

² حوالي أربعة كلم (المترجم).

من السنة أن بعض قبائل منطقة أَرَارْزَه تطلب السلم وأن الزوايا يتوسلون إلى محمد لَحْيِبْ للتفاوض معنا.

أدى إغلاق أسواق النهر والحصار الناجح للطفة اليمنى، بالبيضان، إلى المجاعة. نجح الزوايا في الحصول من محمد لَحْيِبْ على الإذن بطلب السلم لأنفسهم فمُنحهم الفرنسيون نوعاً من الهدنة في يناير 1857.

5: أحداث سنة 1857:

خلال فصل الربيع، قرر محمد لَحْيِبْ أن يبذل جهداً آخر فحاول، دون نجاح، جر القوّات والثُرُور ضدنا. وخلال إبريل، هاجم البيضان في كل مكان؛ فاجاز رتل يتراوح عدده بين ثلاثمائة وأربعمائة مقاتل النهرَ واكسح دالري Merinaghin و Lampsar حيث كان بعض السكان قد بدؤوا إعادة بناء قراهم رغم تحذيراتنا.

تعرض أنصارنا في هذه الفترة لفشل ذريع حين ذهب مائة وستون فارساً من الوالو وحوالي مائة من أتكاريير أَلَنَزْ للإغارة شمال بحيرة كَايَارْ. بدأ المغيرون باكتساح حي مهم لكنهم وبدل الانصراف مباشرة بغنائمهم، انساقوا وراء الأمل في غنائم أخرى فأعطى ذلك البيضان الوقت للتجمع. استطاع قسم كبير من فرسان الوالو اجتياز النهر عاندين أما أتكاريير فقد أيبدوا.

ومن أجل مقاومة الأثر السلبي لهذا الحدث، بدأ ضروريا الذهابُ مع السودان أنفسهم لقتال البيضان على نفس مسرح انتصارهم السابق.

ذهب فيديرب من أَلَنَزْ إذن، يوم السابع من مايو بسبعمائة من القوات النظامية وبألف ومائتين وثلاثين بين المشطوعين وبرجال وحدات الوالو مع قادتهم. التقى الرتل مع الأعداء في غابة كثيفة على أطراف كَايَارْ يوم الثالث عشر مايو.

اشتبك الرتل مع أحد أبناء محمد لَحْيِبْ يدعى سِيدِي ومعه أكثر من ألفي رجل فطردنا قواته بصولة بالحرايب وقتلنا منها حوالي ثلاثين رجلا وجرحنا عددا كبيرا. خلال ذلك، اجتاز حوالي الثلاثمائة من البيضان النهر وجاؤوا لإحراق كُونْدُو في ضاحية أَلْدَرْ نفسها فقتلوا قرابة العشرة رجال وسبوا ثمانين امرأة وطفلا ثم حاولوا النزاع برج أَلْدَيْر ولم ينجحوا.

كانت حامية هذا البرج مكونة من العريف الأبيض Valette وعريف أسود وجندي أبيض وستة جنود سود. حاول هؤلاء الرجال الشجعان مرتين الاستفادة من بنادقهم من طراز Espignole. ولمرتين سقطت رافعا البرج فبقوا مكشوفين أمام نيران العدو. ودون أن يأسوا، أصلحوا برجهم واستطاعوا إيقاف المهاجمين عند حدهم وطردهم في النهاية بعد أن قتلوا أو جرحوا من تجرؤوا منهم على الاقتراب من البرج حاملين حزما مشتعلة من القش لإحراقه بها.

سقط عشرة من المهاجمين قتلوا عند البرج ولم تخسر الحامية إلا قتيلا واحدا. نجى البيضان طوال خمسة أيام من المفارز المرسلة لملاحقتهم، لكن الفرسان أدركوا بعضهم وأبادوه قرب جَلَمَخْ يوم 31 مايو.

ضعفت مقاومة البيضان في أواخر سنة 1857 وكان إدْوَعِيشْ أول المفاوضين حتى أن ملكهم بَكَاَرْ تعهد باستخدام نفوذه لدى لَبْرَاكْنَه وَأَثْرَارَزَه لإقناعهم بقبول شروطنا.

6: أحداث سنة 1858:

بدأت الانشقاقات في هؤلاء 1 فالترب منا أولاد دحمان 2 وتخلي أولاد احمد عن حزب محمد سِيدِي. وبعد جهود غير مجدية لرد المتמרدين، قرر محمد لَحْيِبْ

1 أي أَثْرَارَزَه ولِبْرَاكْنَه (المؤلف).

2 الظاهر أنه قصد أولاد نعمان.

الدخول في مفاوضات معنا. وفي مايو، وقع اتفاقية السلم. وفي يونيو، حذا محمد سيدي ومنافسه سيد أعلي نفس المثال. وفي دجبر، أصبح سيد أعلي سيد لبراكنه الأوحيد بعد أن اغتال منافسه. ولما لم يستطع منع أتباعه من الإغارة على أديولوف، فاجأ رتل من خمسين وستمئة رجل يقودهم الرائد Fobou محلته واجتاحها في يونيو 1859. وكانت تلك آخر عملية يقوم بها فيديرب ضد البيطان. اعترف زعماء أثرارزه ولبراكنه وتگگانت، في كل الإتفاقيات التي عقدها معنا، بسيادتنا على الضفة اليسرى لنهر السنغال وتعهدوا ألا يجتازوا النهر مسلحين، كما قبلوا حرية التجارة وإلغاء "العوائد". لكن التجار أصبحوا مجبرين على دفع رسوم لإخراج الصمغ من الضفة الموريتانية. تم بعد ذلك في سنة 1880 إبدال هذه الرسوم على الصمغ بحقوق سنوية ثابتة يدفعها الوالي مباشرة إلى زعماء البيطان وأعيدت تسميتها خطأ عوائد.

القسم الثالث

الرحلات الدراسية والمهام الاستكشافية في موريتانيا

1859-1901.

ما إن تم توقيع السلام مع البيطان، حتى كلف فيديرب ثلاثة ضباط بزيارة لبراكنه وتگانت وآذرار.

• كانت المهمة الأولى، تلك التي كلف بها الملازم البحري Mage فذهب من بگل¹ يوم 09 دجنبر سنة 1859 ومعه أربعة حمالين وأحد أعيان حي بگار يحمله ويدله. بعد أن سار ماج بمحاذاة لعصابه وجرف تگانت حتى فم البطحه²، وجد مخيم بگار جنوب تامورت³ أنعاج.

لم تجر المرحلة الأولى من الرحلة دون مشاكل فقد نبت أمتعة ماج كلها في حي من أشرايت رغم وجود دليله وحاميه. لم يسمح بگار للرحلة بولوج عمق تگانت بل وأنكر وجود سودان في هذه المنطقة³.

رافق ماج إدوعيش أثناء هبوطهم إلى آفطوط عبر وادي الحسنييه وممر كروول حتى فم جوك⁴. وبعد ذلك، رجع إلى بگل متبعا تقريبا نفس المسار الذي جاء معه.

¹ مدينة سينغالية على الحدود الموريتانية مما يلي منطقة كيدي ماغ. وهي في الأصل جزء من هذه المنطقة التي كانت تحت سيادة إدوعيش بل إن اسم المدينة مشتق من اسم أمير إدوعيش بكار ولد اعمر ولد محمد (ت 1761). وفي بگل أسس الفرنسيون سنة 1818 مركزا تجاريا وعسكريا وإداريا سرعان ما أصبح نقطة تبادل هامة مع ما يليه من البلاد الموريتانية. (المترجم).

² مدخل تجكجه الغربي وهو مدخل البطحاء التي تشق وادي تجكجه والمقامة على حافته مدينة بهذا الاسم هي اليوم عاصمة ولاية تگانت. (المترجم).

³ صدق بكار. لكن الغريب هو اهتمام الفرنسيين المبكر بالسودان. (المترجم).

⁴ ممر جبلي يصعد منه إلى جبل لعصابه من الناحية الغربية. وهو الحاجز بين جبال تگانت وجبال لعصابه. (المترجم).

• غادر نقيب المشاة Vincent ، المكلف باستطلاع آذَرَارْ، دَكَّالَه في الثامن من مارس 1860 مصحوبا برفيق من الخيالة وبفارس واحد من أبناء البلاد [السنغال1] وبالمرجم بَلْمَقْدَاذْ2. توجه فيسان أولا إلى محيم محمد لَحْيِيبْ فأحسن استقباله لكنه لم يعطه دليلا إلا بعد أيام كثيرة من التردد والمداولات. مر فيسان على بِيَوْرَوْرْت3 وَأَجْرِيْنَه وقطع أَكْنِيْتَرْ ثم دخل منطقة تيرس4 حيث لقي يوم 18 ابريل محيم أَغْلٍ وَلَدَ أَمَحْمَدَ زعيم أولاد أَذْئِم. وهنا تعرض لأخطار حمة، إذ تشاور هؤلاء الحاربون الأشداء أكثر من مرة في قتله. ورغم ذلك، قرر أَغْلٍ وَلَدَ أَمَحْمَدَ في النهاية، خوفا من محمد لَحْيِيبْ، أن يترك المسافرين يذهبون. وفي يوم 26 ابريل وصلوا إلى محيم وَلَدَ عَيْتَه في آذَرَارْ. أحسن السلطان في البداية استقبال مبعوث الوالي ولكن رجال الدين زرعوا الريبة في نفسه فرفض أن يتركه يدخل آكار5 وأبقاه في محيمه لمدة شهر متذرعا بحجج متنوعة.

وأخيرا سمح له في الرابع والعشرين من مايو بالذهاب فخرج من آذَرَارْ عبر ممر جُول وقطع إِنْشِيرِي6 ليصل أَلَنْزْ يوم 14 يونيو.

¹ التوضيح من المترجم.

² بَلْمَقْدَاذْ: المعنى هنا من أبناء المقداد هم نُونُو سَكْ الإبن الثاني لإبن المقداد الوالد. (المترجم).

³ منطقة علي بعد 50 كلم جنوب النواكشوط اشتهرت بكثرة أشجار الصمغ العربي المسماة محليا أَوْدَرَارْ ومنه اشتق اسمها. (المترجم).

⁴ تطلق على ثلاث مناطق. أولاها وهي المغنية هنا منطقة مستوية غرب أدرار في الشمال الغربي من البلاد وتتصل بالمحيط الاطلسي. والثالية في الشمال الشرقي من البلاد وتدعى تيرس الزمور وهي اليوم ولاية عاصمتها ازويرات حيث مناجم الحديد المشهورة. والثالثة تتصل بالأولى شمالا وهي الطرف الجنوبي الغربي من الصحراء الغربية. (المترجم)

⁵ الأرجح أنه أراد أطار فصحف. (المترجم)

⁶ سهل بين آمسكاه شمالا وتغلي جنوبا. وهو اليوم ولاية موريتانية شمال النواكشوط (المترجم)

في يونيو من 1860 كلف الملازم البحري **Bourel** باستكشاف بُرَاكْنِه وكان عليه أن يستفيد من حضور مخيم سِيدِ أَغْلٍ قرب أَبُودُورْ وأن يصعد شمالا مع هذا الزعيم في بداية فصل الأمطار.

حظي بوريل باستقبال ممتاز من طرف سِيدِ أَغْلٍ وزار قسما من آفْطُوطْ كما زار بحيرة آلَاكُوشْكَارْ وَكَيْمِ. وقد عاد الملازم البحري بوريل من إقامته الطويلة في مخيم الأمير بمعلومات قيمة عن المنطقة والقبائل التي تجوئها وكذلك عن عادات وتقاليد البيطان.

وللذاكرة ، نشر إلى رحلات:

• بُلْمَقْدَاذُ الذي سافر إلى مكة سنة 1861 مارا بآثْرَارْزَهْ وَآذْرَارْ والمغرب.

• **Paul Soleillet** : أراد سنة 1880 الذهاب إلى آذْرَارْ والوصول إلى تَبَكُّوْ مَرُورَا بِيْشِيْتْ وولَّاتَه، لكنه ارتد على عقبه بعد أن نهب أولاد أَذْلِيْمْ قبل أن يصل إلى آذْرَارْ. وقد أعاد المحاولة مرتين دون أن يوفق.

• **Camille Douls** : نزل سنة 1887 وحيدا في رأس كارفي ونجح في إيهام البيطان أنه مسلم فعاش أشهراً طويلة حياة أبناء البلاد في مخيمات أولاد أَذْلِيْمْ.

• **Leon Fabert** : قام بين 1891 و1894 بأربع رحلات دراسية إلى بلاد آثْرَارْزَهْ.

• **Gaston Donnet** : زار تيرس سنتي 1893 و1894.

• في سنة 1900 تم تنظيم بعثة شبه سرية للدراسة آذْرَارْ وخصوصا منطقة الجَلْ حيث يقدر وجود التترات.

• تكونت هذه البعثة من السيدين **De Reims** و **Blanchet** والملازم الأول **Jouinot - Gambetta** الذي قاد مفرزة حراسة من حوالى

أربعين من غير النظاميين وقدامى الرماة. استقبلت البعثة في البداية استقبالا حسنا من طرف الأمير المختار وَلَد عَيْثُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِع الصمود أمام تطرف حاشيته. استدرج الأوروبيون الدلالة إلى فخ وتم أسرهم. أما مجموعة الحراسة المحاصرة داخل مول في أَطَارَ فَقَدْ أَفْلَحَتْ فِي الانسحاب والوصول إلى أَلْدَرَ عبر آذْرَارَ وَأَثْرَارَ. تفاوض الوالي [مع أمير آذْرَارَ¹] عبر الشيخ سَعْدُ بُوَّة واضطر لدفع غرامة ثقيلة لتحرير الأوروبيين².

¹ التوضيح من المترجم.

² ينظر حول هذه الرحلة والغرامة : ولد محمذن(محمّد): ص: 185-228. (المترجم).

القسم الرابع

احتلال موريتانيا

بين سنتي 1890 و 1896 وقع ولاية السنغال مع أمراء أئزازة ولبراكنه وتساكت سلسلة من الاتفاقيات تضع بلدان البيطان، الواقعة على الضفة اليمنى للنهر، تحت حماية فرنسا .

تعهد الزعماء الموقعون أن يعاقبوا و يطردوا من بلدانهم، المسلمين أو الأجانب، الذين يتآمرون أو يعملون ضد الحكومة الفرنسية. كما تعهد هؤلاء الزعماء بالامتناع عن كل هجوم على السكان الخاضعين لفرنسا أو المخالفين لها ومنع السرقات وأعمال النهب التي تمارسها القبائل التابعة لهم ضد سكان الضفة اليسرى أو أي تابع لفرنسا أو تحت حمايتها. وقد تعهدوا كذلك بضمان حرية التجارة وحماية المخطات وتأمين طرق القوافل على امتداد بلدانهم. وأخيرا، تعهد هؤلاء الزعماء بأن يسمحوا لسكان الضفة اليسرى من أبناء البلاد الأصليين، بالجواز إلى الضفة اليمنى مقابل دفع ضرائب سنوية في بعض الحالات.

ورغم هذه المعاهدات، ظهر سريعا أننا الوحيدون الذين يحترمون مواد الإتفاقيات ولم تفتأ السلطات الإدارية في دكائه وأبودوز وكهيدني وماتام تتلقى الشكاوى، المبررة بقوة مع الأسف.

كما ظلت قوافل التجارة القادمة إلى اللواتر الإدارية تنهب والسودان المزارعون على الضفة اليمنى يضايقون باستمرار. وأخيرا، لم يكن الحاربون البيطان يتخرجون من أن يأثوا ويهاجوا قرى الضفة اليسرى.

لم يكن أمراء أثَرَارْزَه ولبراكنه وَتْكَائَتْ معجمين فقط عن القيام بأي جهد لإيقاف ومعاقبة الجناة بل كان من الجائز الظن أنهم يشجعون السرقات وأعمال التخريب المنفلة بل ويستفيدون منها.

كانت العوائد، في نظر البيضان، غرامة تجبى من الكفار مما خلق لنا وضعاً مذللاً. كانت عجرفة وكبرياء المحاريين تزدادان مع تباعد الذكريات المريوة للدروس التي لقنهم إياها فيدير.

وشجعت الحمى الصفراء التي كادت تقضي سنة 1900 على السكان الأروبيين في السنغال وكذلك تناقص حاميات النهر، البيضان على استعادة مكائتهم السابقة في أعين سودان السنغال. وكانت هذه الاستعادة على حسابنا. وأخيراً، فقد شاع أن سلطان المغرب دعا قبائل الصحراء إلى إنهاء صراعاتها الداخلية والاتحاد ضدنا.

وقد بدا زعيم إِدُوْعَيْشِ المسن، بَكَّار، الذي كان يظن نفسه آمناً في جباله في تْكَائَتْ، متعجباً بشكل خاص.

وعلى العكس من هذا، فإن قبائل الزوايا، التي ألهمتها اعتداءات المحاريين والعراقيل الموضوعة أمام التجارة، طلبت تدخلنا وتمهدت بمساعدتنا¹ إذا احتلنا البلاد.

لم يكن بوسعنا تأخير تدخلنا لوقت أطول وكان محتملاً أن يؤثر استمرار الوضع السائد آنذاك على نفوذنا في المناطق الصحراوية بل وأن يضر بمكائتنا عند السودان كذلك. ومن جهة أخرى فقد كان ضرورياً لتحقيق مشاريعنا بملصوح المغرب، أن نحمل المنطقة الواسعة الممتدة بين هذا البلد والسنغال.

¹ لا نعلم شيئاً عن هذا الزعم. وإن كان وقع بعض منه فلفظه خاص غير علم. (المترجم)

إلا أن أية حملة عسكرية صرف هدف رسميا لاحتلال بلاد البيضان لم تكن أبدا لتلقى موافقة البرلمان. وكان يمكن أيضا أن تسبب لنا خيبات أمل كبيرة. ولحسن الحظ، فقد ردت صيغة الدخول السلمي على كل الإنتقادات. وكان لابد من رجل ذي معرفة كاملة بقضايا المسلمين وعقلية البادو، لتفسير سياسة العمل المباشر الحذرة والماهرة هذه والتي تحترم الدين والعادات، معتمدة على القسم الأكثر حصافة وغنى من السكان.

اختار وزير المستعمرات السيد كويولايني من إطار إداري الجزائر وكان لفت الانتباه بنشره كتابا عن الطرق الصوفية وسبق أن كلفه الجنرال Trentinian سنة 1898 بمهمة لدى قبائل البيضان في منطقة الساحل.

لم يستمر نشاطنا سلميا لوقت طويل وتعين علينا الشروع في عملية غزو حقيقي للبلاد باستثناء منطقة أترارزه. إلا أن السياسة المتبعة من طرف كويولايني والنفوذ غير العادي الذي تمتع به سريعا في كل موريتانيا¹ أتاحا لنا حلفاء منذ دخولنا إلى البلاد وحالا دون أن نجد الفراغ المطلق أمانا وقللا غالبا، وبفرقة ذكية، عدد التجمعات التي ظلت معادية لنا.

1: احتلال أترارزه:

في مطلع 1902 وجدنا الفرصة للتدخل في أترارزه لمساعدة احمد سالم الأمير المعترف به من طرفنا، ضد منافسه سيدي ولد محمد قال الذي جمع حول نفسه

¹ من سياق الكلام يفهم أنه المؤلف يقصد نفوذا مغنويا تمتع به كويولايني. والواقع أن هذا النفوذ لم يتخط المنطقة التي دخلها سلما أي منطقة أترارزه. ولوقت قصير كما سنرى. أما خارج أترارزه فقد قتل كويولايني وليس له من النفوذ "غير العادي" إلا ما فرضه بالقوة المسلحة بعد معارك احتلال تگانت. وكان نفوذا "عابيا" غير مكتمل على الأرض وغير موجود على القلوب والعقول (المترجم).

القسم الأكبر من أولاد احمد بن دَمَانْ والذي كان بعض المتآمرين من أهل أَلْدَرْ يشجعونه.

خلال شهر مارس، تم إرسال رتل سمي "رتل مراقبة أترارزَه" بقيادة الرائد Delapiane إلى سَهْوَة المَاء. وتكون هذا الرتل من سرية رماة وفصيلي خيالة.

في نهاية شهر ابريل 1902، تم حل هذا الرتل إلا أن مركزا أقيم في خَيَّوَه لحماية ومراقبة احمد سالم.

ومع ذلك فلم تردد الحال إلا سوء خلال الأشهر الموالية؛ فالأمير يعيش لاجئا في دَكَّائَة مع قلة من أنصاره، بينما وسع سيدي سلطانه حتى أبواب أَلْدَرْ. وكانت عصابات النهابين تجتاح القبائل المسالمة وتسلب بعض القوافل.

في دجبر، تم تعيين كويولاني مسكرتيرا عاما واستلم إدارة شؤون البيطان¹. وفي الرابع عشر غادر أَلْدَرْ إلى دَكَّائَة حيث التقى احمد سالم وحصل منه في اليوم التالي على تخليه لصالح الحكومة الفرنسية، عن حقوقه وصلاحياته كامير.

تكونت القوات الموضوعة تحت تصرف كويولاني، بقيادة النقيب Sadarge من:

- 03 فصائل اسباهي [خيالة²]: (النقيب Chauveau، الملازمون الأوائل:

(Lapeyre، Berneval، Liccoli).

- فصيلة رماة: (الملازم الأول Aubert).

¹ استلم كويولاني عمله في أَلْدَرْ في مكتب مؤقت ببلقاعة رقم 22 مقر مجلس إدارة المدرسة الاستعمارية. وثيقة فرنسية بحولتنا. (المترجم).

² التوضيح من المترجم. (المترجم).

توجه كويولاني في الثاني والعشرين دجبر 1902 في حراسة فصيل خيالة وفصيلة رماة إلى سَهْوَة المَاء حيث أقام مركز نشاطه حتى الخامس والعشرين من يناير 1903.

جاءت القبائل المجاورة إلى كويولاني تعطيه الأمان [وتساعته]¹ وكانت تستقبل جنودنا بصدور رحبة² وتوى فيهم ضمانا لسلام مرغوب فيه. قدم أعيان القبائل الدينية [الزوايا]³ طاعتهم. ورويدا رويدا اتبع الحاربون نهجهم.

وفي الخامس من فبراير 1903، التحق سيدي وَلَد محمد قَالَ بالبعثة عند حاسي الكُوتِي محاطا بجائقي محارب وأكد ولاء الحزب المنشق. بعد أن اجتاز كويولاني اثْرَارْزَه، خيم يوم 8 من مارس 1903 على شاطئ الحيط واختار بالاتفاق مع ربان Géoland نقطة رسوٍ وإنزال ملائمة، في انواكشوط، على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا جنوب أبُورْتَالْدِيك [أَجْرِيْدَه]⁴ القديمة.

وفي الواحد والعشرين⁵، عاد إلى أَلْدَرْ، مصطحبا كبار الأعيان والحاربين ورجال الدين الذين قادوا الحرب وأربكوا البلاد منذ سنتين.

شرعنا في تأسيس مركزين في سَهْوَة المَاء (الملازم الأول أوبين) واخروفه (الملازم الأول ليكولي) يضمنان خط حماية لشمال السنغال السفلي [مصب النهر]¹

¹ التوضيح من المترجم. (المترجم).

² ستظهر الأيام اللاحقة أن تفاؤل الفرنسيين لم يكن في محله. (المترجم).

³ التوضيح من المترجم. (المترجم).

⁴ التوضيح من المترجم. (المترجم).

⁵ في النص 21 فبراير. ولكن إما أن يكون المقصود 21 مارس كما نظن أو يكون التخمين على شواطئ نواكشوط كان في 08 فبراير لا 08 مارس وتاريخ الغفول إلى اندر 21 مارس وهذا ما نرجحه. (المترجم).

ويشكلان قاعدة أولى لتنظيم البلاد. كما حددنا موقع ما سيصبح لاحقاً مركز
النواكشوط الذي أنشئ في دجبر 1903 وكان القبط Frerejean أول قائد
له. تم تحقيق هذه النتائج دون طلقة واحدة.

ومع ذلك، كان الأولى ألا نغتر بخصوص المستقبل، إذ كان رؤساء أترارزه أشد
كبرياء من أن يخضعوا، فهاثياً، لسيطرتنا. ولم يكن بوسع الحاربين أن يتخلوا
بسهولة عن عاداتهم في النهب. وكان آذرار يوفر ملجأ آمناً للجميع فحتم
علينا أن نحسب لقابله هذه المنطقة حساساً.

في يومي 07 و13 يونيو [1903]² تعرضت قافلة تموين بحرسها بعض الرماة
والفرسان لهجوم فاضل بين أخروقه وسهوة الماء.

وفي الواحد والعشرين، أُنذر الملازم الأول أوبر، المقيم في سهوة الماء، أن
مجموعة من المنشقين تقيم في حي يقع على بعد ساعات من المركز فقرّر مفاجئهم
بحوالي عشرة رماة ومثلهم من الخيالة.

هاجمت القوة الصغيرة الحي قبيل الصبح. وبعد قتال تلاهي، هرب العدو تاركاً
ثمانية عشر قتيلاً، بينما جرح منا رقيب درك أروبي وخمسة من الخيالة.

2، 1903-1904

احتلال لبرأكته ومال وگورگول- أترارزه سنة 1904- التنظيم العسكري
لموريتانيا.

1: احتلال لبرأكته ومال وگورگول:

لم يكن احتلال مناطق لبرأكته ومال وگورگول وهي مجال ظعن أولاد عبد
الله و إدوعيش يبدو سهلاً كما كان احتلال بلاد أترارزه.

¹ التوضيح من المترجم.

² هذه أول عملية عسكرية ضد الفرنسيين منذ دخول كويولتي البلاد. (المترجم).

جعل الزعيم المسن بَكَارْ ولد أَسْوَيْذْ أَحْمَدْ من نفسه روح المقاومة وأخذ يث رسله إلى كل مكان داعيا إلى الحرب المقدسة فجر إلى صفه أمير بُرَاكْتَه أَحْمَدُو ولد سِيدَ اَعْلِي¹ وزعيم أَشْرَاتِيَّتْ المختار رغم أن كل واحد من هذين سبق أن أكد موقفه الطيب اتجاهنا. ورفع بعض الزوايا كقبيلة إَجِيَجْبَه مثلا، السلاح في وجهنا.

تكونت البعثة التي تجمع القسم الأكبر منها في بُگَه نهاية شهر نوفمبر 1903² من:

- كتابة قائد البعثة: السيد Boutonnet مساعدا لشؤون السكان المحليين.
- السيدان Michel Angeli و Colombani إداريان.
- المترجمان العسكريان: السيدان Courtier و Regnieb من إطار الجزائر.
- المترجم المدني: بُلْمَقْدَادْ³.
- مصلحة الصحة: الطبيب الرئيس Combours-Mouflet.
- القوات النظامية التابعة للنيقيب Chauveau قائد سرية الخيالة السنغاليين:
- 96 من رماة كتيبة الرماة السنغاليين الأولى (الملازمان الأولان Dufour و Cheruy).
- 50 فارسا (النقيب Ciccoli).

1 حضر الأميراحمدو إلى سَهْوَة الفاء وقابل قائد القوة الفرنسية فيها يوم 24 مارس 1902 وأعلن ولاءه للفرنسيين الذين أعلموه أن اهتمامهم ينحصر في أثارزّه (وثيقة فرنسية لدينا). (المترجم).

2 التوضيح من المترجم.

3 هو غير الأول فهو ابنه الثاني دودو سك المعروف لدى البيضان بمحمدن. وقد توفي سنة 1943. (المترجم).

- 50 من حرس الحدود و50 فارسا من منطقة الساحل¹ (الملازمان الأولان

Arbogast وde Chalain).

تمركزت هذه المفزة في كيهيدي.

في شهر دجبر 1903، تم تعزيز هذه القوات بفصيلة [هاون]² 80 جبلية (الملازم

الأول Coupaye).

في يناير 1904، غادرت السرية العاشرة من كتية الرماة السنغاليين الأولى،

أندز للمرابطة في كيهيدي وألاك³ وئكه.

تكونت القوات غير النظامية من:

- وحدة الجمالة السود التابعة لمساعد مكتب شؤون السكان الأصليين المقيم في

لبرأكنه السيد Lestre De Rey : 80 بندقية.

- وحدة الجمالة السود التي يقودها الملازم الأول Briand : 25 بندقية.

- وحدة جمالة البيضان بقيادة الملازم الأول أوبر.

غادر السيد كويولاني بُگْه يوم الأول دجبر [1903]³ ووصل إلى

مشارف بحيرة ألاك في الثالث من الشهر، يحرسه ثمانون من الرماة وخمسون من

الفرسان (النقيب شوفو والملازمان الأولان سيروي ودوفور) والجمالة السود

الذين يقودهم السيد ليستر دي ري.

¹ أي مالي وما جاورها. (المترجم).

² التوضيح من المؤلف.

³ التوضيح من المترجم.

كان احمڤو قد انسحب حوالى أربعين كيلومترا إلى الشمال الشرقي قرب أضاة شَفَار¹ مع أولاد عبد الله وبعض إدوَعِيشْ وإجيجَبه. لم تصل المفاوضات التي تم الشروع فيها إلى نتيجة.

وفي الليلة الفاصلة بين السابع والثامن دجبر 1903، هاجم احمڤو بأربعمائة بندقية، معسكر البعثة المقام على هضبة أَكْوَيِّنَات² الصخرية حيث المكان الحالي للمركز. وبعد تبادل قصير لإطلاق النار، فر العدو تاركا بعض الجثث على الميدان كما خسرنا اثنين من الجمالة وجرح أحد رماتنا. ونفرت حوالى خمسة عشر من خيول الفرسان، بسبب الانفجارات، فقطعت قيودها وندت، فاستولى عليها المنشقون.

ورغم هذا الفشل فقد ظل احمڤو في شَفَار. ومن جهة أخرى، تجمعت أحياء من إدوَعِيشْ قرب بحيرة مَالْ على بعد سبعين كيلومترا غرب أَلَاكْ.

في الثامن عشر دجبر 1903، فاجأ النقيب شوفو بقوات تتألف من فصيل خيالة وأربعين من الرماة (قوات الملازم الأول دوفور)³ وجمالة ليستر دي ري السود، محلة أحمڤو واكسحها.

وفي الثامن والعشرين وخلال استطلاع بقوة من خمسة وعشرين فارسا وستين من الرماة (الملازم الأول شيروي) وجمالة ليستر دي ري السود، فرق النقيب شوفو أحياء إدوَعِيشْ عند مَالْ وعاد بخمس مائة من الإبل وما يقارب الألف رأس من الغنم.

¹ أضاة توجد في الحدود بين منطقة أكان وأقطوط. (المترجم).

² هضبة في ولاية لبراكنه عليها أقيمت مدينة ألاك عاصمة الولاية. (المترجم).

³ التوضيح من المؤلف. (المترجم).

في الرابع عشر فبراير 1904، غادرت البعثة ألاك¹، الذي كانت يحتله فصيل من السرية العاشرة (الملازم الأول Coussey) وتمركزت قرب بحيرة مأل يوم 16 من نفس الشهر.

في نفس الفترة، ذهب النقيب Galland من كيهيدي اوحتل مَيْت¹ بقوة مؤلفة من فصيلة من السرية العاشرة (الملازم الأول Gruau) ورامين النين وحرس الحدود الآتين من الساحل وجمالة أتكاري² التابعين لعبد الله كَانْ وجمالة البيطان التابعين لسيد أحمد ولد أيرا².

في صبيحة السابع عشر، هاجمت أعداد غفيرة من إدوعيش وأولاد عبد الله النقيب جالان فردهم بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة : بقيت ثلاث وثلاثون جثة على ميدان المعركة وعلما لاحقا أن عدد القتلى تجاوز الخمسين.

ظلت الأحياء المنشقة متجمعة في كوروكول الأسود³ على بعد أيام شرق مَيْت، وكانت خلال ذلك تحتجز⁴ بينها عددا من قبائل الزوايا شبه أسيرة.

ولما ظهرت عداوة إدوعيش وأولاد عبد الله اللودة اتجاهها، أصبح استخدام القوة لا مناص منه.

في يوم 11 مارس، احتشدت في Radadhai مفرزان كانا قد تحركا متزامنتين من مأل ومَيْت:

¹ بتفخيم الميم. وهي موضع في منطقة لغزليات في الطوط بولاية لبراكنه. (المترجم).

² هكذا في الأصل ولعله ولد أبيه. (المترجم).

³ أحد فرعي وادي كوروكول المتحدر من جبال تكانت ويصب في نهر السنغال. أما الفرع الثاني فيدعى كوروكول الأبيض. ويلتقي الفرعان عند مكان يدعى مقطع لعريش قرب قرية الغبره. ويصبان عند قم لقلبته. ويسمى كوروكول سميت ولاية عاصمتها كيهيدي. (المترجم).

⁴ هذا غير دقيق ولكنه يصب في التصور الذي أراد المستعمر ترسيخه منذ البداية لدى أهل البلاد وخصوصا الزوايا منهم وهو أنه جاء لتحريرهم والذب عنهم. ولعل في الدور الكبير الذي قام به الزوايا في قتال المستعمر والذي سئى المؤلف يعترف به لاحقا، ما يدحض هذا الزعم. (المترجم).

- المفرزة الأولى التي يقوها النقيب شوفر وهي مكلفة بحراسة السيد كويولاني ومكونة من:

- فصيل خيالة (النقيب سيكولي).

- ستين من الرماة (الملازم الأول دوفور).

- قطعة هاون 80 (الملازم الأول كوباي).

- جمالة الملازمين الأولين ابريو وأوبر .

- المفرزة الثانية (النقيب Payn) وتكونت من:

- حراس الحدود بقيادة الملازمين الأولين Aubogast و De

Ghalain.

- جمالة ليستر دي ري.

- جمالة أتكاريو التابعين لعد الله كَانَ وصَافًا آمادي وبوكَارُ بأيدي.

أدركت هذه القوات المنشقين الهاربين منذ أيام، قرب بتر كُومُلْ عند سفح لَعَصَابَه. أجبرت بعض القذائف المنشقين على إخلاء المخيمات بسرعة.

نجح إدوَعِيشْ، ليلا، في تمرير أغلب مواشيهم إلى الجهة الأخرى من لَعَصَابَه ومع ذلك فقد أفلحنا صباح اليوم التالي في الاستيلاء على آلاف كثيرة من الإبل والغنم والبقر في الجبال. وكانت الغنائم المستولى عليها في مخيماتهم كبيرة كذلك.

كانت هذه العملية، التي لم تكلف أعداءنا خسائر بشرية كبيرة والتي لم نتكبد فيها أية خسارة، خصبة بالنتائج:

• مكنت الزوايا المحتجزين من أن يتحرروا وأن يقدموا طاعتهم.

• طردت إدوَعِيشْ من المناطق التي نريد تنظيمها.

- حرمت إدْوَعِيشُ من مراعيهم في فترة الصيف.
- قطعت إدْوَعِيشُ عن النهر وهو قاعدة تموينهم.
- إضافة إلى هذا كله، مكنت تلك العملية بالتفاوض لاستسلام بُرَاكْنَه.
- وأخيراً فقد أعطيتنا عملية كُومُلُ الوسائل لتعويض اِتْكَارِيَرُ النهر عن أعمال النهب التي تعرضوا لها في السنة السابقة.

من أجل تحسين تنظيم منطقة جنوب موريتانيا، كلف السيد كويولاني السيد ليستر دي ري بالتجوال في كُورْگُولُ الأسود والبحث عن مكان ملائم لتأسيس مركز [إداري وعسكري]¹ فاختار أمْبُوذ الذي احتلته يوم 09 مايو مفرزة من السرية العاشرة كانت قبل ذلك حامية أَلَاكْ. وغادر كويولاني مَالُ يوم العاشر من مايو وقد انتهت مهمته الثانية².

تم تنظيم البلد المختل حديثاً، كما يلي:

-منطقة بُرَاكْنَه:

- لمركز الإداري في الرُقْبَه³:
- الملازم الأول خارج الإطار بريو، مقيماً.
- خمسون من الجمالة السود.
- المركز العسكري في أَلَاكْ:
- الملازم الأول شروي.

¹ التوضيح من المترجم.

² المهمة الأولى التي يقصد هنا هي تلك التي انتهت في فبراير 1903 حين عاد إلى اندر بوجهاء وأعيان اترارزه. والواقع أن هذه هي المهمة الثالثة لكويولاني في بلاد البيظان إذا اعتبرنا مهمته الأولى لدى قبائل البيظان في الساحل، نهاية القرن 19 قبل أن يحول إلى السنغال ويكلف بمهمة احتلال موريتانيا. (المترجم).

³ براء مرققة مشددة. (المترجم).

- خمسون من رماة مفرزة حراسة البعثة.

منطقة مَالْ:

- المركز العسكري والإداري في مَالْ:
- النقيب خارج الإطار باين، مقيماً.
- خمسون من مفرزة الحراسة (الملازم الأول دوفور).
- فصيلة هاون 80 جبلي (الملازم الأول كوباي).
- وحدة جمالة مكونة من حرس الحدود المسرحين.
- المركز العسكري في مَيْتْ:
- الملازم الأول أغرويو .
- خمسون من رماة السرية العاشرة.

منطقة گُورْگُولْ:

- المركز الإداري والعسكري في أمْبُوذْ:
- النقيب خارج الإطار Mequelard، مقيماً.
- ثمانون من رماة السرية العاشرة (الملازم الأول أوبوغاست).
- أصبحت كِيَهْيَلِي إقامة تابعة لأمْبُوذْ.

2: اَثَرَارْزَه خلال سنة 1904:

تذمر احمد سالم من الحال التي جعل فيها وهرب إلى أولاد بَسَيْجْ. وعلى العكس من ذلك تقرب منا سيدي حتى إنه قبل الذهاب إلى أُنْدَرْ. إلا أنه، مثل احمد سالم، أراد التفاوض كأمر مستقل ولم يكن الدور الذي نعطيه له ليلائمه. وفي نهاية 1904، بدأ سيدي مفاوضات مع احمد سالم واستعد للانضمام إليه.

خلال أشهر مارس وابريل ومايو، جابت عصابة من أولاد بَسِيع يقارب عددها المائة والخمسين رجلا، أترارزَه السفلى [الغربية1] . وكان هؤلاء يظهرون بدرجة خاصة من الخطورة لأنهم برهنوا على قدر من الشجاعة ولأنهم كانوا أول بيضان حصلوا على أسلحة سريعة الرمي.

قبيل انبلاج صباح الثاني عشر من مارس، تعرض الرقيب فيليب -وهو قائد مفرزة من الرماة المحمولة على الجمال من حامية أخروُفَه- لهجوم قرب التاگِلاَت، نفذته مجموعة من أولاد بَسِيع.

فر العدو بعد قتال شديد، حاملا معه كثيرا من الجرحى وتاركا على الميدان قتيلًا واحدًا. أما خسائرنا فكانت قتيلين وجرحيا، ثلاثتهم من الرماة.

في السادس عشر مارس، أنذر النقيب Duhalde حاكم² مَهوَّة المَاء بوجود مجموعة من النهابين في مخيم من تَجْكَائَتْ على بعد كيلومترين من المركز. أسرع النقيب إلى المخيم ومعه عشرون من الرماة، تاركا رقبيا أروبا وعشرة رجال لحراسة المركز.

بعد نصف ساعة من تجاوزه مخيم تَجْكَائَتْ، أدرك دوهالد الغزي يسوق ما لهبه. استدار أولاد بَسِيع وكانوا مائة وخمسين رجلا وفتحوا نيرانا عنيفة قتلت راميين وجرحت ثالثا ثم أخذوا يناورون لتطويق المفرزة.

اضطر النقيب دوهالد إلى التراجع سريعا، فتمكن من التملص إلا أن راميا ثالثا قتل أثناء هذه الحركة كما جرح رقيبًا أثريقي. رجعت القوة الصغيرة إلى المركز بعد أن أجبرت على ترك جثتي رجلين وسلاحيهما.

¹ التوضيح من المترجم.

² هكذا ترجمنا كلمة Resident هنا (المترجم).

تم تعزيز حامية سَهْوَة المَاء، بُعيد هذا الحادث، بمفرزة قادمة من أَلْدَرْ يقودها الملازم الأول Rosfelder.

في الحادي عشر مايو، ذُكر غزي أولًا ذِ بَسْبَغ هذا قرب المركز ، فلاحقه روسفلدر بخمسين رجل وأدركه قرب حي من أولاد أَيْتَرِي على بعد نحو سبعة كيلومترات من المركز.

لم يتراجع أولًا ذِ بَسْبَغ إلا بعد نصف ساعة من القتال وأمام تهديدنا بصولة بالحواب عليهم وبعد أن خسروا أكثر من خمسة عشر رجلا وتركوا بين أيدينا ستة عشر جحلا وبنادق كثيرة. خسروا قتيلين وجرح منا اثنان.

أصبحت أَوْرَارْزَه، من وجهة نظر التنظيم الإقليمي، منطقتان إداريتان: أَوْرَارْزَه الغربية ومركزها النواكشوط أو أَوْرَارْزَه الشرقية ومركزها سَهْوَة المَاء في مرحلة أولى ثم بُولَمِيَت.

ومن أجل حماية الشيخ بابا ولد الشيخ سيليا، أمر السيد كُوبُولَانِي في شهر اغسطس قسما من حامية سَهْوَة المَاء باحتلال هذه النقطة¹.

خلال شهر اكتوبر، أُقيم مركز شرطة في أَدْيَاكْ قرب أضواء مَالِغْ-وَيْتِي وكلف بمراقبة القوافل القادمة من أَلْدَرْ.

3، تنظيم موريتانيا العسكري:

في دجبر 1904 أنشئت كتيبة النهر واتخذت دُكَاكْه مركزا لها وتكونت من:

- السرية الثانية عشرة في النواكشوط، بعد إلغاء مركزي اخروُفْه وسَهْوَة المَاء.

- السرية السادسة في كَيْهَيْلِي.

¹ أي بُولَمِيَت (المترجم).

- السرية العاشرة في مَيّت.
- السرية الرابعة عشرة في دَغَائِه.
- استمر الاحتفاظ بفصيلي فرسان في موريتانيا أحدهما في بُوتِلِمِيّت والآخر في مَيّت.

القسم الخامس

احتلال نـگـآـتـ - مقتل كويولاني - حالة موريتانيا خلال سنة 1905 - أثر أَرَزَه سنة 1905 - تنظيم موريتانيا في دجبر 1905.

1. احتلال نـگـآـتـ ومقتل كويولاني:

أظلم الوضع السياسي في موريتانيا خلال الأشهر الأخيرة من سنة 1904. التحق سيدي بأحمد سالم. استمر أبكالك وأشرأتيت متحدين ومعادين لنا بجلاء. واصل منشقون في أَرَزَه وتبرأكنه ومناطق مَال وگورگول فُـب القبائل الخاضعة لنا وخصوصا [قبائل]¹ الزوايا، مظهرين لهم بذلك كم هي وهمة الحماية التي ادعينا أننا نوفرها لهم مقابل الضرائب والسخرات التي نطلبها منهم.

سهل فصل المراكز الإدارية والعسكرية عن بعضها عمل النهابين لأن وحدات الجمالة التي تحتل المراكز الإدارية لم تكن قد نظمت بعد بطريقة جدية ولم يكن تحت التصرف المباشر للمقيمين² إلا وسائل غير كافية. وأثناء ذلك، لم تكن المراكز العسكرية، وقادتها محرومون من كل فصيلة سياسية³ ومن كل استخبارات وغالبا من كل وسائل النقل، قادرة على أداء الخدمات التي كان مقلدا انتظارها منها.

وأخيرا، لم تكن توجد وحدات متحركة قادرة على العمل بفعالية ضد عدو، يصعب - للدرجة كبيرة -، الإمساك به.

¹ التوضيح من المترجم.

² Les résidents. (المترجم).

³ أي قسم في مركز القيادة مكلف بالقضايا السياسية. ومن الطبيعي أن تكون الفصائل السياسية موجودة في مستويات إدارية وعسكرية عليا فقط (المترجم).

لما تعط المفاوضات التي شرع فيها مع إدوعيش وقبائل آذرار أية نتيجة كان لا بد لسياسة التفرقة المتبعة من طرف كويولاني أن تفشل أمام الكتلة التي شكلها أعداؤنا.

استعد الحسن وهو الابن الأكبر للشيخ بكّار، للدفاع عن تگّانت بينما جنح أخوه الحسين للسلم غير أنه لم يكن يتمتع بأية سلطة. لم تتأخر عداوة الشيخ ماء القئين في الظهور. وكان ابنه الشيخ حسّنه موجودا في إدوعيش يشجعهم على الحرب المقدسة.

كنته وحدهم كانوا موالين لنا. وقد نافس كتنة إدوعيش طويلا. ولكن إدوعيش قد استطاعوا بعد سلسلة من الحروب أن يجعلوهم في حالة من العجز ألجأت أكثرهم إلى الحوْظ مع زعيمهم المختار ولد حامد.

وسيجهد كويولاني في إرجاعهم إلى تگّانت. وكان محمد المختار في تجگّنه أثناء هجوم الثاني عشر مايو¹.

قدّم أهل سيدي حيتّله²، وهم بطن من هذه القبيلة الكبيرة لم يغادروا تگّانت، عونا للبعثة. ظلت قبيلتنا أهل سيدي محمود ومشتظوف في الشرق بمعزل عن الصراع الذي بدأ يقترب³.

تشكلت البعثة التي تجمعت في ألاكّ ومال مطلع فبراير 1905 على النحو التالي:

¹ يقصد الهجوم الذي اغتيل فيه كويولاني. (المترجم).

² بلام مغلطة. (المترجم).

³ سنرى لاحقا أن هذا الوضع لن يستمر طويلا فسنرى حضور قبائل المنطقة في النيملان ثم ما تلاه (المترجم).

- السكرتارية: السادة: بوتويه ، ميشيل، آنجيلي وكولومباني مساعدون لشؤون السكان المحليين. أضيف لهم السيد Arnaud الإداري من المجموعات الحضرية المختلطة من الجزائر .
- الأعمال العلمية: نقيب الهندسة Gerard.
- المترجم العسكري: M. Regnier
- المترجم المدني: بُلمَقْدَاذ.
- حاكم¹ منطقة مَالْ نَكَاة: النقيب پاين .
- المصلحة الصحية: الطبيب الرئيس Cambours Mouflet.
- القوات النظامية:
- سبعون من الرماة (الملازمان الأولان شروي ودوفور).
- قطعة هاون 80 جبلي (الملازمان الأولان Moriane, Villiers).
- جمالة:
- 120 جمالا جزائريون (النقيب Ciccoli ، الملازم الأول De Lavau Guyon).
- 300 جمال أسود مقسمون إلى ثلاث وحدات يقودها النقيب الفريرجان- الملازم الأول Etievent - السيد ليستر دي ري.
- احفظ بجمالة الملازم الأول أتيغان لمدة في مَالْ ثم ألحقوا بالبعثة في الحُسَيْنِيَّة.
- جمالة البيضان: من أترارزَه ولَبْرَاكْتَه.
- القافلة:
- السيدان M. Mère و Coup إداريان بقسم السكان الأصليين.

¹ في الأصل Resident (المترجم).

شكل الجزائريون قوة جيدة وجاء أغلبهم من فيالق الرماة والفرسان. لكنهم بدوا شديدي الحساسية لتأثيرات المناخ ثم إن تمويدهم كان معقدا لأنهم كانوا يطلقون حصصا غذائية تكاد تشابه ما يطلقاه الأوروبيون¹.

أما الجمالة السود المكتوبون على عجلة وغير المرين فكانت قيمتهم العسكرية سيئة وكذلك انضباطهم.

كان العميون سييء الإعداد. ويرجع السبب الأهم في ذلك إلى سوء تنظيم الساقة. مع أن كل تأخير كان يعرض البعثة بكاملها للفشل.

كان السيد كويولاني في أول الأمر يؤمل أن يصل إلى آفزان مطلع شهر فبراير 1905 إلا أنه في هذا التاريخ لم يكن قد حصل إلا على استسلام إدو عيش. منذ الوصول إلى تَجْجَنَ أصبحت الحالة في ما يخص المؤن الغذائية ، صعبة.

غادرت البعثة مأل يوم الخامس عشر فبراير 1905 ووصلت يوم واحد وعشرين إلى سفح جرف تْكَانْتْ أمام مر جَكَلْ، متفادية بذلك مضيق قَمْ البَطْحَة الذي يحتلّه إدو عيش. وفي الثاني والعشرين حيمت في تَامُورْتْ أَلْعَاجْ2 على شاطئ أضواء التّيتَامْ.

كلف السيد ليستر دي ري مع جمالته باحتلال تل البَنْزْ وحماية القافلة التي جاء بها ميشيل وأنجيلي من كَيْهَيْلِي، أثناء مرورهما من قَمْ البَطْحَة. أما بقية البعثة فقد اتجهت إلى كَصْرُ التبركة حيث شرعت مباشرة في بناء برج هناك.

بينما كان السيد كويولاني يفاوض إدو عيش، ألحقوا هزيمة ذريعة بالسيد دي ري الذي تقدم بهور نحو دَرْكَالْ بقسم من مفرزته فقط. خسر هذا الموظف

¹ يا سبحان الله! يطلب منهم سفك دماهم من أجل بلده ويستكثر عليهم الغذاء ! وكلفي بهم لو علموا هذا البيت لأشده: «وإذا تكون عزيمة أدعي لها وإذا يحس الحيس يدعي جنذب لوكتوا» من رواية شعر فارس زبيد عمر وبر معدي كرب أيام القلاسية لتذكر والأبيات المتسوية اليه وخصوصا قوله: «نعطى السوية من طعن له نفذ ولا سوية إذ تعطى الفلاني» (المترجم).
² أضواء يلتقي فيها الكثير من أودية تْكَانْتْ. على حافتها كثبان تدعى التْبَكْ أو التْبِيكَة حيث قرية بهذا الاسم. (المترجم).

المدني، في هذا الاشتباك الذي جرح فيه، ثمانية جمالة وأجير على الانسحاب بسرعة إلى معسكر البُنز حيث جاء إِدُوْعِيْشُ لمهاجمته عدة أيام لكنهم صدوا وكبلوا خسائر هامة.

أرسل السيد كويولاني حالما وصلته المعلومات الأولية عن هذا الاشتباك، النقيب الفيريجان لتجلبه السيد ليستر دي ري لكن إِدُوْعِيْشُ انسحبوا جنوباً قبل وصوله فتبعهم الفيريجان وهزمهم في العاشر مارس عند تَنْ شَيْيَه واستولى منهم على ثلاثة آلاف رأس من الغنم.

في الثامن مارس، ترك السيد كويولاني حامية صغيرة في كَصْرَ البَرْكَه وتوجه مع باقي البعثة إلى الْحَسْنِيَّة¹ حيث أقام مركزاً يقع تقريباً في منتصف المسافة بين ممري قَمْ البَطْحَه وَكَرَوَلُ الذين ننتظر أن تصلنا عبرها قوافل كثيرة. بقيت الحالة غير محسومة، فإِدُوْعِيْشُ يهربون إلى أَرْقَسِيَّه وَأَفْلَه بل ويخشى أن يقوموا بغارات في الجنوب.

في 27 مارس، وفي نفس الوقت الذي كان فيه كويولاني متجهاً إلى تَجْجَه ومعهم معظم البعثة، وجه مجدداً النقيب الفيريجان ضد إِدُوْعِيْشُ فأدركهم في غرة ابريل 1905 عند بُوْقَادُوْم² واجتاح مخيماتهم. وفي هذه المعركة قتل الشيخ بَكَار.

حضر الحسين خلال ذلك إلى تَجْجَه التي كانت البعثة قد وصلتها في الثاني من ابريل وادعى أنه مرسل من أَيْكَالْ وَأَشْرَايْت. وبعد مفاوضات طويلة،

¹ أحد أودية تِكَاْلَت، يصب في ثَامُونْت الفجاف في منطقة أُنْيِيَكَه. (المترجم).
² تواترت الروايات أن الفيريجان كاد أن يرجع لولا إصرار بعض أدلّاه من أهل البلاد، على مواصلة السير (المترجم).

قبل الشروط المملة عليه. لم يكن بإمكاننا اعتبار هذا الخضوع طاعة مخلصية
فإِدْوَعِيشُ لا يريدون إلا ربح الوقت والحصول على إذن بالتمون من النهر.
لم تحضر جماعات¹ بطون إدْوَعِيشُ المتعددة للتفاوض معنا منفردة كما كان مقررا
واستمروا متكئين ضدنا حتى قدوم الشريف².

لم تكن أخبار آذَرَارَ جيدة: أفادت المعلومات أن القبائل الحاربة في هذه المنطقة
قد اتحدت مع أولاد بَسِيعَ ومنشقي أَرْارَزَه لمقاومتنا. وكب زعيم آذَرَارَ
الشاب، تلميذ الشيخ ماء العَيْنِين، إلى السيد كويولاني يخبره أنه يتبع سلطان
المغرب وسيبقى مسالما لنا ما دما مسالمين لمولاه.

كانت البعثة مشلولة لانعدام المؤن الغذائية. ولحسن الحظ، أمكنت مصادرة
ثلاثمائة جمل من قوافل الملح القادمة من مبخة الجَلْ، ذهب بها النقيب سيكولي
للبحث عن مؤن في أَلَاكَ وأِبْوَدُورَ.

وفي نفس الوقت، طلب كويولاني من حاكم أَلُورُو أن يعث له قافلة إلى
بِشِيتِ التي كان قد عزم على التوجه إليها في انتظار رجوع النقيب سيكولي.
سقط قائد البعثة يوم الثاني عشر مايو تحت ضربات عصابة من المتمردين³ وكان
شريف من آذَرَارَ قد نجح في تجميع حوالي العشرين من إدِيشَلِي حوله بحجة

¹ جماعة القبيلة أو أجماعه بالحصانية: المجلس القبلي. (المترجم).

² الظاهر أنه قصد مولاي إدريس مبعوث سلطان المغرب عبد العزيز والذي سنراه لاحقا
محاولا توحيد قبائل البلاد ضد الفرنسيين. لكنه فشل في ذلك لأسباب عدة منها الثقافي
والسياسي ومنها التكتيكي. وقد ضغط الفرنسيون على السلطان عبد العزيز فأمره
بالرجوع إلى المغرب. وحسنا فعل، فقد كانت فترة وجوده في البلاد فترة شلل للمقاومة
لمحاولاته تجميع قوات كبيرة وخوض حرب نظامية ضد الفرنسيين. (المترجم).

³ من الجلال الظن أن الأمر لم يكن "من سوء الحظ" بل جزء من خطة المهاجمين.
(المترجم).

السفر الى الحوظ. وفي الطريق كشف لهم عن مشروعه قاتلا إنه رأى في المنام أن كويولاني سيموت على يده.

وصلت القوة الصغيرة دون حادث إلى القرب من المعسكر ونجحت في التسلل عبر واحة النخيل حتى مائة متر من المدخل. ولسوء الحظ، لقت أحد سكان القرية يحمل بعض اللبن لرئيس البعثة، انتباه الحارس في هذه اللحظة بالضبط¹. انتهر الشريف وعصابته هذه القوة واندفعوا داخل المعسكر. ألقى الملازمان الأولان شيروي وأتيفان المهاجمين خارج المعسكر خلال دقائق، كما قتل أتيفان الشريف بمسدسه بعد أن تلقى ضربة من سيفه أصابته في رأسه. كلتفتا هذه الغارة أربعة قتلى وعشرة جرحى إضافة إلى السيد كويولاني الذي قُتل عند بدء العملية.

تولى النقيب الفيريجان قيادة البعثة فشطت أشغال بناء دفاعات المركز وفرض على الحامية خدمة صارمة للحراسة والدوريات. توالى الاستطلاعات دون توقف حول المركز وأرسلت عيون في الاتجاهات الخطيرة. ولم تكن هذه الإجراءات عبثية، فما إن بلغهم نبأ مقتل كويولاني حتى شرع أولاد بَسَيع وأهل آذَرَار في الهجوم.

في الثالث من يونيو 1905، استولت عصابة من ثمانين رجلا على نحو ألف رأس من الفقم وهاجمت عريفا وبعض الرماة يجمعون الحشيش على بعد ثمانمائة متر من المركز.

¹ هكذا! (المترجم).

أجبر المفرون على ترك غنائمهم حين طاردهم الملازم الأول دي لافوغيون ومعه أربعة عشر جزائريا وعشرون بيطانيا ولحق بهم عند أَسَارِهِمْ وأجبرهم على التخلي عن غنائمهم. تاه أربعة جزائريون خلال العودة فماتوا عطشا.

يوم 05 يونيو، حاول ما يناهز العشرين من أولاد سَلْمُونٍ اكساح سوام إِدْوَعْلِي لكن محاولتهم فشلت بفضل وجود تسعة جزائريين كانوا يحرسون جمال المركز قرب المكان.

وفي نفس اليوم، علمنا أن مجموعات كثيرة يقودها وَلَدٌ عَيْنُهُ قطعت الْخَطَّ¹ متجهة إلى تَجَكْجَكْجَه.

في الساعة الخامسة من صباح 18 يونيو، جاء النذير من مخيم يبعد أربعمئة متر عن المركز [تَجَكْجَكْجَه]². أسرع جمالة البيطان إلى لقاء العدو المكون من ثلاثة آلاف رجل³ منهم ستون من أولاد بَسْبَغٍ لكنهم ردوا بسرعة فأرسل النقيب الفريرجان الملازم الأول دي لافوغيون مع ثمانين من الرماة السينغاليين والجزائريين لتخليصهم.

وحدهم، أولاد بَسْبَغٍ أبدوا مقاومة جلية ولم ينسحبوا إلا أمام صولة بالحرايب قام بها الرماة يقودهم المساعد Jouxte. كانت خسائرنا قليلا واحدا من جمالة البيطان وجريحين من الرماة. أما العدو فقد خسر تسعة قتلى وعشرة جرحى.

في 24 يونيو، وصل المقدم Montane Capdebosc تَجَكْجَكْجَه ولاحظ أن الحامية رغم أنواع الحرمان والمشاق التي تحملتها منذ أشهر كثيرة، تتمتع بروح معنوية ممتازة.

¹ منطقة بين ثلثات وأدار. (المترجم).

² التوضيح من المترجم.

³ لا ندرى مدى دقة الرقم. ولا نظن الكاتب يدري.

لم يكد خبر موت كويولاني يعرف في أَلْدَرْ حتى عين الوالي العام هذا الصابط السامي الذي كان رئيس أركان قوات إفريقيا الغربية ليعول قيادة موريتانيا وأمره أن يسرع إلى تَجْكَجَه ويترك فيها وفي الخُسَيْنِيَّة حاميات كافية ويرجع بباقي البعثة. أما لمسيرة نحو آذْرَارْ فقد أخرت إلى حين.

كان على المفوض الجديد أن يكون همه الأول إيصال المؤن الغذائية إلى تَجْكَجَه التي كادت تفقدها نهائيا وأن ينشئ من العدم مصلحة التموين التي مكنت من احتلال تَغَاثْ في ظروف طبيعية.

قرر المفوض أن يأخذ معه القافلة التي كانت تتجمع في أَلَاكْ وتتكون حراستها من فصيل خيالة الملازم الأول Reboul وفصيل من سرية مَيْت.

ظل النقيب سيكولي في بودور لتنظيم التموين. ما إن وصل المقدم إلى تَجْكَجَه حتى ألقى "الأفواه" غير الضرورية فكان الخيالة أول الداهيين يوم 28 يونيو.

في الخامس يوليو، أعيد فصيل مَيْت وتسعون من الرماة إلى الجنوب، بقيادة النقيب افيريجان، الذي كُلف باكتتاب ثلاثمائة رام في منطقة خَاي¹ _ بَامَاكُو مختارين، ما أمكن ذلك، من بين قدامى الرماة؛ للحلول محل الجمالسة الذين تشرف عقودهم على الانتهاء أو الذين يريدون التسريح.

في غرة أغسطس، أُمِرَت فصيلة المدفعية التي توجد إحدى قطعها في الخُسَيْنِيَّة والأخرى في مَالْ بالتحرك إلى أَلْدَرْ. وبذلك تقلصت حامية تَجْكَجَه إلى مائتي رجل وحامية الخُسَيْنِيَّة إلى مائة رجل مختارين ضمن أحسن عناصر البعثة.

¹ مدينة في غرب جمهورية مالي، تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال وكانت مركزا مهما للتبادل بين سودان المنطقة وما يلامسهم من عرب للمناطق الموريتانية المجاورة. (المترجم).

لم يبق، كقوات نظامية، سوى سبعون رجلا من رماة حرس البعثة تم استبدالهم في شهر سبتمبر بفصيل من سرية مَيْت.

1. أترارزّه خلال سنة 1905:

كانت حالة هذه المنطقة أبعد من أن تكون مرضية مطلع سنة 1905. ارتد سيدي [وُلد محمد فال¹] آخذًا معه كثيرا من الأنصار وواصل المنشقون بالتعاون مع أولاد بَسْبَغ نهب القبائل الخاضعة لنا بل إنهم هاجموا مفارزنا مرات عدة.

ليلة 28 يناير، فاجأت مجموعة من أولاد بَسْبَغ وأترارزّه، حراسة بريد أنواكشوط المكونة من رقيب وعريفين وخمسة عشر رام على بعد نحو ثلاثين كلم من المركز. كان الرامي المكلف بالحراسة قد خلد إلى النوم في فراشه فاستطاع البيضان أن يقتلوا أو يجرحوا، عن كعب، عريفين وسبعة رجال كما أخلوا بندقيتين.

في 25 يناير، هاجمت نفس العصابة قرب آبار بُوَهْمَات، رقبيا إفريقيا وستة رماة كانوا يشكلون حرس الساقة لإحدى القوافل. نجح الرقيب في دحر النهابين لكن أحد الرماة كان بعيدا عن رفاقه فقتل وأخذ سلاحه.

وفي اليوم التالي، تجمع ثمانون من أولاد بَسْبَغ وحاولوا اقتحام معسكر الملازم الأول Moulney في تِيورُورْت لكن البيضان هربوا بعد اشتباك قصير تاركين كثيرا من الجمال. ولم تلحق بنا أية خسارة.

¹ التوضيح من المترجم.

في شهر فبراير، تقدمت طائفة من أولاد أَيْتِيرِي كنا قد سلحناها ببنادق 74، داخل منطقة تَارْزِيَا زَتْ لنهب أحياء أولَاذُ بَسْبَغْ فأبْدوا كلهم تقريبا وانتقلت الأسلحة المعارة إلى أيدي الأعداء.

في تلك الأثناء، أراد احمد سالم التقرب منا وطلب من الشيخ سيديا [بَاب] 1 تسهيل ذلك الفهم. وفي إبريل حضر إلى بُوتِلِمِيَتْ وأعلن طاعته لكنه قُتل بعد أيام من ذلك عند آبار أَلْوَاكْلْ على أيدي اثنين من أقارب سيدي ولد ابراهيم السالم وهو ابن عم احمد سالم ومنافسه ولكن سيدي تنصّل من مقتل منافسه ولجأ مع أسرة ابن عمه المقتول إلى مركز Black ثم أعلن طاعته لنا في بُوتِلِمِيَتْ.

كان المدعيان للإمارة قد حاولا استئناف الصراع على أرضنا فحددت إقامة أحدهما قرب أَخْرُوْهْ والآخر قرب بُوتِلِمِيَتْ وعادت السكينة إلى أَثْرَا زَهْ طوال الأشهر المتبقية من السنة. لكن سِيْدِي انشق مرة أخرى مطلع 1906.

نعمت لِبْرَاكْنَهْ وگُورگُولْ بهدوء شبه متصل طوال السنة كلها.

2. تنظيم موريتانيا في دجبر 1905:

هذا التنظيم في حقيقته إعادة تنظيم للمناطق المختلة وتمثل في:

- تخفيض عدد المناطق وتسميتها بالدوائر: قسمت موريتانيا إلى أربع دوائر: أَثْرَا زَهْ ولبْرَاكْنَهْ وگُورگُولْ وئِگْگَاكْتْ وإقامة مستقلة في گِيْدِي مَآغَا.

1 التوضيح من المترجم.

- إنشاء خطوط المراحل: أعيد احتلال مركز سَهْوَة الْمَاء وأُخْرِوْقَه لتعليم الطرق بين أبُوْدُوْرز وبُوْتِلِمِيْتْ وأَلُوْأَكْشُوْطْ، كما أنشئ مركزا كِيم وأَكْغِيْرْتْ بين أَلَاكْ وَالْمَجْرِيْه.

- تنظيم القوات غير النظامية: اكتب الجمالة بعناية ودرّبوا وأطهرهم ضبطا وضباط صف أوروپيون كما خفض عددهم من 700 إلى 400 رجل.

- إنشاء وحدات محمولة على الجمال: تقرر تشكيل فصلي جمالة أحدهما في أْتَرَارَزَه والثاني في تَغَاَنْتْ. وبفضل الخبرة الكبيرة التي كان يتمتع بها في هذا المجال السيد Thevniaud حاكم دائرة أْتَرَارَزَه، أعطى الفصيل المحول إلى هذه المنطقة نتائج ممتازة وسريعة بينما لم يوجد فصيل تَغَاَنْتْ إلا بالإسم فقط.

اكملت هذه الإجراءات في يناير 1906 بوضع ترتيب جديد للقوات النظامية وكانت مواقع هذه القوات وحرس المناطق كالتالي:

دائرة أْتَرَارَزَه:

- المركز: أُوْخْرُوْقَه.

- حرس المناطق: أربعة وثلاثون رجلا.

- الجمالة: (أربعة وخمسون من حرس المناطق البيضان).

- بُوْتِلِمِيْتْ: السرية السابعة من الكتيبة السنغالية الأولى.

- سَهْوَة الْمَاء: عشرون من حرس المناطق.

- أَلُوْأَكْشُوْطْ: ستة وعشرون من حرس المناطق.

دائرة ليرأكته:

- المركز: أَلَاكَ: فصل من السرية الأولى من الكتيبة السنغالية الأولى (السرية 14 سابقا) بقيادة ملازم أول. الفصل الثاني في أيّ ودور ويتبع للسنغال.
- الرُقْبَة: فصل خيالة يقوده ملازم أول.
- بُغْه: سبعة من حرس المناطق.
- كِيم: واحد وثلاثون من حرس المناطق.
- أَكِيرْت: أربعة وأربعون من حرس المناطق.
- مَال: ثمانية وثلاثون من حرس المناطق.
- مَيْت: ثلاثة عشر من حرس المناطق.

دائرة كُرْكُل:

- المركز: كَيْهَيْدِي: فصل من السرية الخامسة (السرية العاشرة سابقا) من الكتيبة السنغالية الأولى مع النقيب قائد السرية.
- أَفُود: الفصل الآخر من السرية الخامسة بقيادة ملازم أول.

دائرة ثُكَانْت:

- المركز: تَجْجَجَه: السرية السادسة من الكتيبة السنغالية الأولى.
- أَلْمَجْرِيَه: أربعة وخمسون من حرس المناطق.

- إقامة¹ كيدي ماغا:

- المركز: ستيلابي: اثنان وثلاثون رجلا من حرس المناطق.
- مصلحة التموين في أيتودور ونگه: ملازم أول و32 من حرس المناطق.

في شهر مايو 1906 أنشئت إقامة مستقلة ثانية في دَخْلَة أَلْوَاذِيُو وأرسل إلى مركز Conoado² فصيل من السرية الأولى من الكتيبة السنغالية الأولى ليكون حامية فيه.

¹ في الأصل : Résidence.

² الأرجح أنها كنصالو أو كاصلو ولكن الراقن صحف. (المترجم).

القسم السادس

سنة 1906: قدوم الشريف مولاي إدريس - معركة التيملان - حصار
تجكجه - رتل Michael - رتل Arnould واحتلال
كيفه - معركة عذلة النعجه.

1: قدوم الشريف مولاي إدريس:

كانت الأحداث البارزة خلال سنة 1906 هي تحشد المنشقين في آذرار ووصول
الشريف مولاي إدريس إلى هذه المنطقة مبعوثا من سلطان المغرب ومحاولته
الاستيلاء على بلاد البيطان والتأج الخطيرة المترتبة على هذا العمل السيادي.
منذ السنة المنصرمة، كانت القبائل محل دعاية خفية من مبعوثي ماء العينين الذين
جأبو أحياء تگگانت وأرذقييه وألخووظ وحتى الأحياء المنظمة إداريا
الموجودة في مناطق أترارزه ولبرأكته وگورگول، داعين إلى الحرب المقدسة
ومتعهدين بتقديم المساعدات من الأسلحة والذخائر وبدعم سلطان المغرب.
لجأ إلى آذرار أكثر الزعماء السابقين مثل سيدي ولد محمد فال وأحمدو ولد
سيد أغل وعثمان ولد بكار والمختار ومحمد المختار ولد حافد.
في شهر مارس، توجه ركب يضم ممثلين عن كل المناطق برئاسة ولد عيذه [الأمير
سيد أحمد أمير آذرار¹] إلى أصماره وعرضوا مطالبهم أمام مبعوث من
السلطان.

¹ التوضيح من المترجم.

في مايو، وصل الشريف مولاي إدريس إلى آذرَارْ، قائلا إنه مكلف من سلطان المغرب بطرد الفرنسيين من بلاد البيطان التي تجب إعادتها إلى سلطة حكامها الشرعيين.

اصطدم الشريف بالمنافسات والصراعات الدائمة بين أولاد بَسْبَغْ وأَرْقُيَّاتْ وأولاد غِيلَانْ؛ لكنه وطيلة عدة أشهر، جد في إخماد هذه النزاعات وفي جمع كل القبائل تحت سلطته. لم يكن نجاحه إلا جزئيا ولم يتبعه وَلَدُ عَيْلَهْ ولا قومه حين زحف إلى تَغَاكْتْ.

مضى الفصلان الأولان من السنة دون حوادث. ظل إدْوَعِيشْ في أَرْقُيَّهْ ولم يقوموا بأية أعمال معادية لكن جماعات (مجالس الشورى) بطوهم رفضت الحضور إلى تَجْجَنْجَهْ كما أحجموا حتى عن المجيء لجنبي قورهم.

خلال الفصل الثالث، جابت عصابتان منطقة تَبْرَاكْتَهْ وكان يقود إحداها وَلَدُ عَسَّاسْ ابن اَحْمَدُوْ وَيَقُودُ الثَّانِيَة عثمان وَلَدُ بَكَارْ. طردت مفرزة من حرس المناطق العصابة الأولى بين أَكْغِيرْتْ وَالْمَجْرِيَهْ بينما لاحق بعض الأصدقاء البيطان الثانية وطردها.

في سبتمبر، تجمع إدْوَعِيشْ في جنوب تَغَاكْتْ، أما قبائل الجنوب والجنوب الشرقي فقد اصطفت قرب الحاجز الجبلي الذي يشكل حدود المنطقة مع آفْطُوطْ وَأَرْقُيَّهْ.

بدت قبائل أهل سِيدِيْ مَحْمُودْ وَالرُّعْيَانْ وَأَسْوَاكْرْ وَمَشْطُوفْ وَلَغْلَالْ معادية أما تَجْكَكْتْ وَمَسُومَهْ وَإِدْيَسَاتْ فلم تكن توحى بأية شبهة. ورغم ذلك، فقد أظهرت الأحداث التالية أن هذه القبائل ما اقتربت من تَجْجَنْجَهْ إلا للالتحاق بالشريف.

في نهاية هذا الشهر، جاء مولاي إدريس إلى عين كَشْلَه واستقر فيها ثم بعث رسالة إلى حاكم دائرة تَغَاكْت طالبا منه إخلاء المنطقة. وكان الشريف قد نجح في أن يجمع حوله بعضا من أولاد بَسْتِغ وإِدْوَعِيش وَفَسْطُوف وَفَلَال وَإِدْتِيسَات. وفي الأيام الأولى من أكتوبر، تحول الشريف بمعسكره إلى أَقْلَمِيَّت. أرسل النقيب Tissot الملازمين الأولين de Franssu وAndrieux في مهمة استطلاع لجمع معلومات عن قوة وتكوين معسكر الشريف دون التماس معه وخصوصا دون الاشتباك معه. رجعت المفزة إلى تَجْجَنْجَه بعد إكمال مهمتها.

2. معركة النيملان:

على إثر هذه التطورات، جاء مولاي إدريس وعسكر في النيملان قاطعا بذلك خطوط مواصلات المركز مع المتجربة والسنغال. ولم تكن نستطيع ترك هذا التجمع يستمر، خصوصا وأن عدم قيامنا بأي عمل كان بلا شك سيتركه يزداد أكثر. سر النقيب تيسو مساء 24 أكتوبر مفزة يقودها الملازمان الأولان آندري ودي فرانسو ومكونة من رقيبين أوربين وستين رام وثمانية من جمالة البيطان.

كان على الملازم الأول آندري، أن يهاجم معسكر الشريف مع طلوع النهار وقد أمر إن لم تمكنه مفاجئة العدو أن يسحب في أسرع وقت إلى المركز لأن حراسته تأتي في المقام الأول.

أضل الدليل المفزة أثناء الليل فلم تصل إلى النيملان إلا في الساعة صباحا. ورغم ذلك، قرر الملازم الأول آندري الهجوم والقتال بكل قوة. إلا أن مولاي إدريس كان قد أُنذره بعض إِدْوَعِيش تَجْجَنْجَه بقولهم المفزة لنصب لها

كمينا حقيقيا. ورغم صولات كثيرة بالحراوب، لم تسطع المفزة، وقد تم تطويقها منذ بداية الاشتباك، بلوغ معسكر الشريف.

وبعد أن سقط الملازم الأول آندريُّ والرقيان فيليب وFleurette وقتل أو جرح نصف الرماة وكادت الذخائر تنفذ، أمر الملازم الأول الفرانسو، وهو جريح، بالانسحاب.

كان الانسحاب يجري بنظام أمام العدو أصبح أقل شراسة لما تكبده من خسائر كبيرة، حين حاصر محمد المختار ولد حَامْدُ وكَتَّه المسلحون بينادق الكارابين التي كنا قد أعزناهم إياها، الأحياء المتبقين من المفزة فقتلوا الملازم الأول الفرانسو وأكملوا هزيمة الرماة الذين نجحوا رغم ذلك في الوصول إلى المركز جماعات صغيرة متفرقة.

كلفنا هذا الاشتباك أربعة أوربيين وخمسة عشر رام كما جرح خمسة وعشرون آخرون. أما العدو فقد خسر أكثر من مائة رجل.

3. حصار تَجْجُجَه:

في يوم السادس نوفمبر 1906، ضرب مولاي إدريس الحصار على تَجْجُجَه. وقد رأى سريعا وحدات قادمة من كل أنحاء موريتانيا تتجمع حوله حتى أصبح ممكنا تقدير المحاصرين للمركز بثلاثة آلاف رجل مع نهاية الشهر.

كانت حامية المركز من الأوروبيين لا تكاد تضم ثمانين راميا سليما. ولم يكن لدى النقيب تيسو من الأوروبيين إلا ضابطا صف والطبيب المساعد Commeleran وأمين شؤون السكان المحليين Daireaux.

ورغم ذلك، ظلت الروح المعنوية في الحامية ممتازة وشارك هذان السيدان كملران وديرو بجوية وكلفا خصوصا بالرشاشين اللذين كانا يحميان الواجهتين الشمالية والجنوبية للمركز.

هاجم الشريف يوم 14 نوفمبر 1906، بقوات مقسمة إلى ثلاثة أرتال سقط الأول منها تحت نيران مدفع رشاش وخسر خمسين رجلا قبل أن يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة وتشتت أما الثاني فانسحب بعد أن قتل منه ثلاثة بينما رفض الثالث التقدم.

لم يثبط هذا الفشل مولاي إدريس. وكان يعد هجوما جديدا لما علم بقدم رتل النجدة في 30 نوفمبر فانسحب إلى الرشيد على بعد أربعين كيلومترا شمال تجكجته. دام الحصار 24 يوما، خسر خلالها العدو تسعة وستين قتيلًا وستة وسبعين جريحًا.

4. رتل ميشار Michard :

غادر العقيد ميشار ألدز يوم 04 نوفمبر بثلاث سرايا يقودها النقيب: Devaux و Gianfarani و Talpomba. وفي 02 دجبر وصل إلى تجكجته بعد سلسلة من المسيرات المرهقة في مناخ بارد ودائم المطر.

في انتظار وصول المقدم مونتان كابديوسك تركت القوات تستريح. لم يستأنف العقيد المسير إلا في 19 دجبر وحاول بلوغ الشريف الموجود شمال الرشيد لكن هذا السحب إلى آذراز دون أن يجزأ على مواجهة قواتنا.

5. رتل Arnould واحتلال كيفة :

بينما كان رتل النجدة يتجه إلى تجكجته، كان الرائد آرنولد يزحف من أليور بسرية من رماة الكتيبة السنغالية الثانية وستين جمالا، إلى كيفة وهي نقطة

مياه مهمة توجد في أَرْقَيْيَه¹ على بعد ثمانية أيام جنوب شرقي بَجْگَجَه. وكان هدف هذه العملية أن تمتع، إذا استطاعت، قبائل أَرْقَيْيَه من الانضمام إلى الشريف.

وصل الرائد آرنولد دون مصاعب إلى كَيْفَه في الأيام الأولى من دجبر.

6. معركة عَقْلَة الثَّغْجَه (أَثْرَارْزَه) :

في أكتوبر 1906، تمركز بعض أولاد بَسْتِغْ وأولاد أَدَلِيم وبعض من منشقي لَعْلَبْ، في منطقة عَقْلَة الثَّغْجَه وحسوا عدة غارات في أَثْرَارْزَه. ولوضع حد لتهبهم، أرسلت للبحث عنهم مفرزة بقيادة الملازم الأول Berger، تكونت من:

- 16 حرسيا من فصيلة الجمالة المتمركزة في أخروُفَه.

- 15 جمالا من البيضان.

- 18 من الرماة المتمركزين في بُولِيمِيَتْ تم إركابهم على جمال.

- 63 نصيرا من أولاد أَبْبِيرِي.

اصطدمت هذه القوة يوم 10 نوفمبر بأولاد بَسْتِغْ ولَعْلَبْ. خسر العدو خلال المعركة ثلاثة عشر قتيلا وسبعة وعشرين جريحاً ثم هرب متخليا عن مخيمه وتاركاً بين أيدينا ثمانين جمالا. أما خسائرننا فكانت قتيلين وأربعة جرحى.

¹ براء ساكنة مرققة. (المترجم).

القسم السابع

أحداث سنة 1907

الحالة العامة - التنظيم العسكري والتراي - الأحداث العسكرية.

1. الحالة العامة:

لم يصمد التجمع الذي تكون حول الشريف مولاي إدريس، خصوصا بعد معركة التيملان، أمام الفشل الذي أصابه عند تجنجه. لجأ المنشقون إلى آذرار لكن اتفاقهم مع قبائل هذه المنطقة لم يدم طويلا؛ ثم أقنعتهم المجاعة خاصة، رويدا رويدا، بالرجوع إلى ميادين ظعنهم المعتادة إما بتقديم طاعتهم إلينا مباشرة أو بالتسرب داخل المجموعات التي سبق أن خضعت لنا.¹ وهذه الطريقة، طلب جل إدوعيش وكنته وأهل سيدي محمود الأمان قبل نهاية السنة وحصلوا عليه. أما الألداء من أعدائنا فقد ظلوا وحدهم في آذرار منتظرين الإمدادات التي وعدهم بها ماء العينين. في شهر أغسطس، تبرأ عبد العزيز² من مولاي إدريس واستدعاه، نتيجة لجهودنا الدبلوماسية. وعندئذ، أرسل المنشقون ووُلد عيَّده سفارة إلى [الشيخ]³ ماء العينين الذي قادهم إلى فاس ليتمكن البيطان أنفسهم من الدفاع عن قضيتهم أمام السلطان.

¹ تشير وثيقة بحوزتنا إلى أن قبائل الجنوب التي لجأت إلى آذرار بعد معركة التيملان وحصار تجكجه لم تتمكن من التعايش مع أهل المنطقة، حيث يذكر أن أهل آذرار قتلوا محمد ولد المختار ولد اسويد احمد أحد أعيان أيكاك ورجلا آخر من أولاد اعلي انتونقه من اشرايت. انظر الملحق رقم 3.

² السلطان عبد العزيز بن الحسن حكم المغرب بين سنتي 1894 و1908. (الترجم).

³ الإضافة من المترجم.

خلال كامل السنة، جابت عصابات كثيرة مناطق أترارزّه وتكانتْ وأفطوطْ وگورگولْ. وإذا كان المنشقون يجتاحون كل ما يجدونه ويهبون القرى السودانية في شتائه بلا هوادة، فإن زيارات هذه العصابات للمخيمات أشبهت عمليات جمع الضرائب أكثر مما كانت أعمال نهب صرف. ولم يكن رجال هذه العصابات يأخذون المواشي والعبيد إلا إذا رفض الضحايا تسليمهم قطع القماش التي يطلبونها.

وكانت هذه العصابات مطمئنة إلى تواطؤ أكثر القبائل الخاضعة لنا والتي دأبت على إبلاغنا عنها متأخرة وبصورة سيئة وذلك لشكوك تلك القبائل حول المستقبل وخوفها من الأعمال الانتقامية وأحيانا بسبب مصلحة لها في ذلك. رغم ذلك فقد انتهت السنة بحدوء شبه مطلق بينما تنتظر القبائل رجوع السفارة من المغرب¹. ويمكن أن يوهنا هذا الهدوء وهذه السلبية من طرف البيضان أن فترة المقاومة الصريحة قد انتهت وأن آذرارُ أصبح ثمرة يالمة تقطف دون مجهود.

¹ تقدر وثيقة فرنسية رسمية مؤرخة ب21 مارس 1908 أن السفارة عادت من مهمتها تلك ب600 بندقية على الأكثر وبيع بعض الذخائر. الوثيقة لدينا. (المترجم). وتشير وثيقة أخرى إلى أن هذه الكمية لم ترض المقاومين وأنهم لم ينالوا التجاوب الذي كانوا يطمحون إليه من السلطان. انظر الملحق رقم 3. وهو ما يؤكد قول الشاعر الشعبي سنين ولد أمقاري أحد المجاهدين من أهل آذرار حيث قال في طلعة له مطلعها:

لحق لي لمغن بيضان * القبيلة واتراب السودان
بن اظمين احي بن عثمان * ما قط اسع كون اف لصالح
إلى أن يقول:

ويرت العبد من عند السلطان * والجيش ولا طان مطراح.
انظر:

د. محمد المحجوب ولد بيه: موريتانيا جنور وجسور، كتاب تحت النشر، فلم لجائزة شنقيط، ص 174.

2. التنظيم العسكري والتراحي.

تميز التنظيم العسكري وتحسن على مستوى القوات النظامية كما على مستوى قوات الشرطة؛ فقد زيد حجم القوات النظامية إلى ثلاث سرايا ونصف من الرماة وفصيلتين من الرشاشات وفصيل خيالة وقطعة هاون 80 جلي.

وفي دجبر سنة 1907 شُكِلَت كتيبة موريتانيا بسريتي تَغَاثُ ثُمَّ أُضِفَت لهما، في سنة 1908، سريتان ثم ثلاث سرايا وفصيلة مدفعية. كما شُكِلَت ثلاث فصائل جمالة ملحقة بسرية أَثْرَارْزَه (بُوتِلِمِيَت) وبسريتي تَغَاثُ (الْمَجْرُؤَه)، تَغَاثُ طَبَقًا لِلأَمْرِ العام رقم 63 بتاريخ 15 دجبر 1906. وكانت فصيلة السرية السابعة قد شرع في تنظيمها ورأيناها تشارك بشكل ملموس في معركة عَكَلَةُ التَّحْجَه.

لم نَقْم بأي عمل تقريبا في تَغَاثُ حَتَّى وَصُول النقيب Mangin، لم تشكل الفصيلتان إلا في إبريل 1908.

لم تعد قوات الشرطة تشمل حرس المناطق بل أصبحت تتكون من رماة خارج الإطار مشكلين في ألوية ومن فصيل خيالة خارج الإطار أيضا بالإضافة إلى فصيلتين من الجمالة. وكان من المفترض تشكيل فصيل ثالث في لَبْرَاكْنَه لكن ذلك لم يتم إلا في بداية 1908 ولم يعمر الفصيل طويلا لأن مناخ هذه المنطقة لا يلائم الإبل.

أَلْفِيَت حَامِيَات سَهْوَةَ المَاءِ وَأَخْرُوْلَه وَمَيْت. أقيم موكران جديدان أحدهما بالمذرذره في أَثْرَارْزَه الجنوبية والثاني في أَكْجَجْرَجَتْ بِإِيْشِيرِي. وأصبح هذا الفصيل قاعدة لفصيلة جمالة السرية السابعة التي سيزيد مدى عملها إلى الشمال بصفة استثنائية.

وكنّا نعمل على مركز أكجوجت في تطوير عملنا السياسي في آذرآز وأن يكون قاعدة لنا حين يتم تقرير احتلال هذه المنطقة.

في نوفمبر [1908]¹، تولى العقيد Gouraud قيادة موريتانيا.

3. الحوادث العسكرية.

ظلت الحالة ممتازة على المستوى العسكري طوال السنة فمفارزنا تفوق على العدو في كل مكان. ولكن هذه الانتصارات السهلة التي حققناها مالمنا ثقة زائدة عن الحد واحتقاراً لأعدائنا سيكونان أحد الأسباب الرئيسية لإخفاقاتنا سنة 1908.

1. أترآزّه:

- خلال النصف الثاني من شهر فبراير، طارد الملازم الأول Schmitt مع جمالة من السرية السابعة، مفرزة كانت قد حرقت قرية مآق، وأدركها عند أغبويت. خسر البيضان في هذا الاشتباك سبعة قتلى وأربعة عشر جملًا وثمانين بندقية.

- في نفس الفترة، فاجأت مفرزة من فصيل الخدمات المحلية، يقودها الملازم الأول Gouspy مفرزة معادية أخرى عند كندلْك وقتلت منها ثلاثة رجال.

- في شهر مارس، لاحق الرقيب Labobd²، عصابة من لعلب كانت قد استأقت ما يناهز مائة ناقة لتجكأكت سهوة الماء وقتل منها رجلين وأسر ثلاثة واستعاد المواشي المسروقة.

1 التوضيح من المترجم.

2 لعل الأصح هو Laborde (المترجم).

- خلال شهر إبريل، طارد الملازم الأول اشميت مع سبعة عشر رجلاً، "عصابة" كانت قد اكتسحت قطعاً من الغنم عند بُوتلميت وأجبرها على التخلي عن غنائمها.

• بعد استيلاء العدو على نحو أربعين جمل من تشكيلات الجمالة قرب أخروفة، لاحق الملازمان الأولان اشميت وگوسبي النهاين حتى أُلُوْزَكْت¹ قاتلين اثنين منهم ومسترجعين أكثر المواشي المسروقة.

• في الثالث من يوليو، اصطدم الملازم الأول Labonne الذي ذهب بثلاثين جبالاً من بُوتلميت للانضمام إلى الملازم الأول اشميت، بغزو من أولاد بَسْعَ في أكشاز فقتل منه ثمانية رجال وغنم ثمانية جمال.

• في اليوم التالي لهذا الحادث، هاجم لاهون غزياً يبلغ نحو ثمانين رجلاً من أولاد بَسْعَ وأولاد أدلِيم عند آبار بُوقَطَارَه. وبعد قتال دام ما يقارب الست ساعات، هرب العدو تاركاً ست عشرة جثة وسبعة بنادق وستة جمال. خسروا قليلاً واحداً من الرماة وجرحين كما نفقت سبعة من جمالنا.

• في غرة سبتمبر، أدرك الملازم الأول اشميت، في أَكْنِي أَمْ أَبْحَر، عصابة من ثلاثة عشر منشق استطاعوا الهرب مستترين بالنباتات التي تغطي المنطقة وإن قتل قائدهم. وبقيت بين أيدينا ستة جمال وبندقيتان.

• يوم 21 من نفس الشهر، التقت دورية من ثلاثة رجال يقودهم رقيب الحرس الجليلي، سبعة من أولاد بَسْعَ عند آبار كُنْ بَاب. هاجم الرقيب

¹ بير على بعد 190 كلم شمال النواكشوط (المترجم).

الجيلالي العصابة وأجبرها على الفرار مستوليا على تسع وتسعين بقرة
وثمانين شاة وعشرين حمارا وبعض العبيد.

2. لَبْرَاكْنَه:

لما كانت هذه المنطقة لا تتوفر على وحدات جمالة، فقد حول فصيل خيالة
الرّفْقَبَه¹ إلى بُگَه أولا ثم إلى أَكْـبَرَتْ لمطاردة عصابات وَلْد عَسَّاسْ
ابن الأمير السابق وعصابات بكار وَلْد أَحْمَيَّادَه زعيم أولاد نَعْمَاشْ المنشق.
إلا أن النهاين، في لَبْرَاكْنَه، ظلوا يجدون تواطؤا في كل مكان كما أن القبائل
ظلت تزودنا بالمعلومات بصفة سيئة بل وحتى إنها ساعدت أعدائنا على
الهرب.

ورغم ذلك، نجح الملازم الأول **Corrard Des Essarts** يوم 26
فبراير في مفاجأة وَلْد عَسَّاسْ وعصابته قرب أضاة مَرَكْلَ فبقي وَلْد عَسَّاسْ
وواحد وثلاثون من البيضان على ميدان المعركة بينما لم تتجاوز خسائرنا جرح
رقيب وخيال واحد.

يمكننا القول إن هذا كان النجاح الوحيد الذي حقق في لَبْرَاكْنَه خلال
المطاردات الكثيرة التي نفذها الرماة والخيالة. نجح بكار [ولّد احميَّاده]² من
كل المطاردات حتى اغتاله أحد رجاله في 31 دجبر في شَفَـارْ وبادر
القسم الأكبر من عصابته إلى إعلان ولائهم.

¹ براء مرفقة. (المترجم).

² التوضيح من المترجم.

3. ئَگَاآت:

تمثل النشاط العسكري بهذه المنطقة، خصوصا، في حراسة القوافل والبرد وقد منع انعدام الجمالة من مطاردة مفارز العدو التي ظلت تتجول بكل أمان. في شهر يوليو، احتلت مفرزة من ثمانين رام يقودهم الملازم الأول دوفور واحة الرشيد لمنع المنشقين من جني ثمرهم ولتتولي المفرزة ذلك..

4. گورگل.

تجمعت قبائل هذه المنطقة ونجحت في حماية نفسها ضد النهابين. قتل أولاد ابراهيم خلال اشتباك، خمسة إدوعيش¹ واسترجعوا قطعانهم التي كان هؤلاء قد استولوا عليها. ألحق أولاد الطلاب¹ وأولاد غيلان هزيمة كبيرة بغزي من أولاد بَسَع وقاتلوا ثلاثين من رجاله.

5. گيديماغا.

بسبب بعض الحوادث الخطيرة في المنطقة (محاولة تسميم حاكم الدائرة وحامية سيلباي) ولتهدة حالة الغليان التي ظهرت في سونكه، تم إرسال النقيب Repoux قائد السرية الخامسة من الكتيبة السنغالية الأولى وحاكم دائرة گُرگُول إلى سيلباي مع أربعين من الرماة فوضع وصول هذه القوة حدا لتلك البلبلة².

¹ لعله قصد أولاد طلحه فصصف. ولعله قصد قبيلة أخرى غير أولاد غيلان فلا يعلم لهم وجود في هذه المنطقة في هذا الوقت المبكر من القرن العشرين. مع أن قبائل البيظان متداخلة ومتساكنة منذ قديم (المترجم).

² لمزيد من التفاصيل عن حوادث التسميم هذه انظر المقدمة.

لا يمكن لهذا الملخص أن يعطي فكرة كاملة عن النشاط الذي بذلته القوات النظامية وقوات الشرطة. مكنت استطلاعات كثيرة جداً، من وضع خريطة كاملة للبلاد سهلت لمقارننا ما تقوم به من مهمات وانتزعت من النهابين أحد أهم عناصر الأمن، الذي كانوا يتمتعون به.

القسم الثامن

أحداث سنة 1908:

هجوم التلاميذ وقبائل آذرار والمنشقين:

أم لعويطات - الله - يغرف - أغكيلة الرقيب - دمان¹ -
أكجوجت - أمختنات تمادي - قافلة Berger - رتل النقيب الفريرجان -
فصيل Solère - لگویشيشي - ألواذيبو - المينان - تالمست - أرزال
والرشيد - الغزلات - لتفتار - خط التلغراف.

أولا

هجوم التلاميذ وقبائل آذرار والمنشقين في ينشيري وألواذيبو.

هذه أكثر فترات احتلالنا ضررا لنا، لما تكبدناه خلالها من خسائر كثيرة ومؤلة. ورغم أن الشهرين الأولين من السنة مضيا بهدوء إلا أن عودة السفارة من المغرب إلى آذرار مزودة بأسلحة سريعة الرمي ترافقها عصابة من تلاميذ الشيخ ماء العينين، قد بدلت تماما، الحالة السياسية والعسكرية.

تولى الشيخ حسنه ابن شيخ الساقية الحمراء القيادة الفعلية للصراع فأظهر ذكاء وعنادا غير عاديين. وبينما كانت غزيان لا تحصى تجوب المناطق التي تحتلها وتجهد في الاستيلاء على كل دواب الحمل، كانت مجموعات مؤلفة أساسا من التلاميذ تهاجم مفارنا. وبفضل تسليحهم والانضباط الذي يفرضونه على أنفسهم وكذلك - ولتقلها - بفضل شجاعتهم الحقيقية، نجحوا في أن يسبوا لنا

¹ بلر قريبة الماء وحولها سهل يزرع في سنوات المييل. على بعد حوالي 80 كلم إلى الجنوب الشرقي من أكجوجت. وهناك موضع آخر بنفس الاسم في الحوض الشرقي وقعت عند إحدى معارك المقاومة. (المترجم).

إخفاقات¹ دامية. وكانت الأهداف الرئيسية لهجمات هؤلاء التلاميذ مركز
أَكْجَوَجَتْ وفصائل جمالة النقيب مانجين التي تهدد مباشرة آذَرَارْ.
أغلبنا أَكْجَوَجَتْ بسبب السكوروبوت لكن التلاميذ ادعوا ذلك لنجاحا لهم.
كما شلوا في المِنَانْ وَتَالْمَسْتْ جمالة تَكَاَتْ لمدة شهور كثيرة.
1. أم لَعُوَيْتْ فَاتْ:

كان مركز أَكْجَوَجَتْ الذي يقوده النقيب رِيُو يشغله القسم الأكبر من
السرية السابعة من الكتبية السنغالية الأولى. بينما بقيت مفرزة من هذه السرية
حامية في انواكشوط.

أما فصيلة جمالة هذه الوحدة بقيادة الملازم الأول اشميت فكانت آنذاك تتجمع في
إِنْتِشِيرِي وتقوم بسلسلة من الاستطلاعات غرب آذَرَارْ بل وفي عمقه.
وفي 19 يناير 1908، وبينما كان مكلفا باستطلاع لتحديد أقصر الطرق بين
أَكْجَوَجَتْ وَأَلْوَادِيُو، اشتبك الملازم الأول اشميت عند آبار أم لَعُوَيْتْ فَاتْ
في تَارِيَاَزْتْ مع عصابة من خمسة وعشرين من أولاد آكشَارْ وأولاد اللَّبَّ² فقتل
منهم أربعة رجال وسلبهم سبعة جمال وستة بنادق.
2. اللَّبَّه.

في 9 و10 فبراير، اكتسح النقيب ريو، الذي كان في جولة في آذَرَارْ، عند اللَّبَّه
وكيِّراتْ أحياء من أهل الحاج وأهل أَعْمَرْ أَكْدِيَجَه فقتل منهم رجلين
وسلبهم اثني عشر جملا وثلاثة وثمانين حمارا وتسعمائة شاة وخمسين ومائتين من
البقر وعشر بنادق.

¹ يتفادى الكاتب استخدام "هزيمة" ويعوضها بـ "إخفاق" أو "فشل" كلما تعلق الأمر
بهزيمة أو ضربة قاسية يتعرض لها أصحابه. (المترجم).
² بلام مقلظة. (المترجم).

3. أَفْرَارَتُ لَقْرَصَ:

وفي الأيام الأولى من مارس فاجأ نفس الضابط حيا من إِدِيثَلَي عند أَفْرَارَةِ لَقْرَصَ فقتل منه عشرة رجال.

4. اعْقِيلَةُ الرُقْبَةِ:

لم يكد النقيب رِبُو يرجع إلى المركز بعد هذه العملية حتى علم أن وَلَدَ عَيْثَهُ يجمع قواته ليهاجم أَكْجَوَجَتَ فقرر التحرك إلى يغرف لمعاوية إِدِيثَلَي الذين يأتون باستمرار للتجسس علينا وليتصدي للتجمع الذي يعده سلطان آذَرَارَ ويفرقه عند الضرورة.

في الثاني عشر [مارس]¹، انطلق [النقيب رِبُو]² بالملازم الأول اشميت ورقيين أوربين وثمانية وعشرين من الرماة والتي عشر جمالا. تجمعت قوة الاستطلاع في أعْقِيلَةُ الرُقْبَةِ يوم 16 مارس 1908.

رجع الملازم الأول اشميت من دورية على تمام الساعة الواحدة والرابع بعد الزوال وكان العدو يتبعه عن قرب. بدأ الهجوم عند الثانية والنصف ظهرا بقيادة وَلَدَ عَيْثَهُ وسيدي مدعي إمارة أَثَرَارَزَه ومعهما ما يناهز المائتي رجل. بعد ساعتين من قتال شديد ومتقارب، أربك رجوع العريف موسى كُولِيَالِي وبعض الرماة الذين كانوا قد ذهبوا للبحث عن حيوانات ضالة، البيضان فاستفاد الملازم الأول اشميت من ذلك وأثار الرماة فتمكن من إجبار العدو على الهرب. ترك العدو اثني عشرة جثة في ميدان المعركة. كلف النصر ثمنا باهظا. قُتِلَ النقيب رِبُو وراميان وجرح الملازم الأول اشميت ورجل آخر.

¹ التوضيح من المترجم.

² التوضيح من المترجم.

5. آبار دَمَانْ:

في الخامس ابريل، فاجأ ما يقارب العالين من اَتَلَامِيذْ، عند آبار دَمَانْ، قافلة من الجنود العالين إلى السنغال على طريق انواكشوط، وهم نائمون ظهرا. كانت القافلة مكونة من مساعد ورقبيين أوروبين وعشرين من الرماة. قتل الرقيبان الأوروبين وخمسة عشر سنغاليا وتم الاستيلاء على الأسلحة والذخائر والأمتعة.

6. اَكْجُوجَتْ:

في الثاني من مايو 1908، نُهبت رواحل فصيلة جمالة السرية السابعة على بعد أقل من كيلومترين من اَكْجُوجَتْ.

تولى النقيب **Bablon** قيادة المركز الذي زيد عدد أفرادهِ إلى خمسين ومائة بندقية.

7. اَمَحِيْتَرَاتْ تَمَادِي:

أثناء عودتها، هوجمت المفزة التي رافقت النقيب بابلون، عند اَمَحِيْتَرَاتْ تَمَادِي يوم 21 مايو من طرف ما يناهز المائة من البيطان المسلحين كلهم ببنادق سريعة والمزودين بكثير من الذخائر. كان تحت تصرف الملازم الأول أوبر (قائد المفزة) ضابطان هما الملازمان الأولان Coutance وسولير وخمسة ضباط صف وثمانية عشر سنغاليا وأربعون جمالا من البيطان من فصيلي الخدمة المحلية الأول والثاني.

أنلرت دوريات الاستطلاع الملازم الأول أوبر في الوقت المناسب فأخذ احتياطاته القتالية بدرجة محكمة جعلت العدو بعد ثلاثة أرباع الساعة من القتال يهرب تاركا على الميدان خمس عشرة جثة وعشرة بنادق سريعة الرمي وبعض الذخائر.

بلغت خسائرنا رقيقا أوروبا واحدا جريحا وثلاثة رماة قتلى كما جرح ثلاثة رماة وثلاثة جمالة. أبدى البيضان في هذه المعركة استماتة حقيقية وتقدموا حتى خمسين مترا من خطنا.

وابتداء من هذه اللحظة، حاصر التلاميذ وأهل آذرارَ أَكْجُوجَتَ وبذلوا كل جهودهم لمنع قوافل التموين والمبادلة عن المركز. ساءت الحال كثيرا وانتشر مرضا السكوريبت والبري بري في الحامية بسبب رداءة الماء ونقص الغذاء، المكون فقط من أرز الهند الصينية واللحوم المعلبة. في 15 يونيو، أصيب مائة وخمسة وعشرون رجلا من أصل خمسين ومائة هم ملاك المركز. صار ملحا إرسال أغلبية طازجة إلى المركز وتبديل كامل الحامية.

8. الهجوم على قافلة بيرجيه:

غادر النقيب بيرجيه النواكشوط يوم 20 يوليو 1908 ومعه قافلة متكونة كالتالي:

- الملازمان الأولان سمون وأندريه والملازم Mugnier-Pollet.

- الطبيب المساعد Dubarry.

- أربعة ضباط صف أوروبيون.

- مائة ستون من الرماة، ذوي الرتب والجنود.

- اثنان وعشرون جمالا ونصرا من البيضان.

- سبعة وستون جمالا.

- خمسون ومائة جمل.

- خمسون حمارا.

كان احتياطي الماء 2500 لترا، منها 1600 في براميل.

جاء الرماة من مفارز مختلفة : مائة منهم قدمت إلى موريتانيا حديثا ويتقصرهم التدريب. كان الفصل حارا بشكل خاص. وابتداء من يوم 23 يوليو، لم توقف رياح الشرق عن العصف ليلا ونهارا. ولما وصلت القافلة إلى وأذ لخطب يوم 22 لتزود بالماء كما هو مقرر وجدت أن حمارا سقط في بئر فمات وأفسد ماءها¹ بينما ماء الأخرى زعاق.

ورغم ذلك، كان الوصول إلى نقطة أنواراماش² المائية ممكنا دون صعوبة كبيرة لولم يضع القتال الذي تعين خوضه عند وأذ الشبكه يوما كاملا ويزد الرجال إرهاقا.

في صباح 24 يوليو، هاجم القافلة مائة من البيضان مسلحين ببنادق سريعة الرمي فردوا على أعقابهم بعد ساعتين من القتال تاركين ستة قتلى على الميدان؛ بينما جرح منا رقيب أوروبي وقتل أحد الرماة وجرح اثنان. تقدم الملازم الأول آندريه على رأس فصيلة من الجنود القدامى والأنصار من قبيلة لعلب لاحتلال أنواراماش قبل وصول القافلة وكان عليه أن يطرد منه مجموعة من البيضان.

كان العدو قد غور الآبار فطلب الحصول على قليل من الماء ساعات عمل كثيرة. جاءت القافلة ببطء والرماة منهكون تماما قد تخلف كثيرون منهم على الطريق وتعين أخذ الأسلحة والذخائر من من لم يعودوا قادرين على حملها ومات عدد منهم بعيد وصولهم إلى البئر وارتوألهم منها.

¹ الأرجح أن رجال المقاومة كما غوروا الآبار، أسقطوا الجيفة في البئر عمدا لإنهالك القافلة عطشا قبل مهاجمتها. (المترجم).

² بئر سطحية موسمية تقع على بعد 120 كلم شمال نواكشوط. (المترجم).

في الثامن والعشرين [يوليو]¹، تحرك النقيب بيرجيه إلى لَبَّيرَاتِ التي سبق للملازم الأول أندريه أن احتلها يوم 26 بعد أن طرد عنها عصابة من التلاميذ ونظف آبارها.

تمركزت القافلة في بَرْجِيَمَاتْ في اليوم الأول من أغسطس. بلغت الخسائر منذ مغادرة وأذْ لَحْطَبْ نتيجة للتعب والعطش ثمانية وعشرين قتيلا ومفقودا من الرماة ولم يعثر إلا على بندقيتين من بنادقهم.

احتاجت المفرزة لراحة طويلة. كان مؤسفا أن تعاش المفرزة مما تحمله القافلة، لذلك، حينما وصل النقيب بيرجيه إلى أَكْجُوجَتْ يوم 23 أغسطس كانت كمية الأغذية التي وصلت قليلة جدا.

في الثاني من سبتمبر، رجع بيرجيه للانضمام إلى رتل الرائد افيريجان فـي بَرْجِيَمَاتْ. وقد كان الملازم الأول أوبير احتل برجيمات الذي سبق للرائد Gaden حاكم دائرة أَتْرَارْزَه أن أرسله في 17 أغسطس بثلاثين من الجمالة السنغاليين ومائة من البيطان لتعزيز مفرزة بيرجيه.

9. الهجوم على رتل افيريجان:

تم تشكيل رتل إنقاذ في أَلْدَرْ وغادرها يوم الثاني أغسطس متكونا من:

- الرائد افيريجان قائد الرتل.

- أربع سرايا من الكتيبة السنغالية الأولى (النقيب Dureuil والملازمان الأولان

Girard Pelud و Dionis وملازم الاحياط Saint-Père).

- الطبيب المساعد Cazenave.

- ستة ضباط صف.

¹ التوضيح من المترجم.

- مائة وتسعين من الرماة، ذوي الرتب والجنود.

- ثلاثمائة وسبعة من الجمال.

عزز فصيلان من الفرسان تحت قيادة النقيب Audeoud حراسة الرتل حتى انواكشوط. كانت مهمة الرائد فريرجان تدمير مركز اَڭْـجُوجَتْ وإخلاء حاميته وما به من أغذية ومعدات.

وصل الرتل إلى انواكشوط يوم 21 أغسطس ثم استأنف مسيره في 31 من نفس الشهر فوصل اَڭْـجُوجَتْ يوم 10 سبتمبر وأخلى المركز يوم 14 منه.

أثناء عودة الرتل، هاجمته عند حوالى الساعة الثامنة من صبيحة التاسع عشر سبتمبر، بين بَرْجِيْمَاتْ وأَثْوِيْزَكْتْ، مجموعة من ثلاثمائة بندقية فأجبرها على الانسحاب تاركة سبعة قتلى بينما لم نسجل في صفوفنا أية خسارة.

من بَرْجِيْمَاتْ، أرسلت مفرزتا أوبر وبيرجيه إلى الجنوب. أما السرية الرابعة وفصيلة رشاشات ومجموعة من الأنصار فظلوا في إِنْشِيْري بقيادة الرائد فريرجان للمساعدة في حماية أَثْرَارْزَه التي كان يعاد تشكيل وحدات جهاتها. كان آخر حدثين تشارك فيهما قوات أَثْرَارْزَه [الفرنسية]¹ قبل الرتل [رتل آذْرَان] كارنتين حقيقتين.

10. مشكلتة فصيل Solère:

غادر الملازم الأول سولير بُوْتِلِمِيْتْ يوم 16 أكتوبر 1908 ومعه مساعد أوروبي ورقيب جزائري وسبعة وعشرون سنغاليا واثنا عشر جهالا. وكانت مهمته مطاردة غزو عمل في منطقة سَهْوَة أَلْمَاء ثم هرب نحو الشمال الشرقي. تم التعرف على آثار النهايين بين بِيْرُ الْبَرْكَة وشُقْأَرْ.

¹ التوضيح من المترجم.

علم الملازم الأول فور وصوله إلى هذا المكان يوم 19 أكتوبر أن الغزي قد استولى على قطيع كبير من الغنم وهو يسوقه.

في يوم 20، بلغ الملازم الأول سبخة أَلَيْشِيلِيَّتْ التي لم يجد فيها مع الأسف ماء صالحا للشرب فقرر المتابعة إلى المَلْحَس. لكن الرماة القادمين إلى موريتانيا حديثا من ساحل العاج وغير المديرين على المشاق ولا تحمل العطش والمذعورين من المناطق المتصحرة التي جابوها، قد أبدوا عدم انضباط حقيقي منذ انفصالهم من شَدَّارَ مؤخرين باستمرار سير المفرزة ومبذرين الماء رغم المراقبة التي فرضها عليهم الملازم الأول.

أما المساعد Berard وكان هذا استطلاعه الأول فلم يكف بعدم معاونة قائده فقط بل إنه ساهم بسلوكه في إحباط معنويات الرجال.

أعلن الدليلان يوم 21 أنهما تاهما، فأرسل دي سولير دورية للبحث عن البشر [المَلْحَس]¹ التي ظنها قريبة منه. ولما لم تعد الدورية، عزم الملازم الأول يوم 22 على محاولة الوصول إلى بئر علالي لكنه واجه صعوبات همة في حمل الرماة على الذهاب.

وفي صبيحة اليوم التالي، تخلى المساعد وآخر الدليلين عن المفرزة. وبعد ذلك كان لابد من التوقف لأن الرماة كانوا مرهقين تماما. وعندما خف الحر، ربط الرقيب الجليلي وجالة البيضان الأربعة الباقون دي سولير على جمل وأركبوا الرماة الثمانية الذين ظهر أنهم مايزالون قادرين على المتابعة ثم انطلقوا بأقصى سرعتهم إلى شَدَّارَ.

¹ التوضيح من المترجم.

بقي خمسة سنغاليين على الطريق ولم ينجح الأحياء في الوصول إلى نقطة المياه إلا بفضل مصادفتهم شبه المعجزة لجملين محملين قربا تخلّى عنهما صيادون من أولاد أَيْبِرِي وفروا هاربين. كان الملازم الأول والرقيب وثلاثة سنغاليين والجمالة الأربعة هم كل من نجا من هذه المغامرة.

11. معركة لَكُونِشِيشي:

غادر الملازم الأول ربول المَذَرْدَرَه يوم 26 نوفمبر 1908 ومعه رقيب الدرك Gresp وثلاثة وعشرون فارسا وستة جمالة لمطاردة غزي يقوده ولّد اللّيْذْ هُب أحياء من تَنْدَغَه واتجه شمالا عبر آفْطُوطُ السَّاحِلِي. التحق نحو خمسين من الأنصار بالفرزة أثناء المسير.

تم اكتشاف مكان الغزي حوالي الساعة الثامنة من يوم 28 عند آبار لَكُونِشِيشي؛ فتخندق العدو بسرعة بين الكبان المتاثرة المغطاة بالنباتات الكثيفة.

ولما كان استخدام الخيول غير ممكن في ميدان كهذا، أمر ربول بالترجل لكن الخيالة غير المدربين على القتال كجنود مشاة وبنعالمهم الثقيلة وسترأهم الحمراء التي جعلتهم أهدافا حية، لم يستطيعوا طويلا مقاومة عدو يفوق عدده عددهم خمس مرات، جيد التسليح ويستخدم الميدان بمهارة تستحق الإعجاب.

سقط الملازم الأول واثنا عشر فارسا منذ اللحظات الأولى فجمع الرقيب الناجين ونجح في التملص من العدو. بقيت جثث الملازم الأول والقتلى الآخرين بين أيدي العدو كما بقي بين يديه ستة عشر حصانا وثمانية عشر سيفاً وأربع عشرة بندقية كارابين. أما الأنصار فكانوا قد انسحبوا عند بداية المعركة تقريبا

بعد أن استعادوا ثلاثة آلاف من الغنم لكنهم خسروها أثناء الليل كما قتل منهم عشرة.

12. أنواذيبو؛

هاجمت عصابة يتراوح عدد أفرادها بين الثلاثين والخمسة والثلاثين رجلا من أرقييات وأولاد أدليم حوالى الساعة العاشرة من مساء 22 يوليو 1908 مزرعة السيد Francoules ونهبوها. وما إن علم المركز، حتى خرج الملازم الأول Berthome برقيين أوروبيين وثمانية عشر رام لملاحقتهم فأدركوهم حوالى الساعة الرابعة صباحا واستردوا ما سلبوه وجرحوا منهم رجلا وغنموا جملا وبندقية.

ثانيا

هجوم أتلَامِيد وقبالل آذرَارُ والمنشقين في تْكَائْتْ.

1. معركة المَيْنَانْ:

في إبريل، كانت فصيلتا جمالة تْكَائْتْ قد شُكِّلتا وقد أُلِّقا تحت قيادة النقيب مانجين تجمعا من مائة وأربعة عشر رام وثلاثين جمالا ورشاشين. كانت هذه القوة، بشرط أن تبقى متجمعة، قادرة على تحدي كل صولات أتلَامِيد وأهل آذرَارْ.

كان النقيب مانجين ينوي، خلال شهري يونيو ويوليو 1908، أن ينتجع مراعي الحاذ في الخطْ، شمالي تَجْكَجْجَه، وأن يتفقد نقاط المياه الواقعة بين تْكَائْتْ وآذرَارْ. كانت هذه النوايا معروفة لدى أتلَامِيدْ، إذ أن وحدتنا كانت عرضة لمراقبة أولاد سَاسِي وهم بطن من إِدِيْشَلِّي أذنا لهم بالرعي في

أراضينا¹، ولكنهم هربوا إلى الشمال في نهاية شهر مايو. وقد كان النقيب حذر من تعرضه لهجوم لكنه لم يقدر أن من الضروري أخذ ذلك في الاعتبار². في الثاني من يونيو، أرسل النقيب من ألواشيد الملازم الأول كوسي ومعه رقيب أوروبي وثلاثون رام وأربعة جمالة، لاستطلاع طريق أغيون لَبَّةَ رُ بينما سار هو بباقي الفصيل إلى تَالْمَسْتُ.

ترك النقيب مانجين حيث ترك يوم 09 يونيو الطبيب البيطري Amiet والرقيين Laroque de Evrard وتسعة وأربعين رام ورشاشا وبعض الجمالة والنساء والجمال العاطلة.

ذهب النقيب من تَالْمَسْتُ ومعه الرقيب Megnin وثمانية وعشرون رام ورشاشا وجمالان وثلاثة رعاة وخادم كلهم مسلحون، لمحاولة حفر آبار قرب مرعى من الحاذ يبعد ثلاثين كيلومترا عن تَالْمَسْتُ وخمسة عشر كيلومترا عن المَيْنَان.

ورغم أنه لم يصل إلى نتيجة فقد تمركز صباح 13 وسط المراعي بعد أن أرسل إلى الطبيب البيطري يأمره أن ينضم إليه بباقي المقرزة. ذهبت سُخْرة من سبعة رجال إلى آبار المَيْنَان. أقيم المعسكر على ربوة في ميدان من تموجات تبدو سهلة المراقبة لكن تقاطعات الكثبان شكلت مسالك تسمح بالاقتراب سرا حتى مئات الأمتار من المعسكر بينما يناوب حارس واحد والجمال مطلقة ترعى قريبا.

¹ هكذا! (المترجم).

² بعث التلاميذ رسالة ملينة بالتحدي والفروسية إلى مانجين يتوحدونه بغزوه في مثل عدد رجاله وبهزييمته. وقد صدقوا وعيدهم. لمراجعة فحوى الرسالة انظر:

Gillier(Commandant Brevetté): La Penetration en Mauritanie:ed: Libraire Orientaliste Paul Geuthner. Paris. 1926. P:165. (المترجم)

بدأ الهجوم عند منتصف النهار وأطلقت الرصاصات الأولى من مسافة تقل عن خمسين ومائتي متر. طوق المهاجمون الذين ناهز عددهم خمسين ومائة، الرماة البالغ عددهم واحد وعشرين والذين تجمعوا حول النقيب وهو يحاول تشغيل الرشاش لكنه تعطل فقتل عليه. قتل الرقيب ميكنين في نفس اللحظة تقريباً وتساقط الرماة الواحد تلو الآخر لتوقفت النيران من جهتنا بعد نصف ساعة من بداية القتال. وكان التلاميذ قبل أن يهاجموا المفزة قد قتلوا رجال مسخرة الماء السبعة.

2. تَأَلَّمَسْتُ،

كان البيطري آميت قد انطلق مساء 13 للانضمام إلى النقيب وحوالي منتصف النهار سمع الرماة المناوبون في المرعى تبادلًا قويا وقصيرا لإطلاق النار وعثروا على آثار ثلاثة بيضان راكبي جمال جاؤوا لمراقبة معسكر تَأَلَّمَسْتُ. عند الرحيل التقت بعض الحمير فكُلِّف الرقيب Oualo ومعه عريف وسبعة رماة بالبحث عنها. مع بزوغ يوم 14 رتب السيد آميت معسكره في موقع ممتاز على ربوة مرتفعة تكفيها نتوءات صخرية. وبينما كان الجنود مشغولين في تنزيل الحمولة ظهر أَتْلَامِيذُ الذين كانوا قد باتوا قريبا وهاجموا فوراً. اشتد القتال منذ البداية فالعدو ازداد جرأة نتيجة لنجاحه في اليوم السابق ولديه ذخائر وافرة ورغم ذلك ردت صولاته نتيجة القيادة الحازمة للرقيين أيفرار ولاروك .

تطوعت بعض نساء الرماة لتزويد مقاتلينا بالذخيرة فقتلت إحداهن. وأصبحت الحالة حرجة نحو منتصف النهار إذ قتل ثمانية من الرماة الأربعين وجرح تسعة؛

إلا أن ظهور دورية الرقيب والو في وقت كان الجميع محاصرين ويزدادون إرهاقا، حسم مصير المعركة.

لم يتردد والو في الهجوم فحمتت هذه النجدة الضعيفة رجالنا فالتفّع كل من لم يصب منهم بجراحهم نحو أتلَامِيذ الذين تراجعوا مسرعين ربما ظنا منهم أن مفرزة غوسي قد وصلت.

كلفتنا المعركة عشرة رماة وجمالا واحدا وامرأة قتلى، كما جرح جمالان وتسعة رماة. وكذلك فإن سبعة وتسعين ومائة جمل إما قتلت أو أخذها العدو. لم نخسر أسلحة ولا ذخائر أما التلاميذ فقد تركوا على الميدان ثلاثين جثة وخمس بنادق. في اليوم التالي لحق آميت بتَجْگَجَه التي كان الملازم الأول غوسي قد وصلها يوم 12. أصبحت فصيلتا الجمالة بحاجة إلى أن يعاد تشكيلهما وخصوصا إلى أن يعاد إركابهما وهذا ما لم يكتمل إلا إبان انطلاق رتل آذرَارْ.

3. معركة آرَزَاكْ والرشيد:

خلال شهر يوليو 1908 استقر محمد المختار ولّد حامد زعيم كَنْتَه المسن المرتد يوم التيملان بالرشيد مع كَنْتَه المنشقين وبعض إِدِشَلِي أولاد التآكي وأهل أَخْجُورْ أي نحو خمسين ومائة مقاتل وتحصن في القرية القديمة منتظرا تعزيزات من آذرَارْ ومعلنا عزمه على احتلال القسم الشمالي من واحة تَجْگَجَه. انضم كَنْتَه الذين كانوا يجنون التمور في وادي الرشيد مظهرين ولائهم لنا، إلى زعيمهم السابق. وفي كل يوم تقريبا كانت مجموعات صغيرة من النهابين تجوس حول تَجْگَجَه، حتى إن بعض الجرمين الجسورين طردوا ذات ليلة قطيعا من وسط القرية.

لم يكن عديد حامية تَجَنَّجَه كافيًا للتأثير الناجع على تجمع الرشيد فوصلت التعزيزات المطلوبة ابتداء من 10 حتى 14 أغسطس 1908 وهي تشكل من السرية المحمولة من الكتيبة السنغالية الأولى (النقيب Malafosse والملازم الأول Tranchant) وخمسة وثمانين رجل من سرية الجريرة (النقيب Camy والملازمان الأولان Sechet و Marquenet) وفصيلة مدفعية الكتيبة (الملازم الأول Robert) وفصيل فرسان أَكْـسِيْرْتْ (الملازم الأول De La Brière).

أبلغ حاكم الدائرة حوالى الساعة التاسعة من يوم 10 أغسطس وكان الفرسان وصلوا لئولهم وبدؤوا يحيطون سرجهم أن مفرزة من ثلاثين رجل قد انتزعت قطيعا من البقر والغنم من على بعد عدة كيلومترات من المركز. انطلق النقيب Bontemps فورا مع فصيل الخيالة وفصيلة رماة (الملازم الأول ماركيي) لمطاردة النهابين فأدركهم في واد آرزال¹ وأجبرهم على الهرب بصولة من الفرسان جرح خلالها الملازم الأول دي لا بريير والرقيب Vuillemini. بقي خمسة رجال من المغيرين على الأرض واستعيد القطيع المكسح.

ارتحل الرتل مساء 15 أغسطس تحت قيادة الرائد Chambert قائد كتيبة موريتانيا وحاكم دائرة تَغْكَاتْ. ضم الرتل بالإضافة إلى المفاوز المذكورة خمسة وثمانين من رماة السرية الأولى (النقيب بونتان والملازم الأول دوفسور)، وفي الساعة 09 من صباح يوم 15 كانت مقدمته قد احتلت ذروة تسيطر من نحو ثلاثمائة وألف متر على قرية الرشيد.

¹ الرءء سلطنة مفخمة. (المترجم).

بدأ القصف فوراً لكنه كان قليل التأثير فأجبرنا العدو حينئذ على الخروج من
توء صخري يقع شمال القرية واستولف القصف من مسافة ثمانمائة متر، وأما
البيضان الذين كانوا يحتلون السور، فقد هربوا منذ قذائف المدفعية الأولى. أما
المقاومة الأساسية فكانت عند الصخور الخاضية للوادي وفي الأشجار الكثيفة
التي على جوانبه.

هرب العدو نحو الساعة الثانية ظهراً. جرح ضابطا صف أوروبيان وقتل أحد
الرماة وجرح ستة آخرون.

ثالث

هجوم ألاميد وقبالل آذرار والمنشقين في لبراكته.

1. اشتباك العزلات:

فاجأت عصابة يناهز عددها الخمسين من البيضان يقودهم ولد الديد قافلة من
فصيلة التموين يواكبها رقيب درك محلي ورقيب حرس وثمانية خالين.
بدأ الهجوم ظهر الرابع من يونيو 1908 عند آبار العزلات بين ألاك
وبُگّه. كانت المفزة غير محترسة والأسلحة والتجهيزات موضوعة على
العربات، فالترب المهاجمون حتى مسافة خمسين متر دون أن يحس بهم أحد. وقبل
أن يأخذ الرجال وضعاً قتاليا للدفاع عن أنفسهم سقط رقيب الدرك وحرسيان
فهرب الباقون متخلين عن القافلة. نهب البيضان العربات وجرحوا البغال
بخنجرهم.

2. لفتار:

يوم 14 أكتوبر 1908 رجعت من مركز المجرية قافلة قوامها خمسون
وحسمائة ثور كانت قد حملت من گورگول مؤناً غذائية للرتل ويجرسها
الرقيب Allard وأربعون رجلاً من السرية المحمولة وحوالي عشرة أعوان.

يوم 15 هاجم هذه المفرزة بعيد مغادرتها لفتتار مائة مسلح كمنوا لها على الطريق. انسحب العدو بعد قتال دام أكثر من ساعة آخذاً معه كل الشيران تقريباً بعد أن خسر ثلاثة عشر قتيلاً بينما قتل منا الرقيب آلال وأربعة رماة، كما جرح أربعة رماة آخرين.

بعد ظهر نفس اليوم، احتلت جماعة من البيضان ينبوع المَجْرِيَّة وحاولت الاستيلاء على قطيع المركز؛ لكن بعض قذائف المدفعية وصلات الرشاشات كانت كافية لطردهم.

3. خط التلغراف في لَشْفَتَار:

عند منتصف النهار تقريباً، من يوم 26 نوفمبر 1908، حاصرت عصابة من ستين بيظاني، مراقبين اثنين واثني عشر عاملاً يمدون خطاً للتلغراف على بعد أربعة كيلومترات من لَشْفَتَارُ فقتلوا سبعة من العمال وأوقعوا جروحاً خطيرة بالمراقبين كما استولوا على تسع بنادق كارابين.

وهكذا، فبين مارس ونهاية نوفمبر 1908 ارتفعت خسائرنا إلى ثلاثة ضباط وخمسة ضباط صف وأربعة وثلاثين ومائة رام قتلى إضافة إلى جرح سبعة أوروبيين (من كل الرتب) وأربعين عوناً محلياً.

زعزع نشاط أعدائنا الملحوظ والإخفاقات المتكررة التي ألحقوها بنا وغاراتهم المتابعة ثقة محكومينا بدرجة كبيرة حتى شاع أننا نستعد لإخلاء تَغَاثْت؛ مما سبب إحباطاً حقيقياً لأصدقائنا.

ورغم المصاعب المتنوعة الناجمة عن حمول أو سوء نية القبائل ورغم عصابات النهابين التي تتجول مهيمنة على كل المنطقة التي نحكمها فإن الرجال كانوا يتجمعون في المجريه وكذلك العتاد والقوات والدواب الضرورية للرتل [رتل

آذَرَاز¹]. وكان ذلك إنجاز الراءد Claudel الذي تولى قاءة موريتانيا قبال ذلك. لقد عرف كيف ينقل إلى الكل حيويته ونشاطه وثقته في البصر.

¹ التوضيح من المترجم.

القسم التاسع

رتل آذرار (01 دجبر 1908 - 15 نوفمبر 1909)
أثرارزه ، لبرأكنه، تگأنت وگرگل خلال سنة 1909.

أولا: رتل آذرار. واحتلال أطار

1. التكوين: تكون رتل آذرار المشكل في غرة دجبر 1908 كما يلي:

- الأركان:

- العقيد گورو قائد للرتل.
- الرائد اكلوديل قائد كتيبة موريتانيا قائدا مساعدا.
- النقيب خارج الإطار جيرهارد مساعدا للعقيد وقائما بوظيفة رئيس أركانه.
- الملازم الأول خارج الإطار Letang مكلفا بمصلحة الآبار والخرائط.
- بُلْمَقْدَاذ مترجم رئيسا من الدرجة الأولى مترجما.

- الأركان الصغرى:

- ثلاثة ضباط صف.

- عريفان.

- كتيبة موريتانيا:

- السرية الأولى: النقيب بونتان .

- الملازم الأول دوفور.

- خمسة ضباط صف أوريون.

- أربعون ومائة من ذوي الرتب والرماة.

— السرية الثانية: النقيب كامي .

- الملازم الأول سيشيه.

- أربعة ضباط صف أوروبيون.

- أربعون ومائة من ذوي الرتب والرماة.

— السرية الثالثة:

- النقيب بابلون

- الملازمان الأولان كوتانس وDuroc.

- خمسة ضباط صف أوروبيون.

- أربعة وسبعون من ذوي الرتب والرماة.

- شيخ ناحية من نواحي النهر، بيلا بيرام.

- أربعة وتسعون تكرروري.

— السرية الرابعة:

- النقيب Chretien.

- الملازمان الأولان de Beligonde وآندريه.

- خمسة ضباط صف أوروبيون.

- أربعون ومائة من ذوي الرتب والرماة.

— فصائل الجمالة:

- النقيب Plomion.

- الملازمان الأولان كوسبي وماركينييه.

- ثلاثة ضباط صف أوروبيون.

- أربعة عشر ومائة من ذوي الرتب والرماة.

- سبعون ومائتان من جمال الركوب.
- فصيلة المدفعية:
- النقيب Robert.
- سبعة أوريين.
- تسعة عشر إفريقيا.
- فصيل الرشاشات:
- الرقيان Gehin و Navonne.
- ثمانية رماة معارون من السرايا.
- فصيل الفرسان:
- الملازم الأول دي لا بريير.
- ضابط صف أوروبي واحد.
- تسعة وعشرون من ذوي الرتب والفرسان.
- الأنصار البيضان:
- النقيب Dupertuis.
- الملازم Violet.
- رقيب درك جزائري واحد.
- أربعة وستون نصيرا.
- القافلة :
- الملازم الأول Gauthier.
- ضابطا صف.
- مترجم.

- مائتان وثمانية وخمسون حمالا .

- تسعمائة وخمسون حملا للحمل.

— مصلحة الصحة:

- الطبيب الرئيس من الدرجة الأولى Amy.

- الطبيب المساعد من الدرجة الأولى Eberle.

- ممرضان.

زيادة على الذخائر الفردية وذخائر فصيلة الرماية حوى الرتل:

- 228700 طلقة من عيار 86 و 33264 طلقة من عيار 74 و 514 قذيفة

مدفعية وشهب الإشارة (130 حملا).

- 160.000 فرنكا (10 حملا).

- معدات طبية (28 حملا).

- قافلة المياه 6280 لترا (60 حملا).

- أقواتا أوروبية لثلاثة أشهر ومحلية لشهرين (405 حملا).

- معدات المطابخ والأرشييف (75 حملا).

- مواد غذائية للمطبخ التعاوني واحتياط الأدوات المتنوعة (34 حملا).

- 300 ثور للنحر.

2. مراحل نشاط الرتل:

يمكن تقسيم عمليات الرتل التي امتدت من 06 دجبر 1908 إلى 15 نوفمبر

1909 إلى أربع فترات:

1 - الزحف إلى أطار من السادس دجبر 1908 حتى التاسع يناير 1909.

2 - فترة الانتظار - تنظيم التموين - إركاب وحدات الجمالة: من 09 يناير حتى أواسط يونيو.

3- احتلال الواحات والعمليات المضادة للمنشقين من منتصف يونيو حتى نهاية سبتمبر 1909.

4 - تفريق الرتل من نهاية سبتمبر حتى 15 نوفمبر 1909 وتنظيم آذرار.

3: الزحف إلى أطار:

غادر الرتل المَجْرِيَّة يوم 06 دجبر 1908 ووصل إلى قرية أَوْجَفَتْ يوم 22 بعد أن اتبع الطريق المار بالنقاط المائة: ذَكْلٌ - ثَمْرَه¹ - العين الخَطْرَه - تَالْفَرْه - أَعْوِيَّاتْ أَرْبَلْ - حَاسِي مَعْطَل² - طَايَة الطَّفْلَه - تِيْمِيَتْ.

بدا أن التلاميذ وأهل آذرار لم يشعروا بحشد القوات الذي تم في الجريه ففاجأهم قدوم الرتل تماما. أما أول خير وصلهم فقد جاءهم به مولى محمد المختار ولد حامد كان موجودا في حَاسِي مَعْطَل³ يوم 17 دجبر ونجح في الهرب.

ورغم ذلك فمنذ وصولنا إلى أَوْجَفَتْ أصبحنا مراقبين بشدة وأفادت المعلومات أن العدو قد تجمع في يَغْرِف. استؤنف الزحف يوم 24 بهذا الإتجاه عبر الوادِ لَبِيْظ وفي المساء أقيم المعسكر في واحة وآذ تُولْكَاذ الصغيرة.

4: اشتباكات شحط وتيفجار:

في صباح اليوم الموالي (25 دجبر)⁴ خرجت دورية من سبعة عشر نصيرا تحت قيادة رقيب الدرك الجليلي لاستطلاع مخارج الوادي في اتجاه أَمَاطِيل. وأثناء

¹ تنطق كواحدة التمر دون تعريف. أوردها الشاعر الشعبي سدوم ولد انجرت (ت

1223هجرية) في بعض قصيده الشعبي.

² باللام المغلظة المشددة المفتوحة. (المترجم).

³ باللام المغلظة. (المترجم).

⁴ التوضيح من المؤلف. (المترجم).

رجوعها، توغلت هذه الدورية بتهور وعلى بعد كيلومترات قليلة من الرتل في عنق بشعب شَمَطٌ للشرب فوقعت في كمين كاد يقضي عليها بأكملها¹. سمعت المراكز التي تحرس المرعى تبادل إطلاق النار فذهب النقيب دوبرتوي ووصل في الوقت المناسب لمنع العدو من الإجهاز على الجرحى. قُتل ثلاثة عشر وجرح خمسة من الثمانية عشر.

استأنف الرتل مسيره نحو الساعة الثامنة من يوم 26 وتوقف عند الساعة الخامسة مساء بعد أن ترك عن يساره عنق تَيْفُجَارٍ. كانت المسافة المقطوعة قصيرة، ومع ذلك فقد زج بالسرية الثالثة وفصائل الجمالة مرات عديدة ضد المجموعات التي تسيطر على القمم المخاذية للوادي. أبيت في الوادي دورية من عريف وستة رجال من السرية الأولى أثناء عودتها إلى المعسكر .

يوم 27 نزل الرتل في أَمَاطِيلٌ وهو نقطة مياه غزيرة ومراعي جيدة واقعة على بعد كيلومترات جنوب ممرات حَمْدُون. وتعتبر هذه الممرات في الحقيقة خط الدفاع الرئيس الذي يحمي أطار وأمل العدو إيقافنا عنده كما أوقف أهل آدرار إدْوَعِيشُ سنة 1893. لذلك وطوال النهار ظلت مجموعات من البيضان تترانى لنا على بعد نحو كيلومترين من المعسكر في اتجاه حَمْدُون.

5، الالتقاء مع الرائد الفيرجان - معركة آزوينگه:

في اليوم الموالي، علمنا من مصدر أمين أن الرائد الفيرجان وصل بمفرزة إِنْشِيرِي إلى أَقْرَارَةَ لَفَرْصُ وخاض اشتباكا قويا في إِيِي. وأفادت معلومات أخرى أن الامير [سيد أحمد²] ربما يكون عازما على التقدم بكل قواته لمواجهته. قرر

¹ يقال إن قاتل بكار قتل في هذه المعركة. (المترجم).

² التوضيح من المترجم.

العقيد أن يتحرك فوراً لتحقيق الاتصال مع الرائد افيريجان، برتل خفيف مكون من السرايا الأولى والثانية والرابعة وفصيلة جمالة والمدفعية والأنصار. أما النقيب بابلون فقد بقي في أماطيل مع القافلة وتحت تصرفه السرية الثالثة وفصيلة جمالة وفصيل الخيالة وفصيلة رشاشات وبعض الجمالة البيضان.

غادر الرتل الخفيف أماطيل بعد ظهر 29 دجبر وفي غرة يناير 1909 حقق الاتصال مع الرائد افيريجان عند آزوينگه.

كانت مفرزة إينشيري قد ذهبت من أقبال لأي يوم 12 دجبر ووصلت أفرارة لقرص يوم 23. تكونت هذه المفرزة من:

● السرية الرابعة من الكتيبة السنغالية الرابعة (النقيب Dureuil والملازمون الأوائل Girard و Pelud وديونيس).

● الطبيب المساعد Cazeneuve.

● فصيلة رشاشات.

● أربعين من الأنصار.

بعد ذلك تمركز الرائد افيريجان في آزوينگه في موقع ممتاز حصنه بعناية فائقة وأرسل في 28 دجبر الملازم الأول جيران إلى الجبل بسبعين رام لطرد تجمع قوي معاد لم يفتأ يطلق النار على المعسكر. كان الاشتباك حاداً وكلفنا أربعة قتلى وعشرة جرحى.

اجتاز الرتل الخفيف معزراً بمفرزة افيريجان مرتفعات إيبى ووصل أماطيل يوم 06 يناير بعد أن خاض اشتباكاً قصيراً في مضيق تيفجَار.

6. معارك أماطيل:

خلال زحف العقيد إلى آرزينغ، صد النقيب بابلون هجومين قويين قام بهما أثلاميد وأهل آذرار الذين كانوا قد تجمعوا أمام مضائق حمثون.

تكون معسكر أماطيل من حظيرة رئيسية ومنشأتين صغيرتين تدافعان عن الآبار، يحامي في إحدهما الرقيب Matillo وخمسة عشر رام وفي الثانية المساعد فيكس والرقيب كهن وستة عشر رام ورشاش واحد. ولم تكن حظيرة المنشأة الأخيرة قد اكتملت بعد.

شرع العدو صبيحة الثالين في مهاجمة المرعى إلا أن الملازم الأول غوسي الذي كان يتولى الحراسة مع فصيلتين استطاع كبحه فاندفع معظم المهاجمين في نفس اللحظة تقريبا إلى المعسكر بعد أن أزاحوا فصيلة الملازم الأول كوتانس التي كان النقيب بابلون قد أرسلها في استطلاع إلى الشمال منذ بداية العملية.

استخدم البيضان الربوات الصغيرة التي تغطي السهل واستطاع ما يناهز الستين منهم أن يقتربوا حتى حوالي ثمانين مترا من المنشأة التي يدافع عنها المساعد فيكس فقتل هو وتسعة رماة واندفع العدو محاولا الاستيلاء على الرشاش لكن الرقيب كهن استطاع إنقاذه. ثم عاد ضابط الصف هذا، على أثره، مبرهنا على شجاعة وبرودة أعصاب تستحقان الإعجاب، وانترع من البيضان جثة المساعد.

مكن هجوم مضاد قوي يقوده النقيب بابلون والملازم الأول Duboc من استعادة المنشأة التي احتلها البيضان. وفي نفس الوقت، قام الخيالة بإحاطة على يمين المهاجمين أجبرتهم على الانسحاب. جرت تقوية المنشآت بعد الظهر وأحيطت بحظيرة عرضها ثمانية أمتار مزودة بتروس مدفعية وبأكياس الرمل.

واصلت نساء أطار القدوم بطبولهن، أثناء الليل، لشحنهم المقاتلين. تجدد القتال في الساعة الثامنة من اليوم الموالي وأظهر العدو شجاعة جنونية. تقلعت مجموعة من خمسين ومائتي رجل لم يطلقوا رصاصة واحدة رغم نيران بنادقنا

ورشاشاتنا حتى وصلوا المنشآت المتقدمة ولما عجزوا عن الاستيلاء عليها تجاوزوها واندفعوا إلى المنخفض حيث الآبار بين المعسكر والمنشآت الدفاعية. ورغم تعرضه لتيران متقاطعة فقد تشبث العدو بالأرض وكان لابد من هجومين مضادين قادهما الملازمان الأولان¹ Duroc و دي لا ابرير لإجباره على الانسحاب.

كلفنا هذان الاشتباكان مقتل المساعد فيكس والقيب Moricard و رقيب إفريقي وعريف وثلاثة رماة، كما جرح النقيب بابلون والملازمان الأولان كوتانس وگوسي وأحد عشر إفريقيا منهم رقيب من الخيالة. أما العدو فخنسر أكثر من خمسين قتيلًا.

7. اقتحام مضائق حَمْدُونْ — وصول الرتل إلى أطار:

غادر الرتل أَمَاطِيلْ بعد ظهر السابع من يناير وعسكر في المساء عند مدخل الهضبة المشرفة على مضائق حَمْدُونْ.

في صبيحة اليوم التالي، أخرج نسق القتال تحت إمرة الرائد اكلوديل والمتكون من الأنصار، السرايا الأولى والثانية والرابعة، فصائل جمالة راجلة، المدفعية وفصيلة الرشاشات، البيضان من مكائهم في المنحدرات الصخرية المشرفة على وَاذْ سَگْگَلِيلْ وأكملت بعض قذائف المدفعية هزيمتهم.

لم يبد أعداؤنا إلا مقاومة ضعيفة بعد أن ثبطت الصولات الفاشلة التي قاموا بها في أَمَاطِيلْ همهم. جرح الملازم الأول Letang وقتل أحد الرماة. أما الشيخ حَسَنَه، الذي شهد المعركة، فقد رجع مع طريق الشمال معلنا أنه ذاهب لطلب تعريزات من والده وحتى من السلطان إذا لزم الأمر.

¹ Duboc وأحيانا Duroc. والأرجح أنه Duboc الذي كتب بعد ذلك كتابا عن موريتانيا.

وفي الثامن من يناير [1909]¹، وصل العقيد إلى مدخل أطار، حيث ترفرف
الراية البيضاء.

ثانيا

فترة الانتظار: (التموين _ إعادة إركاب وحدات الجمالة) -عملية اللّبه-عملية
أَغْسَرْمَتْ-عملية المَجْرِيَّة-قافلة Frèrejean.

1. فترة الانتظار: (التموين _ إعادة إركاب وحدات الجمالة):

وصلنا إذن إلى آذْرَارْ. ولإظهار نيتنا في البقاء فيه، شرعنا فوراً في بناء مركز من
الحجارة على بعد بضعة مئات من الأمتار عن منازل أطار. ورغم ذلك فإننا لم
نتلق إعلاناً للولاء من أحد، باستثناء سكان القرى. فر الأمير وأَرْقَئِيَّاتٌ وأكثر
أولاد غَيْلَانَ وظل يماكفهم، خصوصاً في الشتاء، أن يعتاشوا من قطعان إبلهم في
المناطق الصحراوية خارج آذْرَارْ. أما إِذْيَشْلِي، أنصاف الرحل، الذين يربون
الماعز ويزرعون القنار فقد اختبئوا في الجبل لكنهم أجبروا على الرجوع
[لأماكنهم الأصلية]² بفعل احتلالنا للمنطقة وتأثير دوريات استطلاع قواتنا
الراجلة. ولم يكن التفكير في بلوغ أولاد غَيْلَانَ وأَرْقَئِيَّاتٍ ليخامرنا ونحن لا
نملك وحدات جمالة. كان التعب ووعورة الطريق قد قضيا على جمال الفصائل
ولهذا لم يكن ممكناً أن يعاد إركاب الوحدات إلا في المناطق الجنوبية وذلك ما
يتطلب أشهراً كثيرة.

وعلى كل حال، فإن نشاطنا في موسم جني التمور سيكون أكثر فائدة كما أن
تدخل الشيخ ماء العَيْنَيْنِ الذي يعول عليه المنشقون سيكون على الأرجح في
تلك الفترة. وإذا كانت كل قواتنا، في ذلك الأوان، متجمعة، وإذا استطعنا،

¹ التوضيح من المترجم.

² التوضيح من المترجم.

بشكل مترامن، حرمان المنشقين من الوصول إلى الواحات وطاردهم إلى كيبافهم حين تجعل الحرارة الحياة شديدة القسوة وتفرض على المخيمات التجمع حول الآبار، فسنكون شبه متيقنين من أننا سننال خلال عدة أسابيع طاعة كل قبائل آدرار، بل وربما طاعة أَرْقِيَّاتْ.

قضينا نهاية الشتاء والربيع إذن في إعادة إركاب الجمالة وتأمين الميرة والحصول على طاعة إِدِيْشَلِّي وطرْد أولاد غِيلَان وأَرْقِيَّاتْ نحو الشمال ببعض العمليات المحدودة. وأخيرا، في محاولة تشتيت الأحياء المعادية.

منذ الوصول إلى أطار وطوال فترة بقاء الرتل فيها، أي حتى أواسط فبراير، جابت المنطقة وحدات استطلاع وعادت بطاعة قسم من إِدِيْشَلِّي وبعض أولاد غِيلَان.

غادر الرائد اكلوديل يوم 15 يناير 1909 بمفرزة من سريتين وفصيلة رشاشات وقطعة مدفعية، باحفا عن قافلة كلفت قوات تَغَاَتْ بحراستها حتى تَأَلَّفَرَه. عادت المفزة والقافلة إلى أطار يوم 11 فبراير دون حوادث سوى غارات على بعض أحياء إِدِيْشَلِّي التي نزلت إلى السهول ابتغاء المرعى لسوامها.

لم يعد إبقاء وحداتنا في أطار يستجيب للضرورات السياسية والعسكرية ولذلك تم تفكيك الرتل مؤقتا.

أرسلت السرية الثالثة لتلقي قافلة آتية من السودان [مالي اليوم] تحرسها فصيلة جمالة كِفَه.

نزل النقيب ايلوميون وفصائل جمالة الكتية إلى تَغَاَتْ لإعادة الإركاب.

قرر العقيد قورو التوجه إلى المنطقة الجنوبية من آذرَارُ بالسريتين الثانية والرابعة وبفصيلة من السرية الخامسة وقطعة مدفعية والرشاشات والأنصار. مكنت هذه الحركة جمالنا من الاستفادة من مراعي أخصب من تلك القرية من أطار وسهلت حماية القوافل الآتية من تَغَاَتْ أو من أترَارَزَه.

وفي الختام، جعلتنا تلك الحركة قريين من الأمير وقسم من أَرْقَيَاتُ الذين ذُكِرُوا في آكْشَارُ. أقام العقيد، أولاً في سهل يَعْرِفُ، ثم في تِيزْكَي جنوب مرتفعات إِيبي، حتى يونيو.

بقيت الوحدات التالية في أطار تحت قيادة الرائد اكلوديل:

- السرية الأولى.

- ثلاث فصائل من السرية الخامسة.

- قطعة مدفعية.

- بعض الأنصار.

2. عملية اللبّ:

وصلت قافلة السودان وفصيلة جمالة الملازم الأول Paquette إلى تِيزْكَي يوم 23 مارس. قام الملازم الأول، فوراً، بتشكيل غزي للعمل ضد مخيمات آكْشَارُ.

يوم 29 مارس، غادر النقيب دوبيرتوي ومعه الملازمون الأوائل پاكيِت وبيلود Violet وأربعة ضباط صف أوروبيون وسبعة وخمسون سنغاليا وخمسة وعشرون ومائة نصير وجمال وفاجاً يوم أول إبريل المخيمات المنشقة شمالي اللبّ. حاول العدو شن هجوم معاكس بعد الظهر وفي الليل لكن تم صد بسهولة.

غنمنا اثنين وتسعين ومائتي رأس من الإبل وأربعمائة وألفا من الغنم وخمسة وعشرين حمارا وسبع بنادق. قُتل منا أحد الأنصار وعُدَّ أحد الرماة في عداد المفقودين. هرب الأمير وأَرْفَیَاتُ إلى الشمال.

مكنتنا تجربتنا المكتسبة والنتائج التي حققناها من تخفيض قواتنا الراجلة. ومن جهة أخرى، ظهرت الحاجة الماسة إلى قبضة قوية تدير التموين في تَگَاكْتْ وَأَفْطُوطْ وَكُورْگُولْ وتستخدم بشكل أفضل القوات التي تحتل هذه المناطق.

تلقي الرائد اكلوديل الأمر أن يترل إلى تَگَاكْتْ مروراً بشَنْفِيطِ وَأَوْجَفْتْ. وقد أخذ معه السرية السادسة التي ستحرس قافلة إعاشة متجهة إلى أطار. تم تخفيض عديد هذا المركز ، ليتكون فقط من السرية الأولى وقطعة مدفعية وفصيلة من السرية الخامسة التي انضمت فصيلاتها الأخريان إلى العقيد في تِيزْگِي.

غادر الرائد اكلوديل أطار يوم 18 ابريل ووصل إلى شَنْفِيطِ يوم 23 من نفس الشهر. وأثناء مرور مجموعة من النهابين قرب القرية يوم 24، أدركها الملازم الأول آندريه وأجبرها على التخلي عن ستمائة شاة مسروقة وثمانية جمال.

في أوجفت، تلقى الرائد اكلوديل الأمر بالذهاب إلى تِيزْگِي فوصلها يوم 06 مايو. ويرجع هذا الأمر المخالف لما سبق إلى ظهور أَتْلَامِيذْ من جديد.

3. معركة أغسمرت:

أُرسل النقيب بابلون إلى أَغْسَرْمَتْ ومعه السرية الثالثة وسعون نصيرا وبعض القطعان، لأن آبار تِيزْگِي لم تكن كافية لكل قطعان الرتل.

في يوم 28 ابريل 1909، وقبل سطوع الصبح هاجم مائة من أثلاميد وأربعون منشقا يقودهم ولّد عَيْثَه نفسه، النقيب بابلون. نجح العدو في الدخول إلى المعسكر لكنه طُرد بمجوم قوي نفذ الرماة والأنصار تحت قيادة النقيب دوپيرتوي والملازمين الأولين فيولي وكوتانس.

ترك العدو اثني عشر رجلا على الميدان بينما قتل منا النقيب بابلون¹ وراميان وجرح ستة أفارقة. جاءت عصابة أثلاميد هذه من أصمارَه مع الولي ولّد الشيخ ماء العَيْنين الذي استقر في منطقة تورين.

4. معركة المَجْرِيَّة:

بعد غارة أَعَسَرَمَتْ، نزل أثلاميد إلى تَغَاكَت وحاولوا يوم 03 يونيو اكتساح جمال النقيب ابلوميون قرب المَجْرِيَّة لكن الملازم الأول غوسي الذي كان يحرس المرعى صلهم بعد أن قتل عشرة من رجالهم. أما محسائنا فكانت أربعة قتلى وثلاثة جرحى من الرماة.

وفي بداية يوليو، عثرنا مرة أخرى على مجموعة المتعصبين هذه في آذَرَار. ذهبت السرية الثانية يوم 05 مايو للإلتحاق بالثالثة في أَعَسَرَمَتْ وأُمرت السريتان بالتقدم تحت قيادة الرائد فريرجان إلى أَكْغَلَالُ فَي حيث يتظر أن تصل قريبا قافلة يقودها الملازم الأول أوبر أمر فصيل أَثَرَارَزَه.

ظلت السرية الثانية في أَوُكَارَ لرعي جمالنا أما الثالثة فقد كلفت بحراسة القافلة المتجهة شمالا مع جمالة أَثَرَارَزَه.

5. قافلة افريرجان،

تعرضت المفزة التي يقودها افريرجان، بين أَعْكَيْلَة التَّعْجَه وأَكْغَلَالُ فَي، لحادث خطير بسبب الحرارة الشديدة. ورغم الاحتياطات المتخذة (احتياطي من

¹ قتله سيدي ولد الكوري في خبر طويل. استشهد سيدي بعد ذلك في أم التونسي. (المترجم).

الماء بلغ 2000 لتر، الروايا التي بعثها الملازم الأول أوبير فقد كانت الخسائر مؤلة: أحد عشر قتيلًا وواحدًا وثلاثين مفقودًا. ورغم هذا الحادث، استطاعت القافلة مغادرة أَگِلَالْ فَايْ يوم 25 مايو ووصلت تيزْگْسي يوم 03 يونيو ومعها الشيخ سيدياً الذي جاء استجابة لطلب من العقيد.

ثالثاً

احتلال الواحات والعمليات ضد المنشقين: أَجْوَالِي - تحضير الهجوم - كَصْرُ الطَّرْشَانْ - أَظْهَرُ.

أُخْلِي معسكر تيزْگْسي يوم 08 يونيو. وقد آن الأوان لمنع أعدائنا من جني الثمر. تقع أهم واحات آذْرَارْ في البَاطْنْ (منطقة أطار) وأَظْهَرُ (مناطق أَوْجَفَتْ وَشْنَفِيْطِ وَوَدَانْ).

بينما تراقب حامية أطار واحات البَاطْنْ، اتجه الرائد اكلوديل ومعه السرية الرابعة وثلاث فصائل من الخامسة ورشاشان وعشرة أنصار إلى أَوْجَفَتْ ليقوم مركزاً مؤقتاً ويتجهز للتصدي للأعداء في منطقتي شَنْفِيْطِ وَوَدَانْ. رجع العقيد ومعه باقي القوات (السرية الثالثة وفصيل أوبير وقطعة هاون ورشاشان والأنصار) إلى أطار وهو المركز الحقيقي للمنطقة في موسم الثمر، لإعداد العمليات الحاسمة التي ستبدأ عندما يصل النقيب ايلوميون.

1. اشتباك أَجْوَالِي:

ظهر 08 يوليو، ذُكِرَتْ مجموعة من ثمانين من أَتْلَامِيْدْ (الذين سبق ذكرهم في أَغْسَرْمَتْ وَالْمَجْرِيْه) وأربعين من أَرْقِيَّاتْ و أولَاذْ بَسْبَغْ في واحة أَجْوَالِي على بعد سبعة كيلومترات تقريبا من أَوْجَفَتْ.

بعث قائد المركز المؤقت الملازم الأول آندريه لطردهم. لم يبدأ القتال إلا الخامسة بعد الظهر وبعد اشتباك قوي، تميز خلاله الرقيب Lefevre، طردنا ثَلاثَ مِئْدَ من الواحة. لكن الظلام حال دون أن يكون نجاحنا حاسماً. قتل أحد رماتنا وجرح تسعة آخرون.

2. تحضير الهجوم [للسيطرة على الواحات]:

وصل النقيب ايلوميون إلى أطار يوم 21 يوليو ومعه فصائل جمالة الكتيبة وخمسون رجلاً لتعزيز سرايا الرتل وخمسون وأربعمئة جمل. بدأ الهجوم فوراً. أكدت كل معلوماتنا الاستخبارية أن العدو منقسم إلى مجموعتين: أولاد غِيلَانْ وقسم من أَرْقُشِيَّاتْ في منطقة وَدَانْ ينما يوجد أولاد الشيخ ماء العَيْنَيْنْ وأثلامِيدْ وبعض أحياء أَرْقُشِيَّاتْ في تَوْرِينْ وَالْعَرْقُشِيَّة. وجهنا أولى ضرباتنا إلى تجمع أظْهَرْ.

عمل الرائد اكلوديل، الذي سيلحق به جمالة النقيب ايلوميون، على الهضبة في اتجاه وَدَانْ. أما النقيب دويبرتوي ومعه الأنصار وفصيل أترارزَه فسار بمحاذاة سفح الجبل لاستقبال الهاربين الذين قد يتجهون صوب تَوْرِينْ.

3. اشتباك كَصْرُ الطَّرْشَانْ:

كان العقيد، يوم 27 يوليو، يتفقد القوات الراكبة المتجمعة في واد آزوكي على بعد كيلومترات من أطار، عندما علمنا أن مفرزة قوية من التلاميذ وأَرْقُشِيَّاتْ يقودها الولي ولد الشيخ ماء العَيْنَيْنْ وصلت إلى كَصْرُ الطَّرْشَانْ. وعند منتصف النهار، تقدّمت استطلاعات العدو حتى أصبحت على بعد عدة كيلومترات فحسب من المركز. تلقى النقيب دويبرتوي الأمر بالتحرك ليلاً، بالقوات الراكبة، إلى شمال كَصْرُ الطَّرْشَانْ وأن يهاجم عند انبلاج الصبح.

أما العقيد، فقد توجه مباشرة من أطار إلى كَصْرُ الطَّرْشَانْ وتحت إمرته السريتان الأولى والثالثة والمدفعية وفصيلة رشاشات.

وصل الجمالة عند الساعة الخامسة والنصف صباحا قرب معسكر العدو المقام في واحة عند سفح مرتفع صخري. وعند بداية الاشتباك، احتل أَثْلَامِيْدُ هذا المرتفع الصخري.

اندفع الملازم الأول افيوبي إلى الواحة بشجاعة أمام رجاله من الأنصار فقتل في نفس اللحظة تقريبا وبدأت معركة عنيفة حول جثته التي بقي يدافع عنها رقيب الدرك شارل وعدة من الأنصار.

عززت جمالة أَثْرَارْزَهْ ثم فصيلة **Mugrier Pollet** خطنا الذي يتقدم بصعوبة وسط الحيطان والزرائب التي تقسم الواحة إلى سلسلة من المزارع الصغيرة.

عند الساعة السادس، أطلق النقيب دويبرتوي الملازم الأول أوبر مع فصيلة **Bertome** لاحتلال المرتفع الصخري وأسندت هذه الحركة بنيران فصائل النقيب ايلوميون. تراجع العدو أمام هذه الهجمات المتتالية وفر تاركا خيامه وأمتعته وما يقارب العشرين جملا.

خسر العدو عشرة قتلى. أما خسائرننا فكانت قتيلين (الملازم الأول افيوبي ونصير) وأربعة جرحى (ثلاثة رماة ونصير).

عطلت بعض الحوادث مسير قوة العقيد وحين وصل حوالى الساعة السادسة والنصف وجد المعركة قد انتهت منذ قليل.

غادر النقيب دويبرتوي كَصْرُ الطَّرْشَانْ يوم 30 يوليو ومعه القوات الراكبة. يوم 07، أغسطس وصل الجنرال **Gaudrelie** القائد العام إلى أَطَارْ وكان العقيد غورو قد تقدم حتى أَوْجَفَتْ لتلقيه ومعه السرية الثالثة. بدلت هذه

الوحدة في المركز المؤقت قوة الرائد اكلوديل الذي غادره يوم 22 يوليو ووصل
شَنْقِيطَ يوم 27 من نفس الشهر.

4. عمليات أَظْهَرُ والباطن:

1. مفرزة اكلوديل:

ترك الرائد اكلوديل السرية الرابعة في شَنْقِيطَ وغادر هذه النقطة يوم 28
يوليو مساءً ومعه السرية الخامسة وفصيلة رشاشات وأربعون نصيراً. بعد مسير
سريع، وصل إلى وَدَّانَ صبيحة 31. وجدنا أحياء أولاد غِيلانَ وأَرْقِيَّاتَ التي
علمت بقدمنا، تستعد للرحيل. لكن مقاتلي هذه الأحياء، الذين ظنوا أنهم لا
يواجهون إلا مفرزة ضعيفة، صمموا على الصمود.

هاجمنا بقوة فانسحب العدو من مواقعه وترك بين أيدينا عددا كبيرا من النساء
والصبية وكل أمتعه وثلاثة قتلى وجرحين إصابتهما بالغة وفي المقابل جرح منا
ثمانية رماة.

ترك الرائد اكلوديل النقيب Dubreuil ومعه اثنان وخمسون رام في موقع ممتاز
التنظيم وشرع في تعقب العدو يوم 01 أغسطس ففاجأ يوم 04، عند الماحله،
أحياء أَرْقِيَّاتَ وقتل منهم ثلاثة رجال وسلبهم ثلاثين وثلاثمائة من الإبل.
سار الرائد بعد ذلك إلى أَلْبِيَّطَ حيث اتصل بأنصار النقيب دويبرتوي الذين
يقودهم رقيب الدرك Dibbes.

2. مفرزة دويبرتوي:

بعد ذهابه من كَصْرُ الطَّرْشَانِ في الليلة الفاصلة بين يومي 30 و31 يوليو، أفرز
النقيب دويبرتوي، في اليوم الموالي، فصائل جمالة النقيب ايلوميون وأرسلها إلى
وَدَّانَ وشَنْقِيطَ لتكون تحت تصرف الرائد اكلوديل.

وصل دويرتوي يوم الثاني أغسطس إلى مضيق آغماسو فاستقر فيه مع سنغالي
فصيل أوير ودفع بالجمالة والأنصار إلى البَيْظ.
أدرك ديب بعض أَرْقِيَّاتِ الهاربين يوم 04 فقتل منهم تسعة وسلبهم ستمائة
من الإبل.

3. آغماسو:

في يوم 07 أغسطس، اصطدمت بالنقيب إيلوميون، عند آغماسو، أحياء
نغموشه - أولاد تَگَدي¹ كانوا يحاولون بلوغ أَظْهَر، بعد أن تبعوا
أَرْقِيَّاتِ في مرحلة أولى أثناء هربهم، فسلموه أسلحتهم وإبلهم.
4. عملية تورين:

تؤكد كل المعلومات التي حصلنا عليها، هروب الأمير وبعض أَرْقِيَّاتِ إلى
تورين والعركِ قَبْيه؛ ولهذا، بدا من المناسب استغلال ذعر العدو.
أعاد الرائد كلوديل إلى آغماسو الأنصار وفصائل النقيب إيلوميون التي التحقت
به يوم 06 أغسطس [1909]² ثم أمر النقيب دويرتوي ببدء المطاردة فوراً
ووجه الملازم الأول بيرتومي إلى أطار ومعه كل الغنائم.
غادر الغزي [أي المفروزة الفرنسية]³ مساء التاسع أغسطس وبعد أن قطع كيبان
آمقطير⁴ فاجأ يوم 15 صباحاً قرب آبار تَوْرين تجمعا كبيرا من أَرْقِيَّاتِ. قتلنا
أربعين رجلاً وغنمنا ثماناً وعشرين بندقية وألفين من الإبل. وقد أثقلت هذه

¹ أولاد تكدي من العويسيات وليسوا من نغموشه كما ورد في موسوعة المختار ولد
حامدون. (المترجم).

² التوضيح من المترجم.

³ التوضيح من المؤلف.

⁴ منطقة صحراوية في الشمال الموريتاني بين طريق القوافل الشرقي والطريق الغربي.
ذكرها البكري باسمها الراهن في القرن 11. (المترجم).

الغنائم، تخلى النقيب دويبرتوي عن المطاردة فرجع إلى أطارُ حيث وصل يوم 23 أغسطس.

مكنت هذه الغزوات المربحة في الباطنُ وتُورِينُ من إعادة إركاب الجمالة وتشكيل مجموعتين من الجمال ذهبت إحدهما مع حراسة الجنرال واستطاعت إرجاع السرية الثانية والمؤن التي كانت تتراكم في هذا الوقت في آوْكَارُ، بينما ذهبت المجموعة الثانية مع السرية الثالثة للإتيان عن قافلة في الْمَجْرِيَّة. نفذت هذه الحركات في الأيام الأخيرة من شهر أغسطس.

5. عملية الجبل:

رغم أهمية النتائج المحققة في الشهر الذي تولى آفنا، فإن الهدف المراد لم يكن بلوغه قد تم، بعد إذ كان التلاميذ وأنصارهم أَرْقَئِيَّاتٍ وأولاد أَدْئِيم¹ ما يزالون في منطقة الْعَرْقِيَّة ويمثلون في آن واحد خطرا وتشجيعا [للفرنسيين على مواصلة العمليات أو للذين لم يلتحقوا بعد بالمستعمر على مواصلة المقاومة]². لا يمكن اعتبار نشر السلم في آدْرَارُ هائيا ما لم يتم إجبار أبناء الشيخ ماء الْعَيْنِينُ على الرجوع إلى اصماره؛ لذلك ما يزال على الوحدات المحمولة أن تبذل جهدا جديدا.

تم التجمع في تنغراده شمال كصر الطرشان. تشكل الغزي تحت القيادة المباشرة للعقيد غورو من فصيل أَثْرَارَزَه وفصائل جمالة الكتيبة وأربعة وأربعين ومائة نصير.

¹ الظاهر حسب السياق أن المقصود أولاد غيلان. (المترجم).

² التوضيح من المترجم وجملة المؤلف كما نرى تحتمل أحد هذين التأويلين أو هما معا. (المترجم).

تشكل نسق ثان بقيادة النقيب كيرهارد وضم الملازم الأول Gibo Lami وضابط صف أوروبا وأربعة وثلاثين سنغاليا واثنين وخمسين نصيرا وكلف بإحضار قافلة تموين من ثمانين ومائة جمل إلى الجبل.

غادر الغزي تنقراذه في الليلة الفاصلة بين 05 و06 سبتمبر وبلغ نقطة المياه المسماة أم البُل عند كَدِيَّة الجبل بعد ظهر يوم 09 سبتمبر 1909.

أمضت قوة الاستطلاع يومي 10 و11 في السير إلى جانب الجبل واستقرت يوم 13 في مراعي الطنطائه فوجدت الأحياء المعادية قد ذهبت منذ خمسة أيام إلى آذَرَار سَطَف وخسرت في هربها قسما من أغنامها بل وحتى من إبلها.

وصل النسق الثاني مساء يوم 17 سبتمبر 1909. عادت القوات الراكبة يوم 20 متجهة إلى الجنوب، بينما سارت فصائل جمالة الكتيبة ومعها خمسون نصيرا إلى شَنَّة يَط لتكون تحت تصرف الرائد اكلوديل. ورجع باقي الغزي إلى أَطَار.

رابعاً

تفريق الرتل وتنظيم آذَرَار:

1. تفريق الرتل: حققت العمليات المنفذة في أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر

نجاحاً تاماً:

- قدمت كل قبائل آذَرَار طاعتها باستثناء الأمير وعدد من أولاد سَلْمُون وأهل أَحْجُور.

- حضر إلى أَطَار يوم 07 أكتوبر محمد ولد الخليل رئيس أولاد موسى وهم بطن من أَرْقِيَّات وطلب الأمان باسم القسم الأعظم من أَرْقِيَّات الساحل وأولاد أَدْلِيم.

- يوم 17 أكتوبر، نزل فصيل الملازم الأول أويبر وعدد من الأنصار إلى ¹أثرارزه.

- يوم 21 أكتوبر، وصلت إلى أطار، السرية الثانية وقافلة آو كار.

- يوم 06 نوفمبر، أوصلت السرية الثالثة قافلة تَغَاثْ، إلى شَنْفِيط.

- يوم 15 نوفمبر، تولى الرائد اكلوديل قيادة آذْرَارْ وفي نفس اليوم غادر العقيد كورو شَنْفِيط راجعا إلى أَلْدَرْ ومعه السرية الرابعة من الكتيبة السنغالية الرابعة (الخامسة في مسير الرتل).

2. تنظيم آذْرَارْ: بعد ذهاب السرية الرابعة من كتيبة موريتانيا التي ستعود إلى تَغَاثْ يوم 01 دجبر، أصبحت القوات المتروكة في آذْرَارْ تتكون من:
- السرية الأولى (النقيب بونتان) والسرية الثالثة (النقيب Roussel) في أطار.

- السرية الثانية (النقيب كامبي) في شَنْفِيط.

- فصيلة المدفعية: قطعة منها في أطار وقطعة في شَنْفِيط.

- فصيلتي رشاشات: إحداها في أطار والأخرى في شَنْفِيط.

- القوات الراكبة التي يقودها النقيب إيلوميون وقد شكلت مجموعتين:

- مجموعة في المنطقة الشرقية تحت القيادة المباشرة للنقيب إيلوميون وتضم

خمسين نصيرا وفصيلتي كتيبة موريتانيا اللتين كانتا ضمن الرتل.

- مجموعة في المنطقة الغربية بين آذْرَارْ والمحيط تحت قيادة الملازم الأول دوفور

وتضم مائة نصير والفصيلة الثالثة من جمالة الكتيبة وهي الفصيلة التي أعاد

¹ في الأصل "من أثرارزه" وما أثبتناه هو الصحيح حيث شاركت الفصيلة في معركة أكصيز الطرشتان وكانت ضمن قوات الحملة منذ بدايتها. (المترجم).

الملازم الأول Mugner Pollet تشكيلها (لم تكن هذه الفصيلة موجودة منذ اَگْجُوَجَتْ).

تم تكليف مجموعة دوفور، أساسا، بتحقيق التماس مع أحياء أَرْقِيَّات.

خامسا

أَثَرَارَزَه - لَبْرَاكْنَه - تَگَاَنْتْ - وَاگُورْگُولْ خلال سنة 1909:

كان نشاط الوحدات التي تحتل هذه المناطق قد وجه لتجميع وحراسة قوافل تموين رتل آدرار. نعمت أَثَرَارَزَه بهدوء شبه مطلق. نشط منشقو هذه المنطقة ومنشقو لَبْرَاكْنَه في لَبْرَاكْنَه وَاگُورْگُولْ فقط. تكبدت القبائل التابعة لنا خسائر كبيرة، لكنها ظلت تزودنا بالمعلومات بشكل متأخر وسيء جعل من المستحيل حمايتها بنجاح.

تم سلب بعض البُرْدِ كما قطع خط التلغراف مرات عديدة على غرار ما جرى في السنة السالفة.

في تَگَاَنْتْ، شن غزي من إِدِيْشَلِي هجوما فاشلا، قرب فَوْقْ، على قافلة قادمة من كِيْفَه، تحرسها جمالة عِبْدِي وَلْدَ أَمْبَارَكْ، رئيس تَجْگَجَه.

وفي سبتمبر، اكتسح هذا الغزي خمسين ومائتين من إبل إدوعلي.

قام أهل الكديه بغارات على قبائل وَاگُورْگُولْ. وأهل الكدية هؤلاء، هم مجموعة ألداء من إِدُوْعِيْشْ، يترأسهم عثمان ولد بكار، غادروا آدْرَارْ خلال

الأشهر الأخيرة من 1908 وعاشوا منذ تلك الفترة في الجبل قرب مخيمات
أحيائهم الأصلية. وفي شهر مارس [1909]¹، لجؤوا إلى الحُوط.
في شهر أكتوبر، قدم أَمَمَمَدُ وهو الزعيم السابق لأولاد أحمد، طاعته.
حضر وَلَدُ الدَّيْدُ ومعه مساعداه وَلَدُ مَخْطَارَ أُمُّ وَإِسْلَمُ وَلَدُ اِبْرَاهِيمَ أَخْلِيلُ، يوم
18 دجبر، أمام حاكم دائرة أَثْرَارَزَه وطلب الأمان.

¹ التوضيح من المترجم.

القسم العاشر

أحداث سنة 1910 في مناطق الجنوب وآذرار.

في دجبر 1909، خلف المقدم Patey العقيد كُورُو، مفوضا للحكومة العامة¹. تميزت سنة 1910 باطراد التقدم في نشر السلم والمتابعة الدقيقة لتنظيم البلاد.
1. مناطق الجنوب:

نعمت أترارزه ولبراكنه وگورگول وگيدي ماعا بهدوء مطلق. أما القبائل التي عانت كثيرا على مدي السنتين الماضيتين والتي فرضنا عليها تضحيات كبيرة، فقد استفادت أخيرا من السلم الموعود، فتمكنت من إعادة تشكيل قطعان ماشيتها ومن ممارسة الفلاحة والتجارة.

استسلم آخر المنشقين: أولاد احمد وأولاد نغماش في يناير. عثمان ولد بكار وأهل الكدّيه في مارس. لم تسجل إلا حادثة نهب واحدة ففي يوليو، اكتسح أهل أخجور قرب أكيرت سبعين من إبل تاگاط وسلبوا قافلة صغيرة من أجيو². علم الملازم الأول Bourguignon وكان في كصّر البركة ومعه جماله بالغارة، فأسرع على إثر أهل أخجور وأدركهم قرب تيزگسي، فقتل منهم رجلين واستعاد الإبل والبضائع المسروقة.
2. آذرار:

في آذرار وإلى الغرب من هذه المنطقة، كانت ما تزال توجد بعض عناصر الفوضى؛ فبالإضافة إلى الألداء الذين يشكلون عصابتين إحداها تناهز السبعين من أولاد غيلان والأخرى تناهز الستين من إديشلي، كان علينا أن نضع في اعتبارنا الغزيان الآتية من جنوب المغرب وكذلك النهابين الذين يجدون المأوى قرب Villa Cisneros (الداخلة). لكن القبائل الداخلة في الطاعة، خصوصا أرقييات في آذرار والرعيان في تگانت، قدمت لنا عوناً مفيداً.

¹ أي حكومة عموم غرب إفريقيا. (المترجم).

² تجار متنقلون من إفريقيا الغربية. (المترجم).

في شهر فبراير، حطم أنصار الملازم الأول دوفور في تَارَيَا زَتْ مجموعة من أولاد أَذْلَيْمَ حاولت، دون أن تنجح، اجتياح إبلنا في المرعى.

في شهر مارس، قضى أَرْفُيَّاتُ التابعون لمحمد ولد الخليل، المجتمعون في تِيجِرِيَتْ، على غزي من عشرين ومائة من أولادُ بَسْبَغْ قادمين من وَاذْ نُونْ ولم يتمكن منهم من الهرب إلا خمسة رجال فقط¹.

في مايو، نزل منشقو أولاد غِيلَانْ إلى تَغَا تْ فقتلوا رئيس أَشْرَاتِيَتْ أحمد ولد المَخْتار قرب تَنَوَاعِدِينْ، ثم طردهم تجمع محاربي إِدْرُوعِيشْ وحضور جمالة النقيب ايلوميون، فعادوا إلى آذْرَارْ.

يوم 13 يونيو، هاجموا منشقو أولاد غِيلَانْ² عند حَاسِيِ الْعَرَفُوبْ، قافلة تموين يجرسها العريف Bakary Traoré وعشرة سنغاليين وسبعة عشر جمالا ونصيرا. بعد اشتباك دام ساعات كثيرة في ميدان صخري، انسحب العدو وقد خسر ما يناهز العشرة قتلى. قتل منا ثلاثة رماة ونصيران كما جرح عريف واحد.

نزل الأمير السابق وَلْدُ غَيْدَهْ من الشمال ومعه عصابة من أَرْفُيَّاتْ فمر على وَدَانْ واتجه إلى الْحَوْطْ حيث لجأ المنشقون، شيئا فشيئا. وقد طرد جمالتنا آخرهم من آذْرَارْ في شهر أكتوبر.

وسوفر الْحَوْطْ، الذي كان ما يزال غير محتل ولا تتجول فيه وحداتنا، ملجأ وقاعدة لأعدائنا خلال سنة 1911، ينطلقون منها لشن غاراتهم على القبائل الخاضعة لنا.

في شهر مارس، قامت قوات آذْرَارْ الراكبة، يقودها النقيب ايلوميون، باستطلاع النقاط المائية بين أَطَارْ وأَلْوَاذِيُوْ.

وفي شهر أغسطس، زارتُ مفرزة "القسم الشرقي من أَظْهَرْ بين وَدَانْ وأبيار تَلِينْ.

¹ هذا الغزي معروف في تاريخ المنطقة بغزَي لمَدْنْ. (المترجم).

² التوضيح من المترجم.

القسم الحادي عشر

سنة 1911 - رتل نيشيت (1911 - 1912) ونهاية التوسع التراي

حوادث سنة 1912.

أولاً: سنة 1911.

ابتداء من سنة 1911، أصبح حفظ أمن موريتانيا وما يتبعه من تحقيق للسلم الداخلي وتنظيم للبلاد، مهام تركز بدرجة تكاد تكون حصرية على النشاط الفعال لقواتنا المحمولة. وخلال هذه السنة، زيد عدد وحدات الجمالة وتم تحسين تنظيمها.

تم إنشاء فصيلة رابعة في آذرار كما تم تشكيل فصيل خدمة عملية في نكانت. حصل البيطان، الذين دخلوا هذه الوحدات بأعداد أكبر من ذي قبل، على وضعية مكنتين نظاميين وعلى حق الاستفادة من التقاعد.

تعطي مشاركة العنصرين السنغالي والبدوي أفضل النتائج، ولكن بشرط أن تتم المحافظة على تفوق السود، فمنهم وحدهم ينتظر "ولاء" في كل الظروف وشجاعة دائمة. إن الخدمة العسكرية التي خضع لها المقاتلون البيطان، باختيارهم، قربتهم منا ومكنتنا من ملاحظة أن طاعتهم، رغم حداثة، كانت صادقة وصریحة.

يتمتع داخل البلاد بسلم شبه تام، بينما، وحدها، التخوم الشمالية والشرقية مضطربة.

مع بداية السنة، ازدادت مجموعة أرقيبات ولد الخليل بما يناهز المائتي خيمة من يفتوت. وقد حاول حاكم الداخلة، الإسباني، الذي قدم في دهمبر 1911

لزيارة حاكم آذرَارْ، إقناع الوافدين الجدد بالخضوع للسلطات الإسبانية مؤكداً لهم أنه لن يطلب منهم أية ضريبة. لكن قدوم الرائد **Vinvertermenlen** إلى تيرَسْ ومعه قوات النقيب **Beugnot**، وضع حداً لتردد هذه الأحياء، فقرروا قبول شروطنا.

من يناير إلى أبريل 1911، زار جملتنا المنطقة الواقعة بين أَوَاذِيُو وَسَبَخَةُ الْجَلْ وحافظوا على التماس مع القبائل التي دخلت في الطاعة حديثاً. كانت هذه القبائل تتحمل، بامتعاض شديد، متطلبات إدارتنا، رغم ضآلتها. وفي نهاية السنة، عاد ما يقارب المائة خيمة من هذه القبائل إلى الشمال.

حاول أَرُفُيَّاتْ وأولاد أَدَلِيمْ وبعض أَوْلَاذْ بَسَبْغِ المنشقين، أن يقوموا ببعض أعمال النهب في أرضنا.¹

في يوليو، اكتسح غزي من نحو أربعين بندقية، مائتين وخمسين من إبل أَوْلَاذْ بَسَبْغِ الموالين لنا جنوب انواكشوط فاستولى هؤلاء على نفس العدد تقريباً من إبل الأحياء المعادية.

في نوفمبر، اكتشفت آثارُ عصابة قوية من الأعداء قرب بير معطله، فنهض الملازمان الأولان اشيت وبرتومي لمطاردها. انقسم النهابون إلى مجموعات كثيرة، تم إدراك إحداها قرب أَوَيَزَكْتْ فخسرت أربعة رجال بينما سقطت الأخرى في كمين نصبه لها الملازم الأول ببرتومي فهربت وتركت ثلاثة قتلى، من بينهم رئيسها.

في نفس الفترة، سار غزيان مضادان أحدهما من أولاد عَمَّي والثاني من أولاد أَكْشَارْ وأولاد سَلْه فسلب الأول من منشقي أولاد أَدَلِيمْ ما يناهز المائة من

1 هكذا! (التعجب من المترجم).

2 هكذا! (التعجب من المترجم).

الإبل شمال حاسي دَمَسْ بينما سلبهم الثاني خمسين ومائة عند مدخل السَّافِيَه
الْحَمْرَه.

تمتع أولاد غِيلان وأهل أَحْجُورْ وَأَرْفِيَّاتْ -حوالي مائتي وخمسين بندقية-،
الذين جمعهم أمير آذْرَارْ السابق وَلَدُ عَيْدَه، في الْحَوْطْ، بأمان تام في تلك المنطقة
محميين بصورة ما، بالتعليمات الصادرة لنا بعدم التوغل فيها. وقد نظمت تلك
الجموعة عدة غزوات، لا في موريتانيا فقط، بل كذلك في أعالي نهر السنغال
ونهر النيجر.

نجحت قوات الجمالة والأنصار الموريتانية في إلحاق عدة هزائم بهم:
- قبل مغيب شمس يوم 21 مارس، فاجأ الملازم الأول بورغينيون، الذي يراقب
تخوم آذْرَارْ وتَگْگانتْ، ما يناهز الثلاثين من أهل أَحْجُورْ في منطقة عَيْنُ
الْخَطْرَه، لكنهم نجحوا في الهرب تحت جناح الظلام. طارد الملازم الأول الهاربين
وأدركهم في اليوم التالي عند مرتفعات آغْنَمْرِيتْ. تترس النهابون في الحشائش
الملتفة المحاذية للصخور حتى تم إخراجهم منها، بعد صمود شديد، وتركوا
بين أيدينا واحدا وأربعين جحلا منها اثنان وعشرون¹ برواحلها كما تركوا بندقية
من نوع 74. قتل أحد رماتنا وجرح منا آخر.
- فاجأ نفس الضابط يوم 12 سبتمبر 1911، عند الْمَيْتَانْ، عصابة من منشقي
أهل التَّنَاكِي وأهل خِيَارْ قادمة من آذْرَارْ فسلبها عشرة جمال وبندقية من نوع
74 وكل أمتعتها.

1 نكر جليله أنه قُتل من المقاومين ثلاثة وجرح اثنان، وتختلف روايته قليلا من حيث
مجرى الأحداث. انظر: ص 243 (المترجم).

¹ - في شهر يناير ، قتل الرعَّيان رجلين من أولاد غيلان المنشقين عند كَرَكْدُ
لبيط² .

² - في شهر أكتوبر 1911، أدرك رقيب الدرك الجزائري Lemori وهو من
فصيل تَكَّانْتْ، بعد مطاردة شديدة، عصابةً من النهابين، قتل منهم رجلين
وسلبهم بندقيتين وأحد عشر جملاً.

³ أما منطقة الساحل ، وهي التي لم تتعرض للنهب منذ سنوات كثيرة مما جعلها
خالية من أي تنظيم دفاعي نهائي وقوي كما في موريتانيا، فقد أصبحت غرضاً
دائماً لرجال وَلَدَ عَيْدَه. بل إن فصيل جمالة كَيْفَه⁴ ، تعرض في شهر مايو 1911
لكارثة حقيقية: قُتِلَ الملازم الأول Demassez وأحد عشر رام وجُرح رقيب
أوروبي وستة رجال كما خسروا في هذه الحادثة ثلاثين جملاً وإحدى عشرة
بندقية كارابين⁵ .

⁴ تكاثر الغزيان في نهاية السنة وهاجم المنشقون بنجاح أَرْكَاي [قافلة] تَاوْدَنْي .
ليس من الممكن، بدون نتائج سلبية كثيرة، أن تترك في الحَوْظ، على بعد أيام
من تَجَگْجَه وكَيْفَه، هذه المجموعة التي يقودها الآن أمير آذَرَار السابق وَلَدَ
عَيْدَه.

1 ليس واضحاً من سياق النص أنه يناير 1911 أم يناير 1912 لعدم توالي التاريخين
السابق واللاحق. (المترجم).

2 أو غورغول لبيظ؟ (التساؤل من المترجم).

3 يعني بها هنا المناطق الشرقية من البلاد وكذلك المناطق الشمالية من جمهورية مالي
الحالية (المترجم)

4 ذكر الرائد جبليه أن عدد أفراد هذا الفصيل يبلغ ثلاثة وعشرين جملاً. جبليه ، 244.

5 تختلف الروايات حول من نفذ هذه العملية ولكن أغلبها متفقة على أن المنفذين من
المنطقة.

إن استمرار وجود هذه المجموعة، من وجهة النظر السياسية، تشجيع لكل الغاضبين كما أن حجمها يمكن أن يزداد سريعا. وهي تخلق في الحوض والساحل وأزواد حالة نفسية قد تصبح خطيرة. وإذا بدأت قبائل مَشْطُوفْ وَلَقَلَالُ الكبيرة العدد بالتحرك في المنطقة المنظمة جزئيا فقد تكلفنا من الجهد والمال أكثر بكثير من ما تكلفه عملية لفرض الأمن في منطقة قريبة من مراكزنا ويمكن أن تنفذها قوات المناطق المجاورة وحدها.

قُرِّرَ القيامُ بهذه العملية في نوفمبر [1911] على أن تنفذها قوات موريتانيا وقوات تَنَبُكُتُو، فتطلقان في وقت واحد؛ الأولى باتجاه تيشيت والثانية باتجاه ولَّاتِه.

ثانيا:

رتل تيشيت (1911-1912) وانتهاء التوسع الترابي:

- تجمع الرتل يوم 08 يناير 1912 عند بُوعَرْ على بعد خمسة وعشرين كيلومتر شرق تَجْجَجْجَه وتكون من:
- قائد الرتل: المقدم هاتي مفوض الوالي العام في موريتانيا.
- جمالة آذْرَارْ: النقيب بنو.
- جمالة البيطان:
- ضابط صف أروبي.
- ضابط صف جزائري.
- واحد وثلاثون من حرس الجمالة البيطان.
- ثلاثة عشر راع مسلح.
- فصيلة الجمالة الثالثة:

- الملازم الأول بورغينيون.
- ضابطا صف أروبيان.
- ستة وأربعون من ذوي الرتب والرماة.
- اثنان وعشرون من جمالة البيضان.
- اثنا عشر راع مسلح.
- فصيلة جمالة مؤقتة:
- الملازم الأول ماركينيه.
- ضابط صف أروبي.
- ستة وعشرون من ذوي الرتب والرماة.
- ستة وثلاثون من البيضان.
- جمالة تَگَانت:
- النقيب أوبير.
- الملازمان الأولان Faiori و Psichari
- ضابط صف أروبي.
- ستة وثمانون من الحرس الجمالة أئكَارِيرُ والبيضان.
- خمسة رعاة مسلحين.
- سرية المسير:
- النقيب Verdier.
- الملازم الأول Bertembourg.
- 04 ضباط صف أروبيون.
- ثمانية وتسعون من ذوي الرتب والرماة.

- الأنصار اتيكارير التابعين لرئيس الكانتون (chef de canton) بيلاً
- بيرام:
- رقيب أروبي.
- خمسة وأربعون نصيرا.
- الأنصار البيطان غير المؤطرين:
- خمسة وثلاثون نصيرا.
- فصيلة رشاشات:
- ضابط صف حراق.
- الإداري Daireaux.
- ستة رماة.
- فصيلة الخدمات الصحية:
- الطبيب الرئيس من الدرجة الثانية Fulconis.
- ممرض.
- محلي.
- القافلة:
- النقيب Querillac.
- ضابطا صف أروبيان.
- بعد أن أكدت الاستخبارات أن تيشيت غير محصنة، تركت في تجگجہ
- فصيلة هاون 80 جبلي يقودها الملازم الأول Le Moaligou كان مقررا أن
- تكون ضمن الرتل.

يوم 09 يناير، أرسل النقيب بنو وجمالة آذرا إلى آبار أم لَعَوَيْتَات لِنَارَة
تقدم الرتل. تحركت بقية الرتل يوم 10 يناير وأدركت النقيب في اليوم التالي
11 يناير.

في صبيحة هذا اليوم 11، قدم رسولان من تِشَّيْت يحملان المعلومات
الاستخبارية التالية:

1. بعد أن أتى المنشقون بغنائمهم من أَرْكَاي [قافلة] تَاوَدْتِي إلى وَلَاتَه¹ توجهوا
إلى تِشَّيْت.

2. وصل وَلَد عَيْدَه ووزيره احمد ولد ابراهيم ولد مَكَّيَّه ومعهما بعض
أفراد عصابتهمَا أَقْرِيْجِيْت، يوم 7 يناير.
معركة تِشَّيْت:

قرر المقدم بَاي أن يرسل فورا إلى تِشَّيْت قوة من الجمالة، كافية لإزاحة
أعدائنا، ولو كانوا متجمعين ومطاردهم بشدة. كُلفت مجموعة النقيب بنو
بتنفيذ هذه الغارة فتركت أم لَعَوَيْتَات عند الساعة الخامسة بعد ظهر يوم
11 يناير.

بعد أن قطعت هذه القوة مسافة ثلاثين ومائة كيلومتر في ليلتين ويوم واحد،
فاجأ جمالتنا المنشقين على تمام الساعة السابعة والنصف من صباح يوم 13 يناير
فوجدتهم يغادرون تِشَّيْت تتبعهم مطاياهم متجهين إلى أَقْرِيْجِيْت حيث كانوا
سينضمون إلى رفاقهم ويعتزمون مهاجمة إحدى فصائل جمالتنا في منطقة الْمَيَّان.

¹ مدينة في ولاية الحوض الشرقي. وهي قديمة تأسست في القرن 12م. ذكرها
الرحالة ابن بطوطة بعد أن زارها سنة 753هـ/1352م. ظلت لقرون حاضرة العلم ومحج
طلابه في منطقة بلدان الساحل كلها.

بدأ القتال الشديد، على أطراف الواحة أولا، ثم في الكيسان الرملية. وكان القتال راجلاً أحياناً ومن فوق ظهور الإبل أحياناً أخرى. قُتل أحمد ولد إبراهيم ولد مَكْـيَّه ووُلد الفِيدَارْ وتسعة من أفضل الحاربين وأُصيب وُلد عَيْدَه بجرح بالغ فأسر¹. غنمنا إحدى عشرة بندقية وعشرين راحلة ولم نخسر إلا قتيلاً واحداً من الأنصار.

—وصل القسم الرئيس من الرتل يوم 12 يناير 1912 إلى قانب. تلقى الرقيب الجزائري أدن بن الشيخ أمراً بالصعود مع ستة عشر من الأنصار إلى أَظْهَرْ عبر مضيق فَمَ أَجَارْ ثم التوجه إلى الشمال الشرقي للالتفاف على تَيْشِيَّتْ من جهة آبار بِيْر الطَّالْب. وأمرت قوة الاستطلاع هذه بمطاردة المنشقين الذين قد يهربون في ذلك الاتجاه.

عثر أدن بن الشيخ يوم 14 يناير على آثار مجموعة من الحاربين فلاحقهم وفرّقهم بعد أن قتل منهم رجلاً وسلبهم أحد عشر جِمالاً للركوب. قُتل في هذا الاشتباك أحد أنصارنا وجرح اثنان.

وصل النسق الثاني من الرتل عبر طريق الباطن إلى تَيْشِيَّتْ بعد ظهر يوم 15 يناير.

—أفاد الملازم الأول بورغينيون، وكان قد احتل بفصيلته يوم 14 يناير قرية أَقْرِيْجِيَّتْ، أن محمد محمود وُلد سِيدِي كَحَلْ هرب مع أربعين رجلاً إلى آلجِي نقطة المياه المهمة الواقعة بين أَقْرِيْجِيَّتْ وولائته وأن دورية قوية من الأنصار تتبع أثره.

¹ نذكر جليله أن عدد قتلى المقاومة لم يتجاوز ثمانية من بينهم ول مَكْـيَّه. (المترجم).

أمر فصيلُ تَگَانتَ بالانضمام إلى الفصيلة الثالثة. كُلف النقيب أوبر قائدُ الجمالة باستقبال الدورية والتحرك ضد تجمع آنجي إذا استدعت الضرورة ذلك.

أُرسل الملازمُ الأولُ ابسيشاري وعشرون من الأنصار جنوبا لإرجاع الأحياء الهاربة والقبض على المنشقين الذين قد يكونوا لجؤوا إليها. احتل المقدم وكل القوات الموجودة يوم 21 يناير 1912 إلى آقَرِيَجِيَتْ لإسناد النقيب أوبر إذا دعت الحاجة لذلك.

قرر النقيب أوبر مهاجمة وَلْد سِيدي لَكْحَلْ بعد أن علم أنه يتمركز مع عشرين ومائة رجل في عنق آنجي. لكن المنشقين وقد علموا بخطة النقيب، انسحبوا سريعا إلى وَلَاتَه.

بعد أن نفذ مهمته في الجنوب، تركز الملازم الأول ابسيشاري للمراقبة في منطقة قَائِبْ. ثم وجد وهو على بعد خمسين كيلومترا جنوب أَمْ لَعُوَيْثَفَاتْ آثار عصابة لجأت إلى المرتفع الصخري الذي يشكل الحافة الشرقية لَتَگَانتْ.

وجد الملازم الأول العدو وقد احتل موقعا قويا جدا بين الصخور المتناثرة عند سفح المرتفع ومع ذلك فقد استطاع إخراجه من مكمنه ومطاردته حتى مسافة ستة كيلومترات. خسر العدو قتيلين وغنمنا منه بندقيتين بينما قُتِلَ أحدُ أنصارنا في اللحظات الأولى للاشتباك.

أخلت منطقة العمليات المخصصة لقوات مورتانيا تماما.

ما تزال قوات تَبْكَتُوْ لم تحتل ولاته بعد. ومن جهة أخرى، أجبرتنا حالة الغموض في شمال آذَرَارْ وفي مخيمات أَرَقَيَاتْ على إعادة قوات بنيو إلى الشمال.

غادر الرتل تيشيت يوم 26 يناير 1912 ووصل يوم 28 إلى قائب وتفرق من هناك:

- واصل جمالة آذرار إلى منطقتهم عبر المينان ودخلة بوسيف.
- أمر فصيل تگانت بمطاردة المنشقين الذين قد يرجعون إلى منطقة قائب- تيشيت - آفريجييت وأن يكون على اتصال بجمالة كيّفه وأخيرا أن يستطلع منطقة ركيز أفله.

أنشيء قطاع تيشيت المتجول ورجع المقدم پاتيّ ومعه باقي القوات إلى تجگجّه فوصلها يوم 12 فبراير.

يوم 13 فبراير 1912، اتصل النقيب أوبر، عند آنجي، بالعقيد Roulet قائد مفرزة تئبكتو الذي كان قد دخل ولاته يوم 27 يناير 1912 دون إطلاق رصاصة واحدة.

- واصلت عصابة ولد سيدي لكحل عيها في تگانت وأرقبيّه والحافات الشرقية لگورگول. ولقدرتها الكبيرة على الحركة وانقسامها إلى مجموعات يصعب الإمساك بها وكذلك لاستفادتها من المتواطئين معها في الأحياء الموالية لنا، نجت هذه العصابة من مطاردة مفارزنا لها، مدة طويلة.

- رغم هذا كله، أدرك الملازم الأول Maignan مقيم [حاكم] أمبوذ يوم 23 مايو 1912 عند مضيق آگواسه نحو ثلاثين من أهل آخجور دخلوا تگانت ثم انسحبوا إلى لعصابه، ففرقهم¹.

- يوم 23 نوفمبر، نجح النقيب أوبر في مفاجأة تلك العصابة وهي متجمعة في أزواذ كدافه على بعد حوالي عشرين ومائة كيلومتر شمال غربي ولاته. خسروا

¹ ذكر جيليه أنه قتل منهم ستة وأسر واحدا بينما جرح ضابط صف أوروبي وقتل جنديان. ص 254. (المترجم).

المنشقون ثلاثة عشر قتيلا وخمسة اسرى وثلاثة عبيد وخمس عشرة بندقية سريعة الرمي ومراكبهم وأمتعتهم.

- يوم 28، أدرك ولّد سيدي لكحلّ وخمسة وعشرين من الهاربين فتركوا على الميدان ثلاثة رجال وثلاث بنادق.

لم تنكبد أية خسارة في الاشتباك الأول [يوم 23]¹ بينما كلفنا الثاني مقتل سبعة جمالة من البيضان وجرح أربعة.

- في آذار، تغير موقف أرؤفّيات الخاضعين لنا وخصوصا في الأشهر الأخيرة من السنة وكان علينا أن نواجه احتمال انشقاقهم القريب. ولكننا لم نر في هذا التغير إلا نتيجة لحركة هؤلاء البدو الذين يندبون حريتهم ويأملون أن يعودوا إلى غزواتهم المربحة. جمعت ثلاث فصائل جمالة تحت إمرة الملازمين الأولين Martin و Merello في تجرّيت لمراقبة هذه الأحياء.

- دخل عدد كبير من الغزيان القادمة من جنوب المغرب إلى أراضينا ومارسوا النهب. في ابريل 1912 مر أحد هذه الغزيان وعدد أفراده أربعمئة رجل بتخوم آذرار واتجه إلى الحوّظ حيث استولى على مئات الإبل. لكن النهابين، أثناء رجوعهم، وجدوا قواتنا تحرس ممرات حاجز ككّانت.

- أدرك النقيب Cautellier مجموعة أولى منهم يوم 19 أكتوبر عند فرّذ أجار² ثم مجموعة ثانية يوم 21 عند أم جردان. خسر أرؤفّيات في هذين الاشتباكين أربعة قتلى وسبعة عشر أسيرا. كما استردّ منهم اثنا عشر عبدا كانوا قد سرقوهم، بالإضافة إلى 500 من الإبل. جرح منا ضابط صف أروبي ورقيب إفريقي وجمالتين من البيضان.

¹ التوضيح من المترجم.

² هكذا ورد في النص ولعل المقصود فم أجار. (المترجم).

القسم الثاني عشر

سنة 1913

مفاجأة أئيرَاتِ أَحْمِيْن - رتل أَصْمَارَه - وَاذْ أَلْفُكِيَات - بُوْتَلِيْس.

في نهاية 1912، تزايدت انشغاقات أَرْفُكِيَاتِ الخاضعين لنا وذلك نتيجة لعوامل ثلاثة:

- إعلان أَلْهِيَّته نفسه سلطانا على المغرب في مراكش.

- الدعاية النشطة التي يمارسها المبعوثون القادمون من وَاذْ نُون.

- عودة أهل مَاءِ أَلْعَيْنِيْن لاحتلال أَصْمَارَه.

ورغم هذا كله، بقيت كل القبائل مترددة، ولم يكن يوسعها التصديق الكامل بأنباء هزائنا في المغرب كما ينشرها وبتحيز كبير مبعوثو أَلْهِيَّته. قررت جماعات أَرْفُكِيَاتِ إرسال وفد إلى الشمال للتحقق من صحة هذه الأحداث. ذهب الوفد نهاية نوفمبر 1912 فوجد في السَّافِيَّه أَلْحَمْرَه محمد لَقْظَفْ ولد مَاءِ أَلْعَيْنِيْن الذي تولى قيادة الأعمال العدائية ضدنا ونجح في تجميع تَكْنَه وأَرْفُكِيَات وأولاد أَذْلِيْم. ولدى وصوله (محمد لَقْظَفْ) إلى أَصْمَارَه وجد غزيا كبيرا قيد الإعداد للاتجاه إلى أَرْوَاذ فغير هدفه لمهاجمة مفاوزنا في آذْرَار. وسيفاجيء هذا الغزي مجموعة الملازم الأول مارتين ويكاد يقضي عليها.

1. مفاجأة كَبِيرَات:

كنا، في مطلع سنة 1913، نجهل تماما الدعاية المنظمة في صفوف أَرْفُكِيَات ونشاط أولاد مَاءِ أَلْعَيْنِيْن في جنوب المغرب وتوحد قبائل السَّافِيَّه أَلْحَمْرَه ضدنا. وقد حرص محمد ولد الخليل على عدم إطلاعنا على تلك الأنباء. ورغم ذلك فقد شاع نبأ تشكُّل غزي كبير في الشمال لكننا اعتقدنا أنه، كسابقه، يريد اكتساح إبل القبائل الخاضعة لنا في آذْرَار أو تلك الموجودة في أَلْحَوْظ

وَأَزْوَادُ. لم يقدر أحد أن هذا الغزي سيجرؤ على مهاجمة مفارزنا وكان الجمالة على ثقة مطلقة بالأمان. أُهملت الإجراءات الأمنية الأكثر ضرورةً فخدمةُ الحراسة غيرُ كافية ليلاً ولا توجد استطلاعات بعيدة المدى ولا دوريات ولا مداومة. وكان الانضباط متراخ. أما الرماة وخاصة حرسُ الجمالة فلم يكونوا فقط غير مجهزين [بأسلحتهم]¹ أثناء الليل بل إنهم كانوا لا ينامون في مواقعهم القتالية وكثيرٌ منهم قد جعل ذخائره في حقائب عليها أقفالها.

وأخيراً، لم تكن شرطة الموقع مقامة فالحركة داخل المعسكر غير منظمة والرجال والنساء والصبية يتجولون بحرية وبأعذار متعددة دون التحقق من هوياتهم.

كانت حالة مجموعة مارتين في الأيام الأولى من يناير 1913 هي التالية:

- ذهب الملازم الأول موريلو ومعه ثمانية عشر رام وسبعة جمالة من البيطان لاستقبال المقدم Mouret الذي يقوم بجولة تفقدية في آذْرَارْ.
- ينقسم باقي المجموعة الذي يتبدى في منطقة كَبِيرَاتْ إلى:
- الرقيب Raynal وسبعة وعشرون رام يحرسون البشر.
- الملازم الأول مارتين ومعه رقبيا الدرك Bain و Pelatan والرقيب Tissier وثمانية وخمسون رام وخمسون جمالا من البيطان وستة وعشرون راع مسلح. يوجد هذا القسم في المرعى على بعد عدة كيلومترات ولديه كامل الإبل.

أقيم المعسكرُ على شكل مستطيل متجه من الشمال إلى الجنوب، يحتل الرماة واجهتيه الكبيرتين والبيطان واجهتيه الصغيرتين. لم تقم زرائب من الأشواك

1 التوضيح من المترجم.

لانعدام الأشجار في المنطقة كما لم تحفر خنادق محيطة بالمعسكر. اقتصرَت خدمة الحراسة على مركز واحد يفرز حارسين عند طرفي خط زاوية هذا المستطيل ليلاً.

تمكّن الغزي، الذي بلغ تعداده حوالي الثلاثمائة رجل، من الإختباء مدة يومين على بعد كيلومترات قليلة، دون أن نكتشف وجوده. ونجح جاسوسان منه في الدخول إلى المعسكر يوم 09 يناير مدعيان أنّهما تاجران متجولان وجاباه في كل الاتجاهات.

اقترب العدو ليلاً بعد حصوله على المعلومات الكافية وتأكده من تحقيق المفاجأة ثم هاجم بحوية كبيرة قبيل طلوع الصبح.¹ هاجمت موجة أولى ثم موجة ثانية الواجهة الشمالية التي يشغلها بعض البيضان فقتل عدد منهم وهم نيام وهرب الآخرون. وفي نفس اللحظة، أحاطت مجموعتان أخريان بالواجهتين الشرقية والغربية فاكسح المعسكر من كل الجهات. حدثت بلبلة فظيعة وأُجبر الرماة، الذين استيقظوا مذعورين، على الانزياح جنوباً مع النساء والدواب.

خرج الملازم الأول مارتين ورقيبا الدرك بن وبالاتان وسط الأعداء، من خيامهم المنصوبة قرب الواجهة الشمالية. زحف الملازم الأول على ركبتيه بعد أن جرحت فخذه فوَأخذ يفرغ مسدسه على المعتدين إلا أنه قتل في نفس اللحظة تقريباً.

¹ أي فجر العاشر يناير 1913 (المترجم).

أما الرقيب باين وكانت لديه بندقية كارابين بدون ذخائر فقد سيطر عدة رجال عليه وأمره أن يقول لا إله إلا الله فوثب على أحدهم وعرض شذقه فقطعها فسيطر عليه المهاجمون وقتلوه.

أطلقت النار على بالاتان عند خروجه من خيمته فسقط في مواجهة العدو دون محاولة للهرب أو تفكير فيه.

كان الرقيب تيسي نائما قرب الواجهة الجنوبية فنجح في تجميع ستة رماة وثلاثة جمالة من البيضان وانسحب بهذا العدد الصغير، مواجهها سرب الكلاب¹ الذي يطارده، نحو صخرة تبعد خمسين مترا لكنه قُتل قبل بلوغها وسقط من كانوا حوله بدورهم. سيطر الغزي خلال دقائق على المعسكر ولم يفلح في الهرب إلا بعض الرماة ونحو ثلاثين من البيضان.

بلغت خسائرننا: خمسين سنغاليا وسبعة عشر جمالا من البيضان². استولى العدو على خمس ومائة بندقية كارابين وأكثر من عشرين ألف طلقة وخمسمائة من الإبل وكل أمتعة وأقوات وتجهيزات الجمالة.

وصل بعض الجرحى والرعاة إلى الرقيب راينال مساء نفس اليوم وأعلموه بالكارثة فبادر إلى حفر خندق حول معسكره واستعد لهجوم محتمل. لكن القسم الأكبر من الغزي رجع إلى الشمال بغنائمه واتجهت منه بضع مجموعات فقط إلى الجنوب لسرقة³ الإبل.

¹ الظاهر من هذه اللغة غير اللالقة أن معركة لبيرات أثرت لسنوات طويلة في الذاكرة الاستعمارية. (المترجم).

² أي 67 يضاف إليهم الأوروبيون الأربعة فيكون العدد الإجمالي 71. (المترجم).

³ هذه الشتيمة تأتي بعد خسائر فرنسية كبيرة كما راينا. وكذلك صفة indigènes في الإحالة التالية. (المترجم).

يوم 15، رجع الملازم الأول موريلو بمفرزته. ويومي 17 و18، وصل على التوالي النقيب غير هارد مع ستين بندقية ثم فصيل الملازم الأول بيرتوميه. أديت مراسم الشرف الأخيرة للقتلي ورجع الجميع إلى أطار حيث يجمع المقدم Mouret عناصر المطاردة.

2. رتل أصمّاره:

تلخصت معركة بَيَّرَات¹ لدى سكان البلاد¹ في التالي، مفرزة فرنسية يتجاوز عدد أفرادها الثلاثين والمائة، جيدة التأطير ومزودة بكل ما تحتاجه من ذخائر، هزمتها وكادت تبيدها مجموعة من البيضان تقل عن الثلاثمائة لم تمن إلا بحسائر طفيفة نسبيا.

لا نستطيع أن نترك الاعتقاد في تراجع قيمتنا العسكرية يقوى، في بلد، القاعدة الوحيدة لسلطتنا فيه، هي سمعة وهيبة قواتنا. لذلك، كان لا بد من رد سريع وقوي على هذه العملية. قرر المقدم موريه مطاردة² النهايين أو على الأقل تلقين المخيمات التي انطلقوا منها درسا قاسيا.

أ. التكوين:

يوم السابع فبراير 1913 تجمعت في تَيَارَت مفرزة جمالة من مائتي بندقية³ وتم فصلت كالتالي:

- المقدم موريه، قائدنا.
- النقيب لمواليغو والملازم الأول Dop ومساعدا.

¹ Indigènes. (المترجم).

² لم يكن إدراك الغزي معقولا ولا مقدرا بعد حوالى شهر من المعركة. بل كان الهدف الانتقام من أهل المقاومة في تلك المنطقة. (المترجم).

³ هكذا في الأصل لكن مجموع ما ذكره من قوات هو 431 رجلا دون فصيلة الرشاشات التي لم يحدد عدد أفرادها! (المترجم).

- الدكتور Moutet، قائدا للمفرزة الصحية.

-المجموعة الأولى: النقيب كيرهارد .

- الملازم الأول موريليو .

- ضابطا صف أروبيان.

- خمسون رام.

- أربعة وثلاثون جمالا من البيضان.

- الملازم الأول ماركينيه .

- ضابطا صف أروبيان.

- خمسة وأربعون رام.

- إثنان وعشرون رام من البيضان.

-المجموعة الثانية: الملازم الأول بيرتومي.

- الملازم الأول Lecoutey.

- ضابطا صف أروبيان.

- إثنان وأربعون رام.

- ستة وخمسون من جمالة البيضان.

-المجموعة الثالثة التابعة مباشرة للمقدم:

- فصيلة رشاشات.

- ضابط صف أروبي.

- أربعة ومائة.

- خمسون ومائة متعاون.

- تسعة مترجمين وأدلة.

وزعت على الرجال أقوات خمسة أيام وحملت القافلة أقوات أربعين يوم وستمائة وألف لتر من الماء في براميل حديدية. كما حملت أربعمائة وأربع عشرة ألف طلقة.

أزيلت عقبات كثيرة إذ لم يحمل الأوروبيون أسرّة ولا خياما ولا مطابخ واكتفى كل واحد منهم بوضع أدواته الشخصية في حقيبة جلدية حملها على جملة.

ب. المسير:

تحرّكت قوة الاستطلاع من تيارت يوم التاسع فبراير 1913 فمرت بتازاديت ولبحر ثم بلغت قسّنة لمناصر يوم 21 من الشهر.

—أدرّكت مجموعة من المتعاونين أرسلت يوم 18 فبراير، مجموعة معادية تناهز الثلاثين فقتلت منها خمسة رجال وغنمت خمس بنادق، ثلاث منها من نوع كارابين 92 كما غنمت مسدسا وبوصلة وبعض معدات الرماة وواحدا وعشرين جملا، ثمانية منها للفصائل [التي هوجمت في كيّرات]¹.

وجدنا مرتفعات الزمور خالية، تدل كل الآثار فيها على أن ساكنيها اتجهوا شمالا. استأنف الرتل مسيره يوم 22 فبراير 1913 ومر بعكّلات أمگّالّه وتوقف يوم 28 صباحا على بعد عدة كيلومترات من أصماره.

ج. دخول أصماره:

استفاد عنصر استطلاع أرسلناه بعد الظهر، من عاصفة رملية شديدة، فاقترب من الزاوية التي بدت له خالية. اتّخذت كل الإجراءات لاجتياحها ليلا وإن كان الدخول من أبوابها الخمسة في وقت واحد غير ممكن فهي قرية حقيقية، ممتدة الأسوار.

¹ التوضيح من المترجم.

نبهت أصوات الرجال والدواب وسط حجارة المنازل المتهدمة والأزقة أحد أئلاميد ففر هاربا ونجا من المطاردة. في الصباح وجدنا خارج الزاوية عبدا في عريش أخبرنا بالتالي:

- قدم محمد لَقْظَفُ، أخو الهَيَّه، إلى هنا قبل أشهر مع ما يقارب المائة من أئلاميد.

- محمد لَقْظَفُ هو الذي أرسل غزي لَبَّيرَات.

- محمد لَقْظَفُ يعد الآن غزيا ثانيا أقوى من الغزي السابق لمهاجمة مفارزنا بل والمركز المقام في مدينة أَطَار.

- تتجمع المخيمات الآن في وادِي آرْنِي وتَارْنِي على بعد مائتي كيلومتر شرق أَصْمَارَه.

1. معركة واد التگليات:

غادر الرتل اصماره يوم الثاني مارس 1913 متجها شرقا وأرسل استطلاعا عاد في اليوم التالي برجلين أكدوا المعلومات السابقة وأن الهَيَّه يستعجل تشكيل الغزي الذي يقدر أن يتكون من ثمانمائة مقاتل.

لم يعد التردد ممكنا وأصبح من الملح أن نحاول بلوغ هذا الغزي وتفريقه لخطورته على آذَرَار. عَسْكَرَ الاستطلاع يوم السادس مارس في المكان الذي كان فيه ابن ماء العَيْنِين قبل ذلك بأيام. وفي السابع مارس، توقف عند عَكَلات تَلْزَلْ عند سفح لَحْمَادَه.

هربت القبائل مسرعة بعد أن أُنْذِرَها التلميذ الهارب من أَصْمَارَه ولجأت إلى الجبل. وكانت مطاردتهم في هذا الميدان الشديد الوعورة والملائم للكمان تعني

إلقاءنا بأنفسنا في الفخ المنسوب لنا. وقد أصبح واجبا علينا إضافة إلى هذا كله، التفكير في الرجوع لأن الأقوات بدأت تنفذ.

اتجه الرتل جنوبا يوم 08 مارس صباحا قاصدا نقطة المياه المسماة لَفَّيرَه فأقام يومي الثامن والتاسع في وَاذْ تَقْلَيَاتْ منتظرا طليعتين أرسلت إحداهما صباح يوم 07 لاستطلاع منبع وَاذْ تَارْنِي وتركت الثانية يوم 08 مارس على الطريق لاستقبال الأولى وإيصالها إلى الرتل.

لم تعد الطليعتان حتى صباح يوم التاسع مارس فدفع القلق على مصيرهما قيادة الرتل إلى إرسال مجموعة تناهز الثلاثين متعاوننا كلفتها بالرجوع إلى النقطة التي تركت فيها الطليعة الثانية والإتيان بها إن وجدتها وأمرت هذه المجموعة، أن ترجع ليلا مهما كانت نتيجة المهمة.

في الساعة الخامسة مساء من نفس اليوم، سُمِعَ إطلاق نار من جهة الطريق الذي سلكه الرتل في اليوم السالف، فأمر فصيلُ بيرتومي بالركوب والإسراع لتخليص رجالنا بينما يستعد باقي الرتل لاتباعه.

وهذا ما حصل: علمت الطليعة المرسلة في يوم 07، من بعض النساء في مخيم صغير أن العدو يستعد لاتباعنا عندما يجد فرصة ملائمة فانسحب رجالنا وزاد عددهم في الطريق بانضمام الطليعة الثانية ومجموعة الأعوان.

في مساء يوم 09، أدرك تجمعٌ معادٍ يضم بعض الفرسان الطليعتين والأعوان فهاجمهم ونجح في قطع الطريق أمامهم فلدجؤوا إلى صخرة ظلوا فيها حتى وجدهم الملازم الأول بيرتومي.

بعد اشتباك قوي، نجح الملازم الأول في صد المهاجمين وكانوا أكثر من ثلاثمائة فانسحبوا وراء سلسلة صخرية تقع على مسافة تقل عن كيلومتر واحد شمال ميدان الاشتباك.

خلال هذا الاشتباك، الذي لم يكن إلا بين مقدمة وساق¹، خسر العدو خمسة عشر قتيلا وعشر بنادق ومسدسا واحدا وثلاثة عشر رجلا². أما خسائرنا فكانت مقتل عونين وجرح ثلاثة جمالة وعون واحد. تجمع الرتل حوالى الساعة السابعة مساء حول الصخرة التي كانت ملجأ طلائعنا. واصل العدو إطلاق النار المتقطع على مواقعنا طوال الليل، بينما استمرت التعزيزات تصل إليه في كل لحظة. وكنا نسمع أصوات رجال القبائل وانتماءهم كما نسمع شتائمهم وتهديدهم لنا. وأحيانا سمعنا تكبيرهم ودعاءهم.

فاقت القوات التي تعين علينا أن نواجهها ثمانمائة رجل أكثرهم مسلحون ببنادق خفيفة مزودة بذخائر كثيرة-لأن النار التي كانت عنيفة بدرجة استثنائية منذ البداية، ظلت كثيفة حتى نهاية المعركة. وقد كان الأعداء يحمسونهم ويزيدهم تطرفا محمد لَقْظَفَ وأحد إخوته يسمى امربيه ربه وهو الشاب ذو الثمانية عشر عاما الذي تميز بنشاطه وبكرهه لنا.

مكنتنا الصيحات والدعوات والنيران الموقدة وتلك المطلقة على دورياتنا من تحديد شبه دقيق للمواقع التي يحتلها العدو؛ فوضع المقدم موريه خطته ليلا:

- كَلَّفَتِ الفصيلةُ الثالثة التابعة لميرليو بالتقدم قليلا، عند انبلاج الصباح، إلى صخرة تقع خارج ميمنة العدو وخلفها إلى حد ما. وأُمرت هذه الفصيلة

¹ أي مقدمة جيش المقاومة وساقه الفرنسيين. (المترجم).

² هكذا في النص ولم يحدد هل أسروا أم جرحوا. ولعله يقصد 13 جملا. (المترجم).

بإطلاق النار على العدو، من هذا الموقع، مع أول ضوء للصباح فإما أن تصيب مجنبيه وإما أن تصيبه من الخلف.

- أمرت فصيلة الملازم الأول ماركنيه بمهاجمة قلب العدو، عند ضوء الصباح، على أن تسند تقدّمها رماية الرشاشات وفصيل أوبر المتمركز، كاحتياط، على الصخرة.

- يلتف المعاونون على ميسرة العدو، في نفس اللحظة، ويهددون خط انسحابه.

ورغم هذه الخطة، إلا أن سوء الحظ قد جعل هذه المناورة لا تنفذ كما خطط لها. وهذا ما جرى:

- أخطأت فصيلة ميريليو الاتجاه منذ البداية، فأصبحت في مواجهة الحاجز الصخري الذي تحتمي به ميمنة العدو. ورغم أن الفصيلة أفلحت بهجوم مفاجيء في اتخاذ موطيء قدم على هذا الحاجز، إلا أن البيضان لم ينهزموا مما اضطر رجالنا شبه المطوقين أن يقاتلوا من مسافات قصيرة. ما إن اتضح النهار وأدرك الملازم الأول ميريليو الوضع الذي توجد فيه فصيلته حتى بدأ يحاول التخلص والتقدم أكثر، يسارا، متبوعا بنصف فصيلة Vilain. ولما كانت هذه المناورة تتم تحت نيران قوية وفي ميدان مكشوف قُتل الملازم الأول وجرح الرقيب وسقط رماة وحرس كثيرون قبل أن ينسحب الباقون بسرعة.

وأثناء تجميعه لهذه القوة، أصيب النقيب كيرهارد إصابة قاتلة بينما بقي نصف فصل راينال، حتى قبيل نهاية المعركة، متشبثا بموقع العدو ومقاتلا بقوة ومعنويات لا مثيل لها.

- كانت فصيلة ماركينيه قد تحركت مبكرة، لكن الرشاشات التي كان يجب أن تسندها تعطلت فلزم تفكيكها وتنظيفها فلم تشارك في المعركة إلا بعد أن أُجبرت الفصيلة على التوقف والالتصاق بالأرض، لتعرضها لنييران قوية وتحولت المعركة إلى معركة استنزاف.

- لم يدم الحماس الذي ذهب به المتعاونون طويلا. وبما أن العدو لم يظهر استعدادا للهرب، فراجعوا إلى مستوى فصيلة ماركينيه. وعندما أنهوا ذخائرهم، وهذا ما فعلوه سريعا، لجؤوا إلى حفر الصخرة وشقوقها للاحتباء.

بعد قتال عنيف، استمر عدة ساعات، أُجبر الأحياء من نصف فصيلة راينال على التراجع وكان من الوارد أن يصبح الموقف حرجا.

- صمدت فصيلة ماركينيه، المقادة بامتياز، أمام محاولات العدو تطويقها، لكنها بقيت وحيدة على خط النار.

ظهرت بوادر التعب على العدو وقدردنا أن ذخائره ستكون بدأت تنفذ.

- حوالى الساعة العاشرة صباحا، أمر المقدم حرس جمالة فصيل بيرتومي بالركوب، معززين بعدد من الأعوان. كُلفت هذه المفزة، التي ناهز عدد أفرادها السبعين رجلا تحت إمرة رقيب الدرك Buis، بتنفيذ حركة دائرية واسعة حول ميسرة العدو. وعندما رأى البيضان هذه القوة هدد خط تراجعهم، تركوا القتال وهربوا إلى الشمال.

انتصرنا ولكن بضمن غال، فقد كانت خسائرننا يومي التاسع والعاشر مارس 1913، كالتالي:

- القتلى والمصابون إصابات قاتلة:

- النقيب غير هارد.
- الملازم الأول ميريليو.
- 18 رام.
- 04 من الحرس.
- 05 من المتعاونين.
- الجرحى:
- ملازم أول.
- ضابط صف أوروبي.
- 20 رام.
- 15 حرسيا.
- 04 متعاونين.

أي خمسة وستون¹ رجلا خارج المعركة. وترك العدو على الميدان ثمانية وتسعين قتيلًا منهم الخمسة عشر الذين قُتلوا في اليوم السابق. وحمل كثيرا من الجرحى. وأفادت المعلومات التي حصلنا عليها بعد ذلك أن عدد القتلى ومن قضوا بعيد المعركة متأثرين بجراحهم بلغ ثلاثين ومائة رجل. غنمنا ستا وعشرين بندقية سريعة ومسدسا واحدا وسبعة عشر جملا.

ما إن اختفى العدو، حتى جمعنا قتلاتنا ودفناهم ثم جمعنا من ميدان المعركة الأكياس الفارغة والرواحل المنكسرة وحرقنا أودفنا ما لم نستطع حمله².

¹ هكذا في الأصل ولكن مجموع من ذكرهم سبعون رجلا بين قتيل وجريح أي خارج المعركة. (المترجم).

² دفنوا كل شيء حتى الأكياس ولم يدفنوا قتلى عدوهم ! (المترجم).

اتجه الرتل، مساء نفس اليوم، إلى لفيره، فوصلها عند تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي. ومن لفيره، واصل الرتل مسيره، مباشرة، وعلى امتداد ستين وثلاثمائة كيلومتر عبر مفازة لا ماء فيها، إلى كَذِيَّةُ الْجَلِّ. وعند عند نقطة مياه تازَادِيَتْ، دفن النقيب كيرهارد يوم 15 مارس 1913. وكان قد توفي قبل يومين، متأثراً بجراحه.

وصلت قوة الاستطلاع إلى أَطَارْ يوم 28 مارس 1913 .

إن هذه الغارة، التي نفذت بسرعة ونجاح عبر مناطق جرداء لم تكن قد وطنناها من قبل ومعارك وَاذْ تَفْثِيَاتٍ على بعد ثمانمائة كيلومتر من قاعدتنا وكذلك الرجوع الذي جرى دون حادث رغم حمل الكثير من الجرحى والطول غير العادي لمراحل لا ماء فيها، أمور تظهر النتائج العظيمة التي وصل إليها ضباطنا وضباط صفنا في تكوين وتدريب¹ الجمالة.

إن معركة العاشر مارس 1913، هي بحق المعركة الأعنف التي قدر لنا أن نخوضها في موريتانيا حتى ذلك التاريخ. لقد مكنت شجاعة وأناة وصلابة الأُطر الأوروبيين والرماة ورغبتهم المتقدة في الثأر لقتلى كَبِيرَاتٍ من النصر على عدو متفوق عدداً، قوي التسليح، احتل موقعا قويا وأظهر شجاعة متطرفة حقاً². لكن هذه المعركة أكدت لنا أننا يجب، أمام عدو خطير، ألا نعتمد إلا على سنغاليينا³.

أعيدت هبة جيوشنا إلى قلوب أعدائنا. وأعيدت إلى قلوب محكومينا وذلك ما لا يقل أهمية. ولكن كان علينا ألا نفتخر بالاعتقاد الخاطيء أن هذا النجاح

¹ Dressage في الأصل. (المترجم).

² ولا نذكر للجمالة والبيضان ولا لمتعاونيهم. ولا عزاء. (المترجم).

³ ولا عزاء للمتعاونين من أبناء البلد. (المترجم).

سينهي أنشطة النهابين. في الصحراء، يلدُ الغزوُ الغزوَ وتبقى أقسى الدروس الملقنة للبدو قليلة الفائدة ما لم تتم السيطرة على مجالات تنقلهم وقواعد تموينهم. انشقت أغلبية أَرْقِيَّاتٍ، التابعين لنا، بعد مفاجأة كَبِيرَاتٍ، ولم يبق سوى ما يناهز الثلاثين خيمة متجمعين حول محمد وَلَدُ الْخَلِيلِ.

في شهر ابريل 1913، لوحظ قلوب غزي من حوالى ثمانمائة رجل من أَرْقِيَّاتٍ وَكُنْه انقسم إلى عدة مجموعات إحداها قادها أَمْحَيْمُ وَلَدُ مُحَمَّدٍ وَلَدُ الْخَلِيلِ الذي أجبر والده والأحياء التي ظلت مخصصة له، على الذهاب شمالا. أما بقية المجموعات فترلت جنوبا، محاولة الاستيلاء على الإبل في آذْرَارٍ وَأَثْرَارِزِهِ.

تفادى النهابون بدقة جهالتا بل وحتى المتعاونين معنا وفروا عند كل تماس معهم. لم يرجع النهابون إلا بغنائم قليلة، بعد أن خسروا سبعة وخمسين رجلا.

واصل محاربو أَثْرَارِزِهِ وآذْرَارِ الظهور كأفضل معاونينا. وفي اشتباك واحد، قُتِلَ أَمِيرُ أَثْرَارِزِهِ¹ اثنا عشر رجلا وأسر ستة وغنم اثنا عشرة بندقية وبجزء من القطعان المسروقة.

أما الشاب وَلَدُ عَيْثِهِ²، أسير تَشَيْتٍ، الذي عَيَّنَ أَمِيرًا على آذْرَارٍ استجابة لإلحاح كل السكان [أهل آذْرَارٍ]³، فقد أثبت شجاعته وحيويته وإخلاصه. وبعد أن شارك في رتل أَصْمَارِهِ وقاتل إلى جنب رماتنا فقد تكفل مع مجموعة الجمالة التي شكلها بحماية آذْرَارٍ مما سمح لفصائل الجمالة بالاستراحة التي كانت في حاجة إليها [بعد معارك رتل أَصْمَارَةِ السالفة الذكر]⁴.

¹ الأمير أحمد لد محمد قال المشهور بولد الديد. (المترجم).

² الأمير سيد أحمد ولد أحمد ولد عيده. (المترجم).

³ التوضيح من المترجم.

⁴ التوضيح من المترجم.

2. أعْقِيلَة أنمادي:

في نهاية يوليو 1913، فاجأ أهل اخْجُورُ التابعون لنا، حوالى الثلاثين من أَرْفَئِيَاتِ قَرْبِ أعْقِيلَة أنماديب¹ فقتلوا منهم عشرة وغنموا 09 بندق وأربعة جمال.

وأثناء هربهم إلى الشمال، حلد الأعداء مكان حظيرة فصائل الجمالة قَرْب لَيْيَارُ. وما إن رجع إلى مخيمه حتى قام قائد هذا الغزي، [أَعْلِ] وَلَد مَيَّارَه بتشكيل وتنظيم غزي جديد من أربعمئة رجل للقيام بعملية مماثلة لعملية لَيْيَرَاتِ الناجحة.

3. اشتباك بُوئَلَيْسُ:

في اليوم الثالث من سبتمبر 1913 ذهب الغزي السالف من بَيْرُ أُمُ أَفْرَيْنُ ووصل في الليلة الفاصلة بين يومي 17 و18 إلى مسافة قريبة من معسكر الجمالة. أبلغت الاستطلاعاتُ الغزيَّ أن المعسكر محروس جيدا وأقوى من أن يُكتسح بسهولة فقرر النهابون عندئذ مهاجمة المرعى فاقتربوا منه فجرا واختبؤوا في مجرى واد مشجر.

أعلنت حالة الطوارئ فوراً لكن الأعداء هاجموا بسرعة وقوة بينما الحرس المكونون من ثمانية وعشرين رام وستة وعشرين من حرس الجمالة يأخذون مواقعهم الدفاعية. تفرق حرس الجمالة، متذرعين بمساعدة الرعاة على طرد الإبل نحو الحظيرة ولكنهم في الحقيقة فعلوا ذلك ليهربوا.

أما الرماة الثمانية والعشرون فقد بقوا مشتبكين مع معظم العدو الذي انفصل منه حوالى خمسين رجلاً فقط للاستيلاء على الإبل. ضحت هذه المجموعة الصغيرة من الرماة بنفسها وبشجاعة منقطعة النظير، لإنقاذ القطعان التي كلفت بحراستها.

كان اليوم عاصفاً والرماة الموجودون عند الحظيرة على بعد ثلاثة كيلومترات يتدربون على الرماية فلم يسمعوا أصوات الاشتباك أو يعلموا به حتى جاء راع أخير الضباط بما جرى. أسرع الحرس الجمالة ومفرزة من الرماة وحينما وصلوا ميدان

¹ هكذا في الأصل والأرجح ما أثبتناه أي أعْقِيلَة أنمادي. (المترجم).

المعركة وجدوا كل شيء قد انتهى. قُتل ستة وعشرون من الرماة وجرح الإنسان
الباقين واستولى العدو على ثمانية وعشرين بندقية كارابين. لكن تضحية رجالنا لم
تذهب سدى، فلم يستول العدو على أكثر من تسعين من الإبل.

لم تعط المطاردة التي نفذت فوراً أية نتيجة فقد أدرك أرقييات عند البيط لكنهم
رفضوا القتال وهربوا إلى الشمال مستفيدين من تفوق جهم¹.

بعد أن احتبأ أرقييات في كئبان أمقطير، اتجهوا إلى الحوظ حيث هزمهم وفرقهم
فصيل جهمالة ولأته، خلال شهر أكتوبر. وأثناء عودة الغزي إلى الشمال، قامت
مجموعات منه، لم تقبل الرجوع بحالية الوفاض، بعمليات نهب في تگگانت
وآذرار، فطاردها مسلحونا وقتل أهل آحجور وأتواير تسعة منهم وسلبوهم ثمانية
بنادق وحوالي الخمسة عشر من الإبل.

أثرت سنة 1913 بشدة في وحدات جهمالتنا فأصبح مهما أن تُداوى تلك الجراح سريعا
كما أصبح مهما أيضا رفع معنويات وحداتنا والسكان التابعين لنا.
بدأت منذ نهاية 1913 عمليات كبيرة لشراء الجمال في كل موريتانيا وفي أعالي
السنغال والنيجر.

وفي مدة ثلاثة أشهر، تلقت فصائل آذرار أربعمائة جمل مكنتها من استعادة القدرة على
تأدية الدور الفاعل المنوط بها كما رُفع عدد الرماة إلى سبعة وخمسين في كل فصيلة
وجُدّد السلاح ومكت قروض استثنائية من إعادة التزود بالتجهيزات الخاصة².
وفي منطقة أتيار تگگانت بشمال أترارزه، أسند تجمّع يتكون من خمسين رام قادمين
من ألدز وخمسين فارس وخمسين جهمال، مقاتلي المنطقة.
كما عُرّزت فصائل جهمالة آذرار برماة فصيل أترارزه الستين وحرسه الستين.

¹ للإبل في حياة الموريتانيين مكانة قديمة وموقع متميز، لذلك استجادوها وتفننوا في مدحها والتغني بها. (المترجم).

² أي التجهيزات الضرورية الأخرى غير الأسلحة والجمال. (المترجم).

يمكن لهذين التجمعين الذين، تغطيهما دوريات بعيدة المدى، أن يتجمعا خلال عدة أيام وهما قوة قادرة على مواجهة كل الاحتمالات.

وأخيرا، بدأ تكتل أعدائنا يتفكك. لم يهتم أرْقِيَّاتٌ وأولاد أَدْلِيمٌ وتُكْنَه باتباع الهَيْبَه في مغامرته المغربية ولم يمثلوا لإقتراحاته إلا بقدر ما كانت تخدم مصالحهم وعاداتهم في النهب. وهم وإن كان ليس بمقدورهم الاستغناء عن سوق جنوب المغرب فلأنهم مع ذلك يظلون متجهين إلى موريتانيا لأن مراعيها ضرورية لمواشيهم الكثيرة كما أنها توفر أهدافا معروفة لأعمال النهب التي يقومون بها¹.

في نهاية 1912، بدأ محمد ولد الخليل، الذي كان ما يزال رسميا قائدا معسكرا للسلام، مفاوضات للحصول على الأمان. وقد حضر إلى أَطَارُ في ابريل 1913 ورافق أمير آذْرَارُ إلى داكار.

منعت الإجراءات الأمنية التي اتخذناها اللصوص، طوال الأشهر الأولى من السنة، من الاستمرار في نشاطاتهم. ولما شاع أننا نعد عملية جديدة في السَّأْوِيَه الحُمْرَه، انسحبت المخيمات حتى وادي دَرْعَه. ولكن أرْقِيَّاتٌ وأولاد أَدْلِيمٌ عادوا إلى غاراتهم، في الصيف، بعد أن اطمأنوا إلى نوايانا.

- هاجم أنصارنا من أولاد بَسْبَع يوم 23 مايو 1913 عصابة أولى من أولاد أَدْلِيمٌ وأسوأ² عددها واحد وأربعون رجلا فقتلوا منها ستة عشر وغنموا عشرين جلا وتسع بنادق.

¹ ارتباط هذه القبائل بموريتانيا كما وضع الأوروبيون حدودها أعمق بكثير مما ذكره، فهي بيظانية قبل الاستعمار ولادة الدولة الحديثة موريتانيا بحدودها الراهنة، تعودت أن تجوب اتراب البيظان منذ مئات السنين ترعى السماء حيث نزلت ولها في كل موضع أثر أو ذكرى. ولذلك دافعت عنها باستماتة. وليس العجب أن ترتبط أو تهتم بهذه الأرض، أرضها، بل العجب أن يأتي أجنبي يقسم بخطوط وهمية نسيج جسد ثقافي وتاريخي وبشري واحد ثم يستكثر على أهله أن يرنو أحدهم ببصره نحو أخيه وداره وراء تلك الخطوط الجروح. (المترجم).

² أحد بطون ارقبيات. (المترجم).

- هرب الباقون من هذه العصابة شمالا وأخذوا في طريقهم مائة وخمسين جمل لأهل بَارَكَل¹ فطاردهم فصيل جمالة آذَرَارُ الثاني وأدركهم في كِثْبَانِ اعْظَمَ لَفْكَارِينَ. هرب العدو متفرقا في كل الاتجاهات لكنه ترك ثلاث عشرة راحلة وعبدلين وعشرين ومائة جمل مسروقة.

- غادرت مجموعة أخرى من ثلاثة وثمانين من أَرُقِيَّاتٍ وادي دَرْعَه ووصلت منطقة اندَامَه² على بعد خمسين ومائة كيلومتر شرق تِيشِيْت. بعد تسع وعشرين ساعة من المطاردة المستمرة، أدركت مفرزة من حرس فصيل تِيشِيْت هذه المجموعة عند الشَّيْبِي فقتلت ثمانية منها وأسرت ستة وغنمت ستة وعشرين راحلة وعشرين بندقية. ضاع نحو عشرين رجلا من المجموعة في الصحراء فماتوا عطشا. ولم نخسر سوى حرسى واحد.

- اتجه باقي هذا الغزي أي حوالى سبعة وأربعين رجلا إلى قَائِبٍ واكتسح يوم 28 مايو قافلة حرة متجهة إلى مركز تِيشِيْت وقطع أَوَكَارَ ونهب ثلاثمائة من إبل مَسُومَه³. وأثناء عودته إلى الشمال بغنائه، هاجمته يوم الثامن يونيو 1913 دورية من حرس الجمالة فقتلت منه أربعة رجال وأخذت منه ستة بنادق وأجبرته على التخلي عن ستين ومائتين من الإبل وإثني عشر عبدا. ونجا اللصوص من التدمير بفضل الطبيعة الجبلية للمنطقة.

¹ بلام مغلفة. (المترجم).

² لعله يقصد أزواد كدامه في منطقة الباطن بين ولاته وتيشيت. (المترجم).

³ لم أجد نكرا لهذا الحدث عند مجموعة مسومة في الحوض، أما الذي نعرفه وأدركنا أهلنا يحكونه فهو أن غزيا من ارفقيات قدم منطقة الحوظ في إحدى تلك السنين ومر بجى أهل بيه ففزع الناس واجتمعوا حول خيمة شيخنا الشيخ محمد محمود ولد بيه رحمه الله (ت:1918) ولانوا بها والشيخ يقرأ في مصحفه فجاء زعماء الغزي فلم يقطع قراءته ولا قام من مكانه فعجبوا لسكينته ووقاره وطلبوا صالح دعائه بالنصر على الكفار ومن والاهم وانصرفوا لم يرزوا أحدا شيئا. وأثناء مسيرهم أخذ واحد منهم جارية لأهل آمِيَّيز من تلاميذ الشيخ كانت تحتطب ولما علم بها رؤسأوه ليلا ردوها وأعطوها قطعة من القماش "بيصة من الخنط" فعادت إلى أهلها بعد يوم سالمة غائمة. (المترجم).

- في نهاية يونيو، نجح هؤلاء النهابون أنفسهم، مرة أخرى، في اكتساح بعض إبل
أَشْرَاتِيَتْ وَتَاكَطْ ثم قرروا العودة إلى الشمال بسرعة. وبعد أن قطعت هذه المجموعة
أم العيون، انقسمت قسمين تمكن جمالة آذَرَارْ من إدراكهما كلا على حده. أُذْرِك
القسم الأول يوم 27 يونيو فخسر ستة رجال وست بنادق وتسعا وخمسين من الإبل
وأربعة عبيد.

أما الثاني فأُذْرِك، بعد مطاردة على امتداد ستين ومائتي كيلومتر، وخسر عشرة قتلى
وخمس عشرة بندقية وكل ركائبه وغنائمه أي أكثر من مائتين من الإبل. أُجبر الناجون
على الهرب راجلين فتكبدوا خسائر أخرى بسبب الجوع والعطش. لم يخسر سوى
قتيلين وعشرة جرحى.

تظهر هذه الانتصارات الرائعة يقظة وحيوية جمالتنا وتثبت جودة التنظيم الذي تم القيام
به. أوحى هذه الانتصارات بالإضافة إلى المفاوضات التي شُرع فيها مع منسقي
الشمال، بالثقة لدى القبائل التي نحكمها وكانت الضمان الأمثل لطاعتها.
في هذا الجو من القوة والأمان، تناهت إلى البلاد الأنباء الأولى عن الحرب الأوروبية¹.

¹ أي الحرب العالمية الأولى التي استمرت من سنة 1914 حتى سنة 1918. (المترجم).

القسم الثالث عشر

موريتانيا أثناء الحرب (1914-1918) - وصل موريتانيا والجنوب

الجزائري¹ (استطلاع Augieras - Lauzanne: 1919-1920)

أولاً: موريتانيا أثناء الحرب (1914-1918):

ما إن بدأت الحرب حتى توالى على الإدارة الفرنسية رسائل التأييد والطاعة من الزعماء المهمين والمشايخ² الأكثر تأثيراً. وطوال كل فترة الصراع، لم يتناقض موقف مَحْمِيَّنا، رغم الدعاية العنيفة الموجهة من أقصى جنوب المغرب ومن وَاذْ أَذْهَبَ.

قدمت موريتانيا بين سنتي 1915 و 1918 ألفين ومائة وأربعين مجنّداً من العرق الأسود³ أي حوالي 5% من العدد الإجمالي منهم⁴ كما وفر السودان غالبية المتطوعين في فصيل جمالة تَيْشِيَّتْ. أما البيضان، فقد قدموا حرس جمالة الفصائل الترابية Pelotons du territoire. وقُدِّمَ [من طرف الموريتانيين] للدفاع الوطني⁵:

¹ الحقيقة أن الاتصال الذي تم بين الوحدات الفرنسية في البلدين كان خطوة أخرى لفصل أجزاء اتراب البيضان بعضها عن بعض. (المترجم).

² هذا صحيح إلى حد كبير فلدينا نماذج من تلك الرسائل نثرا وشعرا تستدعي من الذاكرة افتتاحان بعض مشايخ مصر بضباط بونابارت رغم اختلاف الموضوعين. وإن كان ما سنلحقه يتعلق بأيام الحرب الثانية فإن قياس ما كتب في الحرب الأولى عليه، جائز. ينظر الملحق 7 مثلاً (المترجم).

³ في الأصل: ...recrues de race noire. (المترجم).

⁴ يكون بذلك عدد السكان السودان آنذاك حوالي 42960 نسمة. (المترجم).

⁵ وقدموا "مساهماتهم للدفاع الوطني" خلال الحرب الثانية. ولم يكن ذلك بطبيب نفس بل تلبية لطلب من الإدارة الفرنسية لا يمكن رده. وزادت هذه الغرامات البلاد والعباد إنهاكا خلال سنين صعبة من الحروب والمغارم والجفاف. انظر: journal de l'A. O. F. Juillet 1940. ص: 807 - 814. (المترجم).

- 3.400 طن من الدخن.
- 112 طن من ¹Gousses de gonakies .
- 5.600 ثورا أرسلت إلى مصنع التبريد في لينديان².
- 75.000 فرنك إلى مؤسسات الإعانة.

ثانيا: وصل موريتانيا والجنوب الجزائري:

طلت حالة موريتانيا السياسية بين سنتي 1919 و 1920 من أكثر الحالات إرضاء، سواء في آذرار أو باقي المناطق. فالزعماء والأعيان والسكان خاضعون وموالون لنفوذنا³. والضرائب تُجبي دون صعوبة. أما التجارة فتتسع وتصبح باطراد أكثر نشاطا بين الجنوب والشمال.

بدا أن كدية الجبل الواقعة على تخوم آذرار والتي تتعاضد أهميتها كل يوم كملتقى للقوافل، ستكون المقرّ المقبل للمقاطعة التي ستقام في آذرار. ظلت حدود هذه الدائرة، التي يراقبها جهالتنا، مهابة طوال هذ الفترة. لم يأت أي غزي لإزعاج السكان الواقعين تحت حمايتنا ولا قوافل التموين المتقلة بين مراكز الجنوب ومراكز الشمال وبين هذه الأخيرة وبين المخازن المتقدمة لأغذية الفصائل الجمالة.

¹ لم نجد الاسم العربي أو المحلي لهذا المنتج الغذائي. (المترجم).

² في السنغال. (المترجم).

³ لعل الأسباب الأقوى كانت توالي الجفاف والأوبئة فسنة 1917 هي سنة "المغواس" أي وباء الحمى الصفراء وسنة 1920 هي سنة "لعمايه الحمره" أو "لغميم لحر" لا تقطاع المطر وجذب الأرض وكثرة العواصف الرملية (المترجم).

ظلت بعض بطون القبائل المجاورة من أَرْقِيَّاتٍ والشيخ ماء العَيْنين¹ وأولاد أَذْلِيمٍ وَأَسْوَأَعْدَ² وَأَهْلُ السَّاحِلِ³ تضم بعض المجموعات المنشقة عنا. ولكن زعماء هذه القبائل المهمين وخصوصا وَلَدُ الْخَلِيلِ والطَّالِبُ أَخْيَارُ الْمَسَانِدَيْنِ لقضيتنا والتمسكين بها ساعدونا على معاقبة المنشقين المفسدين وعلى إقناع المترددين بالانضمام إلينا. لا يمكننا أن نهي هذه الدراسة عن تاريخ موريتانيا دون تناول حدث يلخص وحده التقدم المحقق في الصحراء الغربية، سواء من الناحية السياسية أو من النواحي الجغرافية والعسكرية: إنه تحقيق الاتصال بين موريتانيا والجنوب الجزائري عبر المنطقة الصحراوية الممتدة بين هاتين المستعمرتين على طول ثمانمائة كيلومتر.

كانت اللبنة الأولى لهذا الاتصال، قد وضعها الاستطلاع السياسي والجغرافي الذي قام به الملازم الأول Bernard قائد الفصيل الثاني من جمالة آذْرَارْ، سنة 1919.

لقد ذهب يوم 27 نوفمبر وعاد يوم 17 دجبر إلى الخطيرة بعد أن استطلع آبار بئر أَزْرِيَّوَاتِ⁴ على بعد خمسة وأربعين ومائتي كيلومتر من الغَلَاوِيَّة. في سنة 1920، تم وصل موريتانيا والجزائر بواسطة قوتي استطلاع ذهبتا في آن واحد من آذْرَارْ والصَّاوره، الأولى تحت قيادة الرائد Lauzanne والثانية تحت

¹ هكذا. وتحتها خط أحمر غير مطبوع وتقابلها علامة استفهام إما من المؤلف نفسه أثناء مراجعة عمله أو من قارئ تفطن إلى أن الشيخ ماء العَيْنين رحمه الله ليس قبيلة. (المترجم).

² الواقع أن هؤلاء بطن من ارقبيات. (المترجم).

³ هكذا في النص وربما خلط أو أراد باقي قبائل أهل الساحل أي الشمال الموريتاني والصحراء الغربية بحدودهما الراهنة. (المترجم).

⁴ هكذا. (المترجم) (المترجم).

قيادة النقيب Augieras. وكانت لهذه المهمة أهداف سياسية وجغرافية وعسكرية معاً. وقد أرادت:

1. حماية بعيدة المدى لأزكاي [قافلة] تاوذي.
2. استطلاع منطقة الحنك وآبارها.
3. أن تظهر للعناصر المنشقة من أرقيبات أن أحياءها ليست مستعصية على الغزو.

وكانت أهمية هذا الاستطلاع قد لفتت في السنة السالفة انتباه والي الجزائر وأفريقيا الغربية الفرنسية العامين فاتفقا بعد مشاورات بينهما أن تقوم القوات المحمولة الجزائرية والموريتانية بتنفيذ هذه المهمة الأمنية عبر الصحراء وحددا بئر لمزرب في الحنك، نقطة لالتقاءها يوم 23 دجبر 1920.

وقد لفت التقرير الذي وضعه النقيب أوغيرا، حول الوسائل والأساليب الملائمة لتنفيذ هذه المهمة، نظر هذه القيادات العليا، بشكل خاص، واعتمدت في النهاية الخلاصات التي توصل إليها.

ولأن قوة الاستطلاع الموريتانية المكلفة بهذه المهمة تكونت من عناصر الفصيل الثاني من جمالة آذرار، فقد أقيم، منذ بداية نوفمبر، ترتيب المراقبة الآتي في المنطقة:

1. الأنصار من أولاد أدثيم في القاطع الغربي.
2. فصيل الجمالة الأول في القاطع الشمالي الغربي.
3. فصيل أترارزه، الذي أبدل في الغرب بأولاد أدثيم، في القاطع الشمالي الشرقي.

4. قبائل اظهر¹ في القاطع الشرقي.

نُفذ مخطط الاتصال بدقة بعد أن أُعدَّ سياسيا وعسكريا من طرف السيد Rivert والمقدم Gaden مفوض الحكومة العسكرية في موريتانيا والرائد لوزان حاكم دائرة آذرار.

تحركت مفرزة آذرار الاستطلاعية من الغلاويّة، قاعدة انطلاقها، يوم 05 دجبر 1920، حاملة أقواتا تكفي أربعين يوما. وتشكلت كما يلي:

- الرائد لوزان قائد المفرزة.

- الملازم الأول Thoine قائد فصيل الجمالة الثاني.

- الرقيان Pierson و Badaut .

- رقيان سنغاليان.

- خمسة عرفاء سينغاليون.

- خمسون رام سينغالي.

- خمسة وعشرون من الحرس الجمالة.

- ثلاثون متعاوننا.

أي ما مجموعه خمسة وثمانون بندقية².

مرت القوة، تباعا على بئر أزريّة-بئر عمّران-أغفيلة التّبكه-لمعيطي-تاكوجالت-لميلحان. ووصلت دون حادث إلى آبار لمثررب يوم 23 دجبر 1920 حيث انضم إليها في اليوم الموالي النقيب أوغيرا بقوة تكاد توازيها حجما.

¹ أي اظهر آذرار. (المترجم).

² لكن مجموع من ذكرهم تسعة وثمانون إلا أن يكون استثنى الأوروبيين الأربعة عمدا. (المترجم).

اجتمعت المفززتان عند لَمَزْرَبْ ثم غادرتاه يوم 26 دجبر إلى أَعْيُونْ عبد المالك، و هي نقطة مياه دائمة التي كان من اللازم أن يجري استطلاعها من طرف جمالة موريتانيا وجمالة الجزائر معا وهو تصرف مهم حيال منشقي لَقْوَاسَمْ.

وقعت حادثة مؤلة أثناء هذه العملية. لقد أرسل الرائد لوزان دورية من رقيب حرس وخمسة من الحرس ودليل لاستقبال النقيب أوغيرا وأثناء سيرها فاجأت هذه الدورية قطيعين من الإبل كان بعض النهاين قد اكتسحوها من الحوظ فأعادتهما إلى المعسكر.

ولكن هذه الدورية أرسلت في اليوم التالي على آثار قطيع ثالث، ولم تظهر بعد ذلك. وقد علمنا لاحقا أن الحرس أبيدوا جميعا بينما انضم دليلهم النوشه¹ إلى المنشقين.

قفل الجزائريون إلى الشمال يوم 30 دجبر وولى الموريتانيون إلى الجنوب يرافقهم النقيب أوغيرا ووصلوا إلى أطارْ عبر شمال مَقْطِيرْ مستطلعين الخط وجوانبه ومارين تباعا باغيون عبد المالك واعْتَمِلَ لَمَيْلَحْهْ وَلَمَحِيْزَمْ وآوْشِيْشْ وَبِرْ الطالب.

رجع النقيب أوغيرا إلى الجزائر، عبر أَلْدَرْ، لتقديم تقريره عن المهمة.

حفل هذا الاستطلاع بالنتائج وأنجز التالي:

- دفع كثيرا من الأحياء إلى الدخول في طاعتنا.
- أظهر لَارْقِيَّاتْ أن مضاربهم ليست بمنجى من قواتنا.
- مكن من استرجاع قطعان سُلِبَت من منطقة الحوظ.²

¹ هكذا في الأصل ولعله اسم الدليل. (المترجم).

² ماذا كان المستعمر يفعل بالإبل التي يسترجعها؟ هل حقا يعيدها إلى أهلها؟ (المترجم).

- درب جهالتنا وعزز ثقتهم في أنفسهم بإيصالهم إلى المياه التي ينطلق منها العدو.

- مكن من معرفة ورسم خريطة مناطق واسعة لم تكن قد اكتشفت قبل.
إن هذه النتائج الممتازة تشرف أولئك الذين أعدوا تلك المهمة وأولئك الذين نفذوها.

وهكذا بدأت سنة 1920 بداية سعيدة، تبشر بأن موريتانيا التي أصبحت إحدى مستعمرات إفريقيا الغربية الفرنسية منذ فاتح يناير 1920، ستمضي قدما في طريق النمو والازدهار، بفضل جو السلم والاستقرار الذي هيأه القادة والإداريون الذين تولوا المهمة النبيلة لإعداد والترسيخ التنظيم الراهن للبلاد.

الملاحق

الصفحة الاولى من الوثيقة

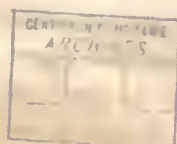
La plupart des braves gens, possédant des
d'origine arabe et bon nombre d'entre elles se do-
nent pour leur ancêtre le courage de l'oppression, mais
r. la réalité présente les choses tout différemment.

الملحق 2:

الصفحة الأخيرة من الوثيقة.

Ces brillants résultats font honneur et à ceux qui ont préparé la mission et à ceux qui l'ont exécutée.

L'année 1929 s'écoule ainsi sous d'heureux auspices et l'on peut prévoir que la Grande-Bretagne qui est devenue Colonie de l'Afrique Occidentale le sera dans le futur. L'année 1929, verbalement l'avenir sera meilleur et se développera toujours davantage grâce à l'absence de paix et à la coopération de tous les habitants de l'Occident et de l'Orient qui ont eu la glorieuse mission de préparer et d'exécuter leur organisation mondiale.



رسالة إخبارية إلى الفرنسيين الملحق 3 الأصل.

Ar. rom de U1-L &C.....

De la part de
intime et sincère de l'Amal de tant Capdelec après tant
vivre et d'ouïe en sa vie.

Calculations: $\frac{1}{2} \times 100 = 50$ ac.....ac.....

Je t'embrasse d'un bon baiser et t'embrasse l'...

[illegible]

2. Le 1er et 2e articles pour les ...

C'est à la St Eouri (coll. re) i n 12, 70
le Nord avec les bords d' l et ret mu r l'airar il

1912-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-98-99-100-101-102-103-104-105-106-107-108-109-110-111-112-113-114-115-116-117-118-119-120-121-122-123-124-125-126-127-128-129-130-131-132-133-134-135-136-137-138-139-140-141-142-143-144-145-146-147-148-149-150-151-152-153-154-155-156-157-158-159-160-161-162-163-164-165-166-167-168-169-170-171-172-173-174-175-176-177-178-179-180-181-182-183-184-185-186-187-188-189-190-191-192-193-194-195-196-197-198-199-200-201-202-203-204-205-206-207-208-209-210-211-212-213-214-215-216-217-218-219-220-221-222-223-224-225-226-227-228-229-230-231-232-233-234-235-236-237-238-239-240-241-242-243-244-245-246-247-248-249-250-251-252-253-254-255-256-257-258-259-260-261-262-263-264-265-266-267-268-269-270-271-272-273-274-275-276-277-278-279-280-281-282-283-284-285-286-287-288-289-290-291-292-293-294-295-296-297-298-299-300-301-302-303-304-305-306-307-308-309-310-311-312-313-314-315-316-317-318-319-320-321-322-323-324-325-326-327-328-329-330-331-332-333-334-335-336-337-338-339-340-341-342-343-344-345-346-347-348-349-350-351-352-353-354-355-356-357-358-359-360-361-362-363-364-365-366-367-368-369-370-371-372-373-374-375-376-377-378-379-380-381-382-383-384-385-386-387-388-389-390-391-392-393-394-395-396-397-398-399-400-401-402-403-404-405-406-407-408-409-410-411-412-413-414-415-416-417-418-419-420-421-422-423-424-425-426-427-428-429-430-431-432-433-434-435-436-437-438-439-440-441-442-443-444-445-446-447-448-449-450-451-452-453-454-455-456-457-458-459-460-461-462-463-464-465-466-467-468-469-470-471-472-473-474-475-476-477-478-479-480-481-482-483-484-485-486-487-488-489-490-491-492-493-494-495-496-497-498-499-500-501-502-503-504-505-506-507-508-509-510-511-512-513-514-515-516-517-518-519-520-521-522-523-524-525-526-527-528-529-530-531-532-533-534-535-536-537-538-539-540-541-542-543-544-545-546-547-548-549-550-551-552-553-554-555-556-557-558-559-560-561-562-563-564-565-566-567-568-569-570-571-572-573-574-575-576-577-578-579-580-581-582-583-584-585-586-587-588-589-590-591-592-593-594-595-596-597-598-599-600-601-602-603-604-605-606-607-608-609-610-611-612-613-614-615-616-617-618-619-620-621-622-623-624-625-626-627-628-629-630-631-632-633-634-635-636-637-638-639-640-641-642-643-644-645-646-647-648-649-650-651-652-653-654-655-656-657-658-659-660-661-662-663-664-665-666-667-668-669-670-671-672-673-674-675-676-677-678-679-680-681-682-683-684-685-686-687-688-689-690-691-692-693-694-695-696-697-698-699-700-701-702-703-704-705-706-707-708-709-710-711-712-713-714-715-716-717-718-719-720-721-722-723-724-725-726-727-728-729-730-731-732-733-734-735-736-737-738-739-740-741-742-743-744-745-746-747-748-749-750-751-752-753-754-755-756-757-758-759-760-761-762-763-764-765-766-767-768-769-770-771-772-773-774-775-776-777-778-779-780-781-782-783-784-785-786-787-788-789-790-791-792-793-794-795-796-797-798-799-800-801-802-803-804-805-806-807-808-809-810-811-812-813-814-815-816-817-818-819-820-821-822-823-824-825-826-827-828-829-830-831-832-833-834-835-836-837-838-839-840-841-842-843-844-845-846-847-848-849-850-851-852-853-854-855-856-857-858-859-860-861-862-863-864-865-866-867-868-869-870-871-872-873-874-875-876-877-878-879-880-881-882-883-884-885-886-887-888-889-890-891-892-893-894-895-896-897-898-899-900-901-902-903-904-905-906-907-908-909-910-911-912-913-914-915-916-917-918-919-920-921-922-923-924-925-926-927-928-929-930-931-932-933-934-935-936-937-938-939-940-941-942-943-944-945-946-947-948-949-950-951-952-953-954-955-956-957-958-959-960-961-962-963-964-965-966-967-968-969-970-971-972-973-974-975-976-977-978-979-980-981-982-983-984-985-986-987-988-989-990-991-992-993-994-995-996-997-998-999-1000-1001-1002-1003-1004-1005-1006-1007-1008-1009-1010-1011-1012-1013-1014-1015-1016-1017-1018-1019-1020-1021-1022-1023-1024-1025-1026-1027-1028-1029-1030-1031-1032-1033-1034-1035-1036-1037-1038-1039-1040-1041-1042-1043-1044-104

[illegible]

... et les autres...
... les autres...
... les autres...

Id est, lae nati. Solo et. P. H.

effervescence et la discordance existe entre les utilités.

'il y avait... il n'y en avait pas
non plus, et c'est ce qui s'est passé au Maroc, où l'activité
n'a été le résultat de la violence.

3 142 !

La 22 Dec. 1925

Saint-Louis le 18 août 1967

I.T.C.
L'Interferte principale

Sign: ou : YC : 3

33

3 217. Chef du Bureau politique.

رسالة مطبوعة عن الأصل المرفق الملحق 3

Au Nom de Dieu &c&c

De la part deà l'ami intime et sincère le
Colonel Montané Capdebosc Représentant du
Gouvernement française au pays Maure.

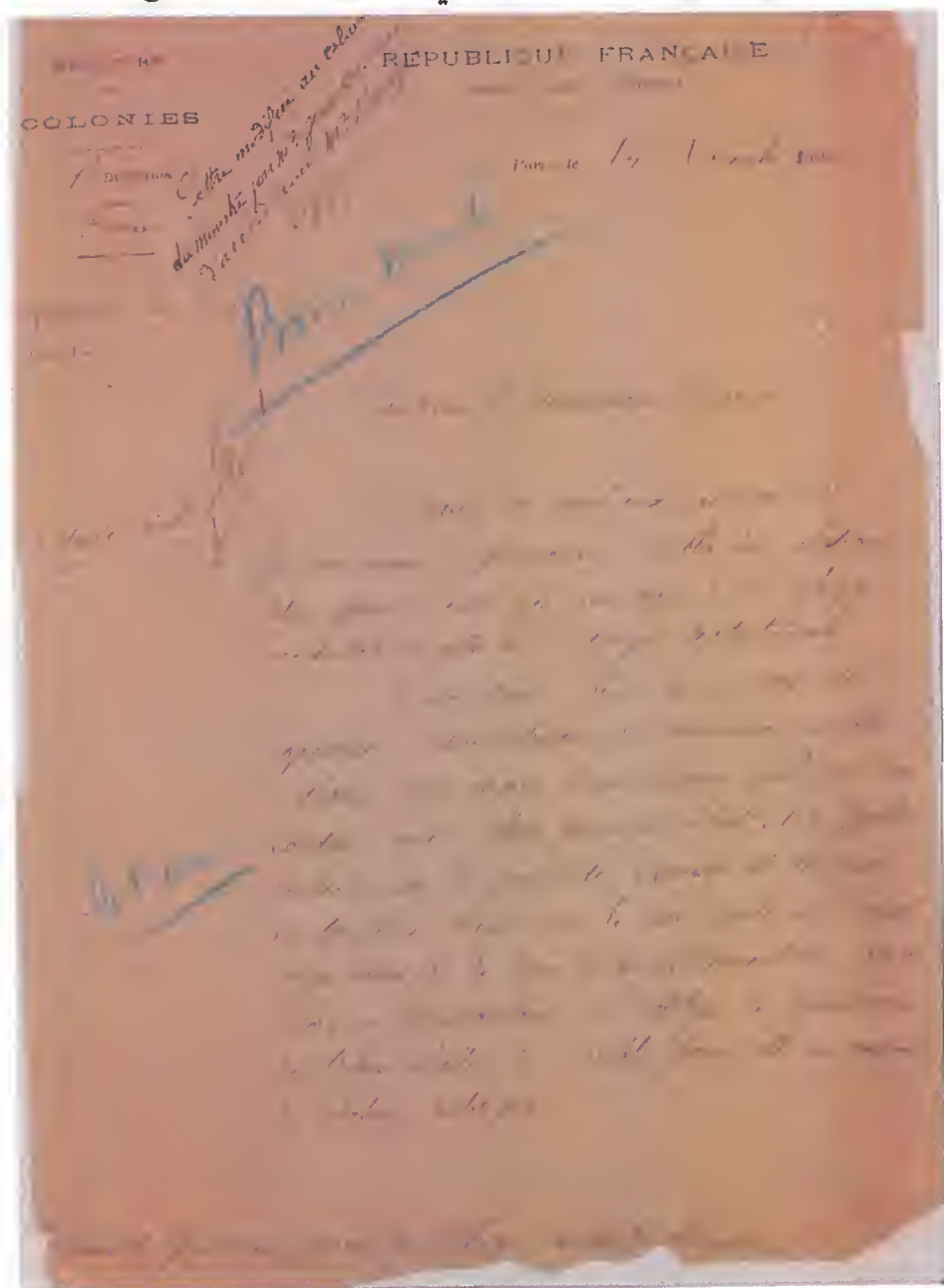
Salutations douces et parfumées &c ...

Je t'apprends qu'un homme digne de fois est
arrive de l'Adrar et donne les renseignements
suivants ;

Ould Aida (Emir de l'Adrar), Etsman, Chef des
Edouaich Abakak) Mokhtar ould Ahmed (Chef des
Edouaich Chratit), Mohamed El Mokhtar ould
Hamid (Chef des Kounta) Benn Sidi El Mokhtar
ben Mouhammed Mahmoud Ben Abdallahi (Chef
des Ehel Sidi Mahmoud) Ben Benahi(.....)
Mahmoud) Ahmedou (ancien Emir du Brakna) Sidi
ould Mouhammed Vall (ancien Emir du Trarza)
ainsi que les autres notables et chefs marabouts
n'ont pas obtenu de Cheikh Ma-El-Ainin ce qu'ils
désiraient.

Ce marabout est parti avec eux pour les conduire
auprès du Sultan Abdul Aziz.

الملحق 5 قرار تكليف كوبولاني باحتلال موريتانيا. ص 1.



الملحق 5 قرار تكليف كوبولاني باحتلال موريتانيا. ص 2.



الملحق 6

كشف بالغارات والمعارك التي حدثت بين الفرنسيين والمقاومة وأوقعت خسائر بين 07 يونيو 1903 ونهاية 1920 كما وردت في الوثيقة.

التاريخ	المكان	الجهة المهاجمة	القائد الموريتاني	القائد الفرنسي	خسائر الموريتانيين	خسائر الفرنسيين
07 يونيو 1903.	بين اخروكة وسهوه السا	البيضان	غير معروف	مجهول	مجهول	مجهول
22 يوليو	قرب سهوه السا	الفرنسيون	غ م	م.أ. Aubert	18 شهيدا	جرحي: -رقيب درك أوروبي. -خسة من الخيالة. -قتيلين من جمالة. -جريح من الرماة.
ليلة 08 ديسمبر	اكو بينات	البيضان	الأمير احملا ولد سيد اعل	Coppola ni	بعض الشهداء	
18 ديسمبر	مخيم احملا	الفرنسيون	الأمير احملا	اللقب Chauveau	لم تذكر	لم تذكر
28 ديسمبر	مال	الفرنسيون	غ م	اللقب Chauveau	لم تذكر	لم تذكر
17 فبراير 1904	ميت	البيضان	غ م	اللقب Galland	33 إلى أكثر من 50 شهيد	لم تذكر
25 يناير 1905	حسان يوهما	البيضان	غ م	غ م	لم يذكر	قتيل واحد من الرماة.
26 يناير	تيورورت	البيضان	غ م	م.أ. Mouhney	غ م	غ م
28 يناير	30 كلم من نوكتشوط	البيضان	غ م	غ م	غ م	قتل وجرح: -عريفين -سبعة جنود.
يوم ؟ فبراير	لم اكنيله	المتعاونون	غ م	غ م	غ م	حوالي 150 قتيل.
أواخر فبراير	درگل	البيضان	غ م	المؤوض Lestre de Rey	لم يذكر	قتل 08 جمالة. -جرح المؤوض.
10 مارس	تن شيبه	الفرنسيون	غ م	اللقب Frerejeam	لم تذكر	لم تذكر
الثلاث الثاني من مارس	كومل	الفرنسيون	غ م	اللقب Chauveau Payn u	لم تذكر	لا خسائر
16 مارس	سهوه السا	الفرنسيون	غ م	اللقب Duhalde	لم تذكر	-مقتل ثلاثة رماة. -جرح رقيب إفريقي و رما.
غرة إبريل	بوكانوم	الفرنسيون	الأمير بكار	اللقب Frerejeam	استشهاده الأمير وآخرين لم يحدد عددهم	لم يذكر
12 مايو	تججه	البيضان	سيدي ولد مولاي الزين	Coppola ni	استشهد سيدي و	05- قتل منهم Coppolan -10 جرحي.
03 يونيو	نشاريم	البيضان	لم يذكر	م.أ. de La Vauguyon	لم يذكر	تاه 04 خلال الموقعة هاتوا عطشا.
05 يونيو	تججه	البيضان	لم يذكر	لم يذكر	لم يذكر	لم يذكر
18 يوليو	تججه	البيضان	لم يذكر	م.أ. de La Vauguyon	09 - 10 شهداء. جرحي.	-قتيل واحد من جمالة البيضان. -جريحان من الرماة.
25 أكتوبر 1906	النمسلان	لصحب البيضان كميناً لقوة الإستطلاع الفرنسية. ثم أجهز المتعاونون على	الشريف مولاي الدريس في مرحلة الكمين ثم المختار ولد حامد في المرحلة الثانية.	م.أ. De Franssu م.أ. Andrieux	أكثر من مائة شهيد وجريح.	19- قتل منهم 04 أوروبيين. -25 جريح.

				بقيتها بعد السحابها.		
10 نوفمبر	اعكيلة النعجه	الفرنسيون	غ م	أ.م Berger	13- شهيدا. 27- جريحا.	قتيلان. 04- جرحي.
06 - 30 نوفمبر	تجكجه	البيضان	مولاي الدريس	التيقب Tissot	69- شهيدا. 76- جريحا.	غير مذكور.
النصف الثاني من فبراير 1907	أغويوت	مطاردة فرنسية لمهاجرين.	غ م	أ.م Schmitt	07 شهداء.	غير مذكور.
نفس الفترة	كندالك	الفرنسيون	غ م	أ.م Gouspy	ثلاثة شهداء	غير مذكور.
26 فبراير	سرك	الفرنسيون	اولد عساس	Corrad de Essarts	31 شهيدا منهم الأمير ولد عساس	جريحان رقيب وفارس.
مارس	أحوال سهوة الما	مطاردة فرنسية لمهاجرين.	غ م	الرقيب Lababd	شهيدان. -- ثلاثة أسرى.	غير مذكور.
أبريل	أحوال بتلين	مطاردة	غ م	أ.م Schmitt	غير مذكور.	غير مذكور.
غير محدد	اتوزيكت	مطاردة	غ م	أ.م Schmitt أ.م Gouspy	شهيدان	غير مذكور.
03 يوليو	أحوال تصاميت	قتال تصامي	غ م	أ.م Labonne	ثمانية شهداء	غير مذكور.
04 يوليو	آبار بوططارة	الفرنسيون	غ م	أ.م Labonne	مئة عشر شهيدا.	قتيل من الرماة. - جريحان.
غرة سبتمبر	أنهي أم ابحر	الفرنسيون	غ م	أ.م Schmitt	شهيد واحد.	لم تذكر.
21 سبتمبر	آبار تن باب.	قتال تصامي	غ م	رقيب الحرس الجيلالي	لم تذكر.	لم تذكر.
غ م	غ م	الكاتبون للفرنسيين	غ م	غ م	05 شهداء.	لم تذكر.
غ م	غ م	الكاتبون	غ م	غ م	30 شهيدا.	لم تذكر.
19 يناير 1908	أم لمونكات	قتال تصامي	غ م	أ.م Schmitt	04 شهداء	لم تذكر.
09 و 10 فبراير	اللبه وأيرت	الفرنسيون	غ م	التيقب Repoux	شهيدان	لم تذكر.
أوائل مارس	اكرارة لفرص	الفرنسيون	غ م	التيقب Repoux	10 شهداء	لم تذكر.
16 مارس	أعكيلة الركيه	البيضان	الأمير سيد احمد والأمير سيد ولد محمد كال.	التيقب Repoux	12 شهيدا	ق: القتيب وراميان. ج: Schmitt ولفر
05 أبريل	آبار نمان	البيضان	غ م	غ م	لم تذكر	- القتلى: رقيبان أوروبيان و 15 منفاليا.
02 مايو	لجوجت (مبيفير ة)	البيضان	لم يذكر	لم يذكر	لم تذكر	لم تذكر
21 مايو	مخبرات تمادي	البيضان	لم يذكر	أ.م Aubert	15 شهيدا.	ق: 03 رماة. ج: رقيب أوروبي و 03 رماة و 03 جسالة.
04 يونيو	المزلات	البيضان	الحمد ولد الديد	لم يذكر	لم يذكر	قتلى: رقيب وحرسيان
13 يونيو	لميان	البيضان	لم يذكر	التيقب Mangin	غ م	- القتلى: 29 منهم القتيب Mangin والرقيب Megnin - أسير واحد.
14 يونيو	تالمست	البيضان	لم يذكر	Dr Amiet	30 شهيدا	12 قتيل (جمالة و رماة + امرأة). 11 جريحا.
22 يوليو	الو النيو	البيضان	لم يذكر	أ.م Berthom	جريح واحد	لم تذكر.

		e				
24 يوليو-01 أغسطس 1908	بين ولد لحطب و برجيمات	البيضان	لم ينكر	اللقب Berger	06 شهداء.	28 قتيلا ومفقودا.
10 أغسطس	واند لزرقة	مطاردة فرنسية	لم ينكر	اللقب Bontemps	05 شهداء.	لم تذكر
15 أغسطس	الرشيد	الفرنسيون	لم ينكر	اللقب Bontemps	لم تذكر	ق: 01 رام. ج: 2 شخص + 06 رم
19 سبتمبر	برجيمات- فويزكت	البيضان	غ م	اللقب Frerejean	07 شهداء	لم تذكر.
15 أكتوبر	لنقار	البيضان	لم ينكر	اللقب الرقيب Allard	13 شهداء.	ق: الرقيب Allard و 04 رماة. ج: 04 رماة.
16-24 أكتوبر 1908	بير البركة- شكار وشمال تلك المنطقة.	مطاردة فرنسية	لم ينكر	م. 1 Solere	لم يحدث اشتباك	33 قتيلا بينهم مساعد.
26 نوفمبر	لنقار	البيضان	لم ينكر	لم ينكر	لم ينكر	قتلى: 07 عال. جرحى: ميرالبا المصال.
28 نوفمبر 1908	لغويشوي	مطاردة فرنسية	احمد ولد الدين	م. 1 Reboul	لم تذكر	ق: 22 + Reboul
25 ديسمبر	شمط	البيضان	غ م	رقيب الدرك الجيلاي	لم تذكر	13 قتيلا. 05 جرحى.
26 ديسمبر	تيجار	البيضان	غ م	الرقل	لم تذكر	ق: 06 + عريف. القتلى: 04.
28 ديسمبر	الرويكة	الفرنسيون	غ م	م. 1 Girard	لم تذكر	الجرحى: 10.
30 ديسمبر 1908 - 01 يناير 1909	حمدون	البيضان	غ م	اللقب Bablon	أكثر من 50 شهداء.	ق: - مساعد Vix -رق Moricard. -رق. غريفي. -عريف + 03 رماة ج: -ق. Bablon. -م. couteau. -م. 1 Gouspy -رق. درك من الخيالة + 10 الفارقة.
08 يناير 1909	واد سكايل	البيضان	لم ينكر	الرقل	لم ينكر	-قتل من الرماة. ج: م. 1 Letang
01 ابريل 1909	اللبه	الفرنسيون	الأمير سيد احمد واركيبات	اللقب Dupertuis	لم تذكر	-قتل من الأنصار. -قيد من الرماة.
28 ابريل 1909	أعسمت	البيضان	-الولي ولد المشيخ ماء العيلين. -الأمير مسيد احمد.	اللقب Bablon	12 شهداء.	القتلى: -اللقب Bablon -راميان. الجرحى: - 06 الفارقة.
أواخر مايو	اعقيلة النجدة- قاي	الحر والريح	لا أحد	Frerejean	لا أحد	ق: 11. مفقودون: 31
03 يونيو	المحرية	البيضان	غ م	م. 1 Gouspy	10 شهداء	القتلى: 04. الجرحى: 03
08 يوليو	لجوالي (قرب أوجلت)	الفرنسيون	غ م	السلام الأول Andre	لم تذكر	-قتل من الرماة. - 09 جرحى.
28 يوليو	اكسير الطرشان	الفرنسيون	الولي ولد الشيخ ماء العيلين	اللقب Dupertuis	10 شهداء	القتلى: م. 1 Violet ونصير واحد. الجرحى: 04.
31 يوليو	ولدان	الفرنسيون	غ م	الرائد Claudel	- 03 شهداء. -جريحان.	08 جرحى.

04 أغسطس 1909	المحلة	الفرسبون	غ.م	الرائد Claude	03 شهيداء	لم تذكر.
04 أغسطس 1909	شمال أعاسو	الفرسبون	غ.م	رفيق الدرك Dibbes	09 شهيداء.	لم تذكر.
15 أغسطس	تورين	الفرسبون	الأمير و لرغيبات	الذقيب Dupertuis	40 شهيدا	لم تذكر
فبراير 1910	تازيازت	البيضان	غ.م	أ.م Dufour	غ.م.	لم تذكر.
مارس (*)	توجريت	البيضان	غ.م	محمد ولد اخليل	115 شهيدا.	لم تذكر.
مايو (*)	تتوليين	البيضان	غ.م	محمد ولد الخطار ثم الذقيب Plomion	لم تذكر	قتيل واحد هو احمد ولد الخطار.
13 يونيو	حاسي المرغوب	البيضان	غ.م	Bakari Traore	حوالى عشرة قتلى	القتلى: 05. الجرحي: عريف.
يوليو	تكرت	مطاردة لفرنسية	غ.م	أ.م Bourguignon	شهيدان.	لم تذكر.
مايو 1911	منطقة لمصابه	البيضان	غ.م	أ.م Deamassez	لم تذكر	ق.م. 11+1 ج.ن.ص.ص. 06+1
نوفمبر 1911	الوزيركت	مطاردة فرنسية	غ.م	أ.م Schmitt	04 شهيداء	لم تذكر
نوفمبر	قرب الوزيركت	مطاردة لفرنسية	مطاردة لفرنسية	أ.م berthome	03 شهيداء	لم تذكر
يوليو أو سبتمبر 1911	اغلمريت (بين تكانت والنار)	الفرسبون	غ.م	أ.م Bourguignon	لم تذكر	قتيل واحد -جرحي واحد
أكتوبر	تكانت	مطاردة لفرنسية	غ.م	رفيق الدرك الجزقري Lemori	شهيدان	لم تذكر
يناير 1912	كركد لبيظ	المعاونون	غ.م	غ.م	شهيدان	لم تذكر
12 يناير						
13 يناير 1912	تيشيت	الفرسبون	الأمر سيد احمد	الذقيب Beugnot	11 شهيدا. -أسر الأمير.	قتيل واحد من الأنصار
14 يناير	تظهر تيشيت	مطاردة لفرنسية	غ.م	الرفيق الجزقري أ.ن بن الشيخ	شهيد واحد.	قتيل من الأنصار. -جرحيان من الأنصار.
الأسبوع الرابع من يناير	الحافة الشرقية تكانت شمال ولاة	مطاردة لفرنسية	ولد سيدي لكحل	أ.م Psichari	شهيدان	قتيل واحد من الأنصار
19 و 21 أكتوبر	أرد اجار ثم مجرديان	مطاردة لفرنسية	غ.م	الذقيب Gautellier	04 شهيداء 17+ أسيرا	ج.ن.ص.ص. أوروبي. رفيق إفريقي. 02 من جمالة البيضان.
23 نوفمبر	أرود كدامه	مطاردة لفرنسية	ولد سيدي لكحل	الذقيب Aubert	13 شهيدا. 05 أسرى.	لم تذكر
28 نوفمبر	غ.م	مطاردة لفرنسية	ولد سيدي لكحل	الذقيب Aubert	03 شهيداء.	قتلى 07 من جمالة البيضان -الجرحي: 04 ج.ب.
10 يناير 1913	لبيرات	البيضان		أ.م Martin	غير مذكور	القتلى: م.أ. Martin. -الرفيق Tossier. -رق. درك. Pelatan. -رق. درك. Bain. -50 سنفاليا.

17- جمالا من البيضان الجرهي: كثر.						
18 فبراير	شمال أدرار	المعاونون	غ.م	غ.م	05 شهداء	لم تذكر
09 مارس	لكتيب لخطر	البيضان	احمد ولد حمادي.	م.أ. Berthome	15 شهداء.	-القتلى:-عوثان. -الجرهي:04.
10 مارس 1913	واد التكتليات	البيضان	احمد ولد حمادي	المكرم Mouret	الشهداء: 73 بقوا على المدفن. الجرهي: كثير من الجرهي حملهم المجاهدون وعلم الفرنسيون أن عدد من قضي ملهم متأكرا بجرحه رفع عدد الشهداء إلى 130.	القتلى والمصابون غصابت قلعة أودت بهم بميد لكه: -القتلى Gerhardt. م. Merellioi. -18 رلم. -04 حراس. -05 متعاونين. الجرهي: م.أ. -حن من أوروب. -20 رلم. -15 حرسوا. -04 متعاونين.
أبريل 1913	أدرار والدرزة	البيضان ثم مطاردات فرسية	غ.م	غ.م	57 شهداء.	لم تذكر.
23 مايو	الشمال	المعاونون	غ.م	غ.م	16 شهداء.	لم تذكر.
مايو	الشمي	الفرنسيون	غ.م	غ.م	-06 شهداء. -20 ماتوا عطشا. -06 أصرى.	لم تذكر.
08 يونيو	شمال أوكار	كسبن فرسي	غ.م	غ.م	04 شهداء.	لم تذكر.
27 يونيو	شمال أماليون	مطاردة فرسية	غ.م	غ.م	06 شهداء.	لم تذكر.
أوائل يونيو	شمال أماليون	مطاردة فرسية	غ.م	غ.م	10 شهداء	-كولان. -10 جرهي.
غير محدد	الدرزة	البيضان	غ.م	الأمر ل احمد ولد القيد	12 شهداء + 06 أصرى	لم تذكر.
نهاية يونيو 1913	اعقيلة السادي	المعاونون	اعل ولد مواره	غ.م	10 شهداء.	لم تذكر.
18 سبتمبر 1913	بوتليس	البيضان	اعل ولد مواره	غ.م	لم يذكر	القتلى: 26 من الرماة. الجرهي: 02 من الرماة.
نوفمبر 1913	تغات	المعاونون	غ.م	غ.م	09 شهداء	لم تذكر
23 ديسمبر 1920	لمزرب	الفرنسيون	غ.م	غ.م	غ.م	قريب 06 حرم.
					الشهداء: الجرهي: الفرسية:	القتلى: -صياطة -صياطة صقعة -أروبيون: -أفارقة سولة -معاونون وبيضان: الجرهي: -صياطة -صياطة صقعة -أروبيون: -أفارقة سولة -معاونون وبيضان: معاونون

الملحق 7: ص 1

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا
نبي بعده، وبعد فإن من العلوم ضرورة إلهية للرواية
العلمية سيرة عفوفاً يجب على عامة الناس
أن يحاسبوا فيها وفصلاً بواقعها ولو بترك
أن يحاسبوا أمرها في ذلك لما أتت بها غير متميزة
بلا جزم ولا انتفاءات مما به مغلوب الورقة

والسائر ويحتمل على عناية آخر الدولة العنصرية
يحيى

- حتم على الناس من المالك الحيولة فرماتهم على الرى
- يا بلاء شرهون ويا نبيهم ويا الولى وجوذا ويا الملايين
- بل المالك في جنهم نزلوا نزلوا أمواتهم دأجى اليلاخيه
- ولتبعثوا في السيار عجنه لك فيكم الى الماعز في العجن
- وفقرى الله زعماء في قلوبهم حتم يلبسوا لهم من غير تليسي
- ما البقرا نيس لا يغير بخلاز نعمه ولتغيب بيني الماء واليهي
- هو الشمارك ان الشهي ينقص ما من عمنه شع في دار الارضيه
- فيجب الله الخنوا ما عملوا واحبوا بغرتين يك وتخصي
- ما الضم نعم لا تفوق لصوتهم في ما زوا الشهي هو لك انما هي

الملحق 8 الرد على النازية والدعوة لنصرة فرنسا ص 1.

320

[illegible]

18 مائے

الفصل العام في التاريخ

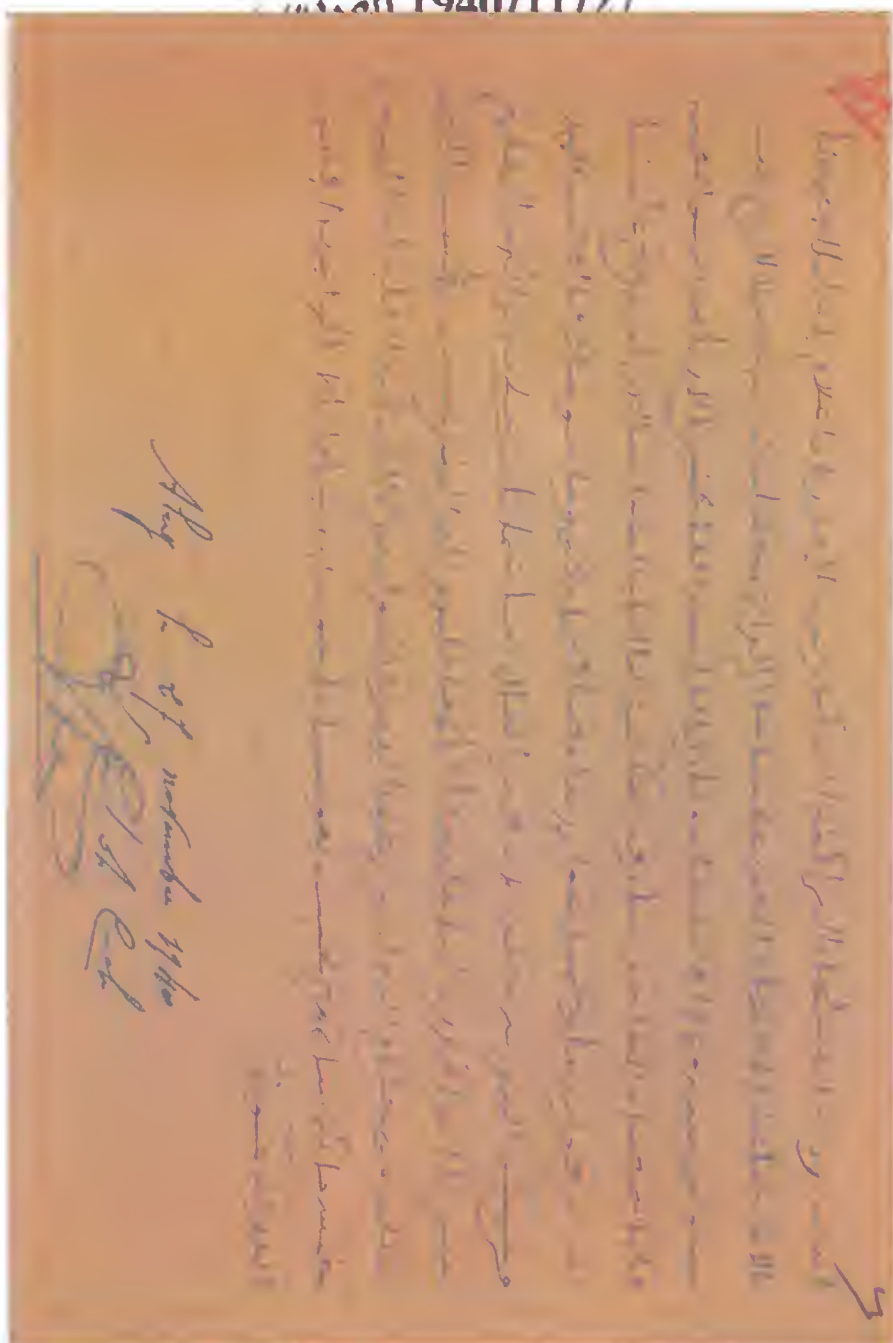
الملحق 9:

نص رسالة تبرع للمجهود الحربي الفرنسي بتاريخ

إنه من رءساء وصلحاء (منطقة كذا) إلى كورنير حاكم مورتان إعلام بأنه لما اجتمعنا ب(كذا) ألقى علينا حاكم الدائرة خطاب كورنير جنرال لأربع بقيت من نونبر سنة 1940 في شأن ما هو نازل بالفرانسة القاطنين بالاربا من ضيق المعيشة فلما سمعنا ذلك أخذتنا رقة عظيمة لما أصاب إخواننا الاورباويين مع علمنا بتقديم فوائدها وقديم عوائدها معنا فيما مضى وما هو حاضر مما أمعنوا فيه من حسن التدبير حتى لا تتغير الحال بنا عما كانت عليه ثم إنه من المعلوم عندنا أنه لا قدرة لنا على مكافاة ما قلدونا من المنن الجسيمة فبسبب ذلك نطلب من حكام الدولة ونرغب إليهم في قبول هذه الصبابة القليلة التي هي خمس مائة شاة مع طيب نفوسنا بما حوته أيدينا وأنا لا نالوا جهدا في عون الدولة عوض.

الملحق 9 صورة رسالة تبرع للمجهود الحربي بتاريخ

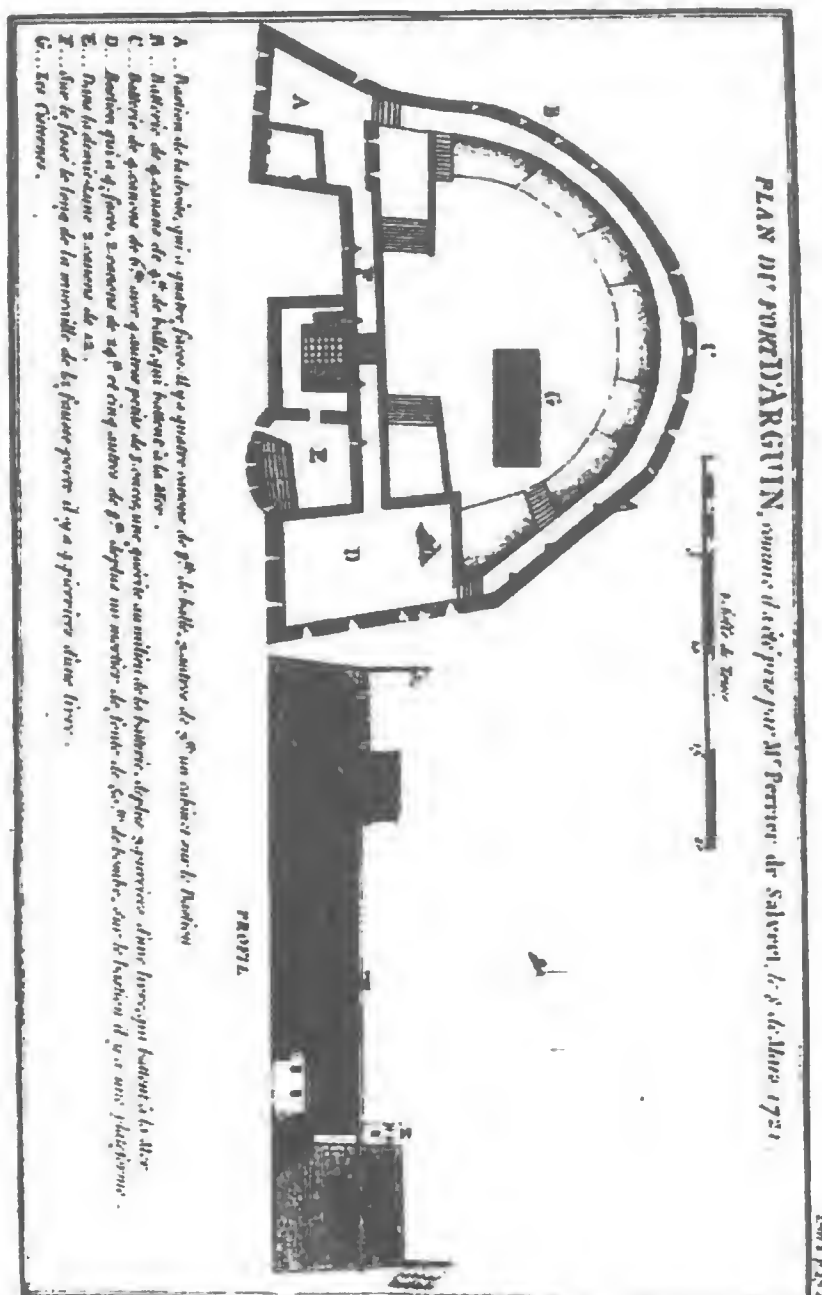
1940/11/27



PLAN du FORT d'ARGUIM
Fris par M.^r Perrier de Salvert le 8 Mars 1721.



آرکین الملحق 10



الملحق 11. نص الرسالة الموجهة من شخصية كبيرة من الحوض الشرقي إلى الوالي الفرنسي في باماكو تعطي أخبار شخصيات أخرى من المنطقة.

بسم الله وصل ربي على النبي وعاله والصحب

17 من سبتمبر 1937 سودان النعم

من الكاتب عفا الله عنه ءامين رئيسإلأى سيادة لقفرنر كلب بمك موجبہ إليك أني وصلني كتابك على يد الحاكم كابنتين النعمى وفرحت به وقرأته وعلى رأسي وضعته تعظيما وإجلالا.

اعلم أن سيد امحمد بن محمد محمود رئيس مشظوف بلغني أنه يصلي ركعتين واحمد رئيس أولاد بل هذا في الحوض. واعلم أني أحبك أن توصي علي الحاكم كابنتين أن يرفق بي ويلطف بي ويوقرني جزاه الله خيرا والسلام.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	9
توطئة	34
القسم الأول: العمليات المنفذة من طرف "وحدات السنغال المختارة" نهاية القرن 17 وبداية القرن 18.	41
القسم الثاني: إعادة احتلال السنغال	45
الصراعات التي خاضها فيد يرب بين سنتي 1854 و1858	45
1. إعادة احتلال السنغال	45
2. احتلال والو	48
طرد البيظان من الضفة اليسرى لنهر السنغال.	48
3. أحداث سنة 1855	49
الحرب ضد أثرارزّه وحلفائهم من لبراكنه:	51
4. أحداث سنة 1856	54
5. أحداث سنة 1857	56
6. أحداث سنة 1858	57
القسم الثالث: الرحلات الدراسية والمهام الاستكشافية في موريتانيا	59
القسم الرابع: احتلال موريتانيا	63
1. احتلال أثرارزّه	65
2. 1903-1904	68
1. احتلال لبراكنه ومال وكوركول	68
2. أثرارزّه خلال سنة 1904	75
3. تنظيم موريتانيا العسكري	77
القسم الخامس : احتلال تڭگانت	79
احتلال تڭگانت ومقتل كوپولاني	79
1. أثرارزّه خلال سنة 1905	88
2. تنظيم موريتانيا في دجمبر 1905	89
القسم السادس	93
1. قدوم الشريف مولاي إدريس	93
2. معركة اليملان	95
3. حصار تڭگتّه	96
4. رتل ميشار Michard	97
5. رتل Arnould واحتلال كيفه	97
6. معركة عقلة التڭغّه (أثرارزّه)	98
القسم السابع : أحداث سنة 1907	99

99	الحالة العامة - التنظيم العسكري والترابي- الأحداث العسكرية.
99	1. الحالة العامة
101	2. التنظيم العسكري والترابي.
102	3. الحوادث العسكرية.
107	القسم الثامن : أحداث سنة 1908
107	أولاً: هجوم التلاميذ وقبائل أدرار والمنشقين في انشيري، اترارزة، وانوانيو
108	1. أم لغويثقات
108	2. اللبث.
109	3. اأرارت لقرصن
109	4. اعقيلة الرقبه
110	5. آبار دمان
110	6. اكجوجت
110	7. امخيزات تمادي
111	8. الهجوم على قافلة بيرجيه
113	9. الهجوم على رتل افيرجان
114	10. مشكلة فصيل Solère
116	11. معركة لكوثيشي
117	12. انوانيو:
117	ثانيا : هجوم اتلاميذ وقبائل أدرار والمنشقين في تكانت.
117	1. معركة المينان
119	2. تالمنت:
120	3. معركة أرزأك والرشيد:
122	ثالثا: هجوم اتلاميذ وقبائل أدرار والمنشقين في لبراكنه.
122	1. اشتباك الغزلات
122	2. لتفتان
123	3. خط التلغراف في لتفتان
125	القسم التاسع : رتل أدرار (1 دجمبر 1908 - 15 نوفمبر 1909)
125	أولاً: رتل أدرار واحتلال أطار
125	1. التكوين (تكوين رتل)
128	2. مراحل نشاط الرتل
129	3. الزحف إلى أطار
129	4. اشتباكات شمت وتيفجار
130	5. الالتقاء مع الرائد افيرجان - معركة أزوينغه
131	6. معارك أماطيل
133	7. اقتحام مضايق حمنون - وصول الرتل إلى أطار
134	ثانيا : فترة الانتظار
134	1. فترة الانتظار (التموين، إعادة إركاب وحدات الجمالة)

136	2. عملية اللبه
138	3. معركة أغسمرت
138	4. معركة المجرية
138	5. قافلة افيرير جان
139	ثالثا : احتلال الواحات والعمليات ضد المنشقين
139	1. اشتباك أجوالي
140	2. تحضير الهجوم (السيطرة على الواحات)
140	3. اشتباك كصر الطرشان
142	4. عمليات الظهر والباطن
142	1. مفرزة اكلوديل
142	2. مفرزة دويبرتوي
143	3. أغماسو
143	4. عملية تورين
144	5. عملية الجل
145	رابعا: تفريق الرتل وتنظيم أدرار
145	1. تفريق الرتل
146	2. تنظيم أدرار
147	خامسا : اترارزة - لبراكنه - كوركول - تكانت 1909
149	القسم العاشر: أحداث سنة 1910 في مناطق الجنوب وأدرار.
149	1. مناطق الجنوب
149	2. أدرار
151	القسم الحادي عشر: سنة 1911 - رتل تيشيت (1911 - 1912) ونهاية التوسع الترابي حوانث سنة 1912.
151	أولا: سنة 1911.
155	ثانيا: رتل تيشيت (1911-1912) وانتهاء التوسع الترابي
163	القسم الثاني عشر: سنة 1913
163	1. مفاجأة لبّيزات
167	2. رتل اصنماره
167	أ. التكوين
169	ب. المسير
169	ج. دخول اصنماره
170	1. معركة واد التگليات
178	2. اعقيلة انمادي
178	3. اشتباك بونكيس
183	القسم الثالث عشر
183	موريتانيا أثناء الحرب (1914- 1918) - وصل موريتانيا والجنوب الجزائري (استطلاع Augieras - Lauzanne 1919-1920)

183	أولا: موريتانيا أثناء الحرب (1914-1918):
184	ثانيا: وصل موريتانيا والجنوب الجزائري:
191	الملاحق
193	الملحق 1 الصفحة الاولى من الوثيقة.
194	الملحق 2 الصفحة الأخيرة من الوثيقة
195	الملحق 3 الأصل رسالة إخبارية إلى الفرنسيين.
197	الملحق 4 رسالة الشيخ محمد المامون إلى أهل أعر دكره ص1.
198	الملحق 4 ص2 (الطلمس)
199	الملحق 5 قرار تكليف كوبولاني باحتلال موريتانيا. ص 1.
200	الملحق 5 قرار تكليف كوبولاني باحتلال موريتانيا. ص 2.
201	الملحق 6 كشف المعارك الوارد ذكرها في متن الكتاب وبعض المعارك الأخرى
206	الملحق 7 رسالة مدح الفرنسيين ص1
207	الملحق 7 رسالة مدح الفرنسيين ص2
206	الملحق 8 الرد على النازية والدعوة لنصرة فرنسا ص1
208	الملحق 8 الرد على النازية والدعوة لنصرة فرنسا ص2
207	الملحق 9 نص رسالة تبرع للمجهود الحربي الفرنسي ص1
210	الملحق 9 نص رسالة تبرع للمجهود الحربي الفرنسي ص2
212	الملحق 10 مخطط قلعة أركين ص1
213	الملحق 10 مخطط قلعة أركين ص2
214	الملحق 11. نص الرسالة الموجهة من شخصية كبيرة من الحوض الشرقي
215	فهرست الموضوعات